

هدية  
للمجمع العلمي العراقي

# مجلة المجمع العلمي العراقي



شوال ۱۴۰۰ هـ

تموز ۱۹۸۰ م

## الفهرست

## الصفحة

- الدكتور أحمد عبدالستار الجوارى  
 نظرة اخرى في قضايا النحر العربي ( ضروب الصفة ) ..... ٢
- الدكتور جميل الملائكة  
 في معنى الفلية والاطراد وحدود القياس اللغوي ..... ٩
- اللواء الركن محمود شيت خطاب  
 بلاد الروم قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه ..... ١٦
- الدكتور يوسف عز الدين  
 المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي ..... ٧٤
- الشيخ محمد حسن آل ياسين ( تحقيق )  
 كتاب الشجر والنبات وكتاب النخل ( لابي عبيد القاسم بن سلام ) ..... ٨٩
- الدكتور عدنان محمد سلمان  
 الاستقراء في النحر ..... ١٤٢
- الدكتور طارق عبد عون  
 كتاب المدكر والمؤنث ( لابي حاتم السجستاني ) ..... ١٨٨
- الدكتور فاضل صالح السامرائي  
 واد الحال ..... ٢٢٥
- الدكتور محمد صالح التكريتي  
 ابن السرائي وكتاب اصلاح المنطق لابن الكيت ..... ٢٢٨
- الدكتور محمد جابر فياض  
 مفهوم البلاغة لفظة واصطلاحا ..... ٢٥٧

## عرض الكتب

- الخطاط وليد الاعظمي  
 سانحات دمي القصر في مطارحات بني العصر ..... ٢١٢
- انباء وآراء  
 الحاج عبدالكريم جرمانوس في ذمة الله ..... ٢٤٩

## ضَرْبُ الصِّفَةِ

الدكتور  
محمد عبد الشافي

( عضو الجمع )

بسم الله الرحمن الرحيم

ما المراد بالصفة ؟

يشق من المصادر أو من الأفعال (١) أسماء تشتمل على معنى الحدث مقترناً بذات الفاعل تارة وبذات المفعول تارة أخرى . ويراد بالاول كما هو معروف وصف لما وقع منه الفعل . وبالثاني وصف لما وقع عليه الفعل . وهذان هما اللذان يسكن أن يطلق عليهما اسم الصفة ، اذ انهما يصلحان لوصف أسماء الذوات وأسماء المعاني ، بالمعنى الواسع للوصف ( أي الدلالة على الاستناد أو التمت أو وصف الهيئة وهو الحال ) .

اسم الفاعل

ويأتي الضرب الاول من الصفات على ثلاث بنى أو ثلاثة اشكال .  
اولها ما يعرف في علم العربية باسم الفاعل، وله على العموم صورة معروفة

(١) على مذعب اهل البصرة او مذعب اهل الكوفة .

وصيغة معينة هي وزن فاعل في الثلاثي من الأفعال كذاهب وضارب وناصر ،  
ووزن المضارع مع ابدال حرف المضارعة ذلك . قال :

كفاعلٍ صغ اسم فاعل اذا  
من ذي ثلاثة يكون كغذا

وهو قليل في فَعَلت و فَعِمِل  
غير معدى بل قياسه فَعِل

وأفعل فعلان نحو أشر  
ونحو صديان ونحو الأجر

وفَعَل أولى وفعيل بفعل  
كالضخم والجميل والفعل جَمَل

ثم يأتي بعد ذلك على القاعدة التي سلفت إليها الإشارة في صوغ اسم  
الفاعل ( وما يتفرع عنه ) ما زاد على ثلاثة أحرف .

ويذكر ابن جني أن مجيء صيغة فاعل من وزن فَعَل شاذ عند طائفة من  
أهل العربية . وهو يرى أن ذلك من تداخل اللغات وتركيبها . يقول :

« وما عدوه شاذاً ما ذكروه من فَعَل فهو فاعل نحو ملهتر فهو ملاهر ،  
وشَعَر فهو شاعر وحَمَض فهو حامض وعقرت المرأة فهي عاقر ولذلك ظنائر  
كثيرة واعلم أن أكثر ذلك وعامته إنما هو لغات تداخلت فتركت » (٢) .

أمثلة المبالغة

أما أمثلة المبالغة فمعلوم أنه يراد بها التكثير وهي في عملها تنوب عن اسم

(٢) الخصائص ج ١ ص ٣٧٥ .

احمد عبدالستار الجواري

الفاعل وتقوم مقامه وتقع بديلا عنه • قال ابن مالك في اِعمال اسم الفاعل  
وامثلة المبالغة :

فعال او مفعال أو فعول  
في كثرة عن فاعل بديل  
فتستحق ما له من عمل  
وفي فعول قلّ ذا وفعل

ومن قبل قال سيويه :

« وأجروا اسم الفاعل اذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر منجراه اذا كان على  
بناء فاعل لأنه يريد به ما أراد بفاعل من ايقاع الفعل الا أنه يريد أن يحدث عن  
المبالغة » (٢) •

ومدار كلام النحاة في هذه الثلاث الصفات على الاعمال ولاسيما نصبها  
المفعول أو ما يسوونه شبه المفعول • وأكثر كلامهم انما يقوم على استنباط  
قواعد ثانوية من القواعد الأساسية استنباطاً مجرداً بعيداً عن واقع اللغة بحيث  
لاتوافق في كثير من الاحيان ما ورد به السماع وما يقوم عليه المأثور من  
الكلام •

الصفة المشبهة وعملها

ومن هذا جاء في اِعمال الصفة المشبهة اثنان وسبعون وجهاً محتلاً  
ورودها أو يزيد ، منها التبيح ومنها الضعيف ومنها الجائز وما سنع منها يمكن  
أن يردّ الى ضرورة الشعر لأنه لم يرد في مأثور الكلام •  
ولعل من أهم ما تجدر ملاحظته في هذا الباب ذلك التداخل بين الصيغ

(٢) الكتاب ج ١ ص ٥٧ •

## ضروب الصفة

في الصفات الثلاث اسم الفاعل وأمثلة المبالغة والصفة المشبهة . ولقد مرت بنا مقالة ابن مالك التي سعى بها كل مشتق اشتمل على معنى الحدث وذات الفاعل اسم فاعل ، وجعل منه أوزان ما نعرفه بالصفة المشبهة ، الا أنه أشار الى الفرق بينهما ، أعني اسم الفاعل والصفة المشبهة ، من جهة الفعل الذي يشتق من كل منهما . فذكر أن صيغة فَعَلٍ وفَعِيلٍ وفَعْلَانٍ ونحوها تشتق من فَعَلٍ وفَعَلٍ ، يريد بذلك الأفعال الدالة على معنى الوصف اللازم أو يشير اليه .

الفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة به

وما يفرق بين اسم الفاعل والصفة المشبهة به أن هذه يستحسن جرّ فاعلها بها كما يقول ابن مالك في تعريفها :

صفة استحسن جرّ فاعل

معنى بها المشبهة اسم الفاعل

وصوغها من لازم لحاضر

كطاهر القلب جميل الظاهر

اذن فلا عبرة بوزن فاعل في الدلالة على اسم الفاعل ولا بغير فاعل من الأوزان للدلالة على الصفة المشبهة ، وانما العبرة باستحسان اضافة هذه الى فاعلها في المعنى أي الموصوف بها .

ولعل ذلك راجع الى أن معنى الاضافة ، وهي غالباً لمعنى الملك ، أول على اللصوق واللزوم ، فهي والحالة هذه أدنى الى الدلالة على معنى الثبوت في الاتصاف وأبعد عن معنى الحدوث الذي يكون حين ينصب معمول الاسم المشتق ولاسيما ما يشتق من فعل يتعدى الى المفعول به .

ولعل هذا يصلح أساساً للتفريق بين اسم الفاعل وما ينوب عنه - أي أمثلة المبالغة - وبين الصفة المشبهة من الجهة التي أسلفنا .

احمد عبدالستار الجواري

الا أن ثمة أمراً ينبغي أن لا ينصرف عنه النظر ، وهو أن اسم الفاعل الممدى يضاف أحياناً الى معموله ان كان اسم الفاعل - بزعمهم - لمعنى المضي أو لحكاية حال ماضية ، لأن شرط نصب المعمول باسم الفاعل - كما شرطوا - أن يكون هذا بمعنى الحال أو الاستقبال لانهم أعمالوه عملاً على الفعل المضارع . لكن توارد النصب والاضافة في مواضع من آي الكتاب العزيز يزري بقاعدة النحاة هذه . فقد قرئ بالنصب والخفض قوله تعالى ( ان الله بالغ أمره ) ( هل هن كاشفات ضره ) ( جاعل الليل سكتا ) .

صيغ مشتركة

ولا بد أن نلاحظ أن أمثلة المبالغة والصفة المشبهة تشترك في بضع صيغ منها فعول وفعل وفعل . وهذا الاشتراك يدل على أن المراد بهما أصلاً هو الدلالة على ذات الفاعل مقترنة بالحدث على سبيل التكرير والمبالغة وأن الفرق بينهما مرده الى الفرق بين ما اشتقا منه فان كان فعلاً ذا دلالة قوية على معنى الحدث مثل كتب وذهب وقام وقعد ونصر وضرب فان ما يشتق منه وصفاً لذات الفاعل فهو اسم فاعل فان كان للكثرة فهو صيغة مبالغة كضروب ونصير وقوام ونحو ذلك .

وان كان من فعل يدل على الوصف كظهر وكرم وشجئ وفرح وعطش فان الوصف منه يسمى صفة مشبهة كظاهر وكريم وشجاع وعطشان وفرح وما أشبهها .

فعول وفعل ودلالاتهما

على أن من هذه الأسماء المشتقة ما يكون لأكثر من معنى كفعول

وفعل .

## ضروب الصفة

فان فعلاً يأتي مصدرأ كالذميل والصهيل والخيب والرئيس ونحو ذلك .  
ويأتي كذلك اسماً كالزيب والدقيق والسيف ( وهو حزام الرجل )  
والسرير والكثيب وغير ذلك . وهو اذ يكون وصفاً يكون بمعنى فاعل تارة  
كقريب وبصير وشديد ، وبمعنى مفعول تارة أخرى كقتيل وجريح .

أما فعول فيكون كذلك اسماً كالجبوب وهي الأرض الغليظة ، والشبوب  
وهو ما توقد به النار ، والغرور وهو الشيطان ، والحرور وهو شدة الحر ،  
والسنوف وهو ما يثقف من دواء .

وهو اذ يأتي وصفاً يكون بمعنى فاعل كصبور وشكور وبمعنى مفعول  
كذلول .

## كيف تحول الى هذه المعاني

ولعل معنى الوصف هو الأصل في هذين البنائين ثم تحول على سبيل  
المجاز العقلي - وهو اسناد الشيء الى من ليس له - الى معنى المصدر وهو  
الحدث مجرداً من ذات الفاعل . وذلك أمر معروف عند علماء المعاني . فقد  
يقال المعقول ويراد به العقل مثلاً ، وقد يكون العكس فيطلق المصدر ويراد به  
الوصف ، والمصدر أصل يقبل أن يحتل ما يلزمه أو يسبق اليه من معان  
أخرى .

أما مجيء هذه الصيغ أسماء فأمر واضح مألوف في العربية ، لأن كثيراً  
من الاسماء الاعلام وغير الاعلام تنقل عن الوصف تارة وعن المصدر وما يشتق  
منه تارة أخرى . وأهل العربية يقسمون العلم قسمين : العلم المرتجل وهو  
الذي وضع من أول الامر ليدل على مسمى بعينه كسعاد وأدد . والعلم  
المنقول وهو الذي نقل عن دلالة غير العلمية الى العلمية كخالد ومحمود  
ونصر وفضل .

والله تعالى أعلم

## في معنى الفلحة والإطار وحدود القياس اللغوي

الدكتور جميل الملائكة

( عضو الجمع )

( ١ ) اقرت لجنة الاصول الموقرة في ٩ / ١٠ / ١٩٨٤ انه اذا كانت المسموعات من وزن معين قليلة ولكن اكثرها ذو دلالة معينة فيمكن ان يقاس عليها لتلك الدلالة عند الحاجة في لغة العلوم .  
وهذا القرار العام المقتضب ، ولاشك ، لا تمكن الاستفادة منه دون رسم حدوده وقبوده .

( ٢ ) فيلزم اولا تحديد المراد بانقلاب . فهل تكفي ثلاثة من المسموعات لهذا الغرض ؟ ام خمسة ؟ ام عشرة ؟ ام عشرون ؟ ام خمسون ؟ لا يخفى انه كلما زاد هذا العدد نقص احتمال الخطأ في الاستدلال ومن ثم زادت اعتمادية العينة . واحتمال الخطأ نفسه يلتزم الاحصائيون تعيين حد من الثقة في تخمينه . وهكذا يمكن ، من دون اللجوء في التفاصيل الاحصائية ، ان نقول بحد من الثقة مقداره ( ٩٥٪ ) ، وهو الحد المقبول عند الاحصائيين ، ان أعلى خطأ محتمل في الاستدلال من عينة مقدارها ١٠ من المسموعات مختارة عشوائيا من بين مجموعة كبيرة من مسموعات من الوزن نفسه سيكون في حدود ٣١٪ <sup>(١)</sup> ، فان كان عدد افراد العينة ٢٠ فيكون احتمال الخطأ في أسوأ

$$\pm 1.96 \times \frac{(0.05 - 1) \cdot 0.05}{10} \times \frac{10 - \infty}{1 - \infty} = \pm 0.31 + 0.31 = 31\% \quad (1)$$

## في معنى الغلبة والاطراد

الاحوال في حدود ٢٢ ٪ ، فان كان العدد ٤٠ فهو في حدود ١٥,٥ ٪ ، وان كان الانراد ٨٠ فلن يتجاوز ١١ ٪ الخ . وسيقال مقدار الخطأ الاعلى المحتمل ايضاً كلما قل عدد افراد المجموعة الكلية التي يختار افراد العينة من بينها . وكذلك يقل الخطأ المحتمل بزيادة انحراف اطراد الظاهرة المدروسة في العينة عن ٥٠٪ ، وعليه يتقرر قبول حجم العينة من مقدار اطراد الظاهرة المراد قياسها فيها .

ويجدر هنا توكيد العشرائية في اختيار افراد العينة التي فريد دراسة ظاهرة فيها . وكثيرا ما يغفل دارسو اللغة هذه الحقيقة ، أو يجهلونها ، فيتمون في الكثير من الخطأ . فليس من الصواب مثلا ان تستدل على اطراد جمع ( فاعل ) على ( فواعل ) من مسروعات كذلك نبحث عنها ونختارها اختيارا ، حتى لو بلغ عددها العشرين أو الخمسين . وانما الوجه ان نجتمع بطريقة عشوائية عددا كافيا من جموع ( فاعل ) ونرى هل يغلب فيها الجمع على ( فواعل ) ، وهو لن يغلب على وجه التأكيد . ومثل هذا كثير .

( ٣ ) لقد قالوا إن النحو قياس واللغة سماع . فان لم يكن بدءاً من اخضاع اللغة لبعض القياس لحاجات علمية ملزمة فليكن القياس صحيحا .

( ٤ ) وتوكيد الحاجة هنا امر له أهميته . فلا يصح تكلف القياس في اللغة تكلفا واطلاق بابها على مصراعيه . ومن العبث ، مثلا ، ان يُعدّ احد ، كائنا من يكون ، معجما جديدا يضيف اليه من عنده عشرات المصادر الجديدة بزنة ( فععلان ) مثلا ، لمعنى الاضطراب ، كالحركان والغضبان والنشطان او مئات الافعال الجديدة بزنة ( استعمل ) لمعنى الطلب كاستركب واستغش واستدهب ، من الركوب والفضة والذهب . وقد فعل بعضهم مثل ذلك فلم يقد في شيء . فاللغات لاتنمو بالطفرات . وهي انما تتسع وتتطور تدريجا ، وتنميتها الحاجة والاستعمال .

## الدكتور جميل الملايكة

( ٥ ) وثمة عوامل لغوية أخرى ، غير اطراد المعنى في وزن معين ، مما يحدّ أيضاً من جواز اطلاق القياس . فلو كانت عينة من ٥ أفراد هي ما في المعجم من وزن معين ، و اطردت فيها ظاهرة معينة ١٠٠٪ ، فاحتمال الخطأ هو صفر ، فهل نقيس عليها ؟ الجواب : رهون بوجود الظاهرة نفسها في وزن آخر او عددها ، وعلى حجم عينة الوزن الآخر مقارنة بحجم هذه العينة . ومثال ذلك اننا لو جمعنا كل ما ورد على غرار ( مُزَيِّن ) و ( مُدَثِّر ) و ( مُزَمَّل ) لو جدناه ، مطاوع ( فَعَل ) مما هو مبدوء بحرف شمسي . ولكننا لا نقيس عليه لأن وزن ( تَفَعَّل ) و ( مُتَفَعَّل ) له نفس الدلالة ، وقياسه لا ينكسر ، وعيّنته اكبر كثيراً في اللغة من عيّنته ( مُتَفَعَّل ) .

( ٦ ) ويجدر تجنب القياس عند تداخل الالفاظ ، فلا نقيس مثلاً ( الاستملاح ) لطلب الملح مع وجود هذا اللفظ بمعنى وجود الشيء مليحاً ، ولا ( الاستشراب ) لطلب الشرب مع استعماله لمعنى الاشتداد ، فكل ذلك مدعاة لتلبس .

( ٧ ) وكذلك يلزم تجنب القياس بوزن مطرّد اذا وجد المعنى في وزن آخر حتى او شدّد هذا الآخر ، فلا نقيس ( استحاذ ) مع وجود ( استحوذ ) ، ولا ( المسجد ) و ( المستعمل ) ( المسجد ) .

( ٨ ) ومن المهم ان يكون الوزن المقيس عليه سهلاً مقبولاً . فلانقيس مثلاً النافلاً بوزن ( الفَيْعَلِيّ وَالفَيْعَلِيّ وَالفُعْلَيْي وَالفَيْعَلِيّ ) ( كالحَيْزَلِيّ ) و ( الجَيْرِشِيّ ) و ( الحُطْبَيْي ) و ( الحَيْشِيّ ) حتى اذا كان لبعض هذه الاوزان دلالات معينة مطردة . فمثل هذه الاوزان لن يستينفها الذوق ومن ثمّ سيكون مصيرها الاهمال كما حلّ بسابقاتها .

( ٩ ) وهكذا يمكن في ضمن هذه الحدود والشروط ان نقيس ، عند

حصول الحاجة العلمية ، على ما ثبت غلبته واطراده ، من الاوزان المعروفة كالفعالة للحرفة ، والفعال للامتناع ، والفعال للاضطراب ، والتفعيل للسير او الصوت ، والتفعال للدهاء او الصوت ، والفُعلة للون ، وكتقياس اسماء الآلة والمكان بارزاتها المعروفة ، وقياس فُعولة او فعالة مصدراً لتفعيل المضمر العين ، وقياس اوزان بعض الافعال المجردة او المزيدة لمعان غالبية فيها ، وغير ذلك مما هو مشهور معروف في علم الصرف .

وللتشيل على ما قد يصح القياس عليه ايضاً ضمن هذه الحدود والقيود ، لاحظت عرضاً ان كثرة من المصادر المستعملة بزنة فيعمل بكسر الفاء وفتح العين هي مصروغة من الثلاثي اللازم وانها تدل على وصف حال من الاحوال او صيرورته الى حال أخرى . وللتحقق من احتمال غلبة هذه الظاهرة بحثت عن اكبر عدد امكنتني ، على وجه من العجالة ، الحصول عليه من هذه المصادر ، فوجدت منها ستة وعشرين مصدراً هي هذه :

١- الإرب = الدهاء والبصيرة ( تقيض البلادة والحمق )

٢- الجلي = الرثانة ( تقيض الجدّة )

٣- النُخَن = الغلظ

٤- الثَّقَل = ضد الخفّة

٥- الحجما = النطننة والعقل ( تقيض الحمق والبلاهة )

٦- الربا = الفضل

٧- الرضا = تقيض الغضب

٨- الروى = التملؤ من الماء والشبّع منه ( تقيض العطش )

٩- الزنا = النجور

١٠- السّن = تقيض الضعف والنحاقة

١١- السوى = الاستقامة ( تقيض العوج )

- ١٢- الشَّبَح = التمازج من الطعام ( نقيض الجرع )  
 ١٣- الصَّبَا = الصَّغَر  
 ١٤- الصَّغَر = نقيض الكبر  
 ١٥- الضَّخَم = العِظَم  
 ١٦- الطَّرْوَل = امتداد الزمن  
 ١٧- العِظَم = خلاف الصَّغَر  
 ١٨- العِرج = نقيض الاستقامة  
 ١٩- العِروض = اعطاء البدل والعروض ( من المتعدي )  
 ٢٠- الغِلَظ = نقيض الرقة والدقة  
 ١٢- الغِنَى = نقيض الفقر  
 ٢٢- الفِيدَى = الاستنقاذ بمال او سواه ( من المتعدي )  
 ٢٣- القِدَام = نقيض الحدائث  
 ٢٤- القِرَى = الضيافة ( من المتعدي )  
 ٢٥- القَل = الكره والبغض ( من المتعدي )  
 ٢٦- الكِبَر = نقيض الصغر

والظاهر ان اثنين وعشرين من هذه المصادر الستة والعشرين مصوغ من الثلاثي اللازم ، وانها إما تدلّ على وصف الحال كالصَّغَر ، والكِبَر ، والعِظَم ، والحِجَا ، والثَّقَل ، والثَّخَن ، والإرَب ، والغِنَى ، والسَّمَن ، والعِرج ، والغِلَظ ، واما تدلّ على صيرورة الشيء الى حال لم يكن عليها كالشَّبَح ، والرَّوَى ، والرِّضَا ، والبِلَى ، وقد يستعمل اكثر هذه الالفاظ لكلا المعنيين ، اي الثبوت والحدوث كالغِنَى ، والسَّمَن ، والعِرج ، والشَّبَح ، والرِّضَا ، والبِلَى . ويبدو ان أربعة فقط من هذه المصادر هي عِروض ، وفِيدَى ، وقِرَى ، وقِلَى ، جاءت مخالفة لهذه

القاعدة فهي مصنوعة من المتعدي ، وهي لا تدل على وصف حال او صيرورة الى حال .

وعلى هذا تكون نسبة غلبة هذه الظاهرة في العينة هي :

$$0,85 = \frac{22}{26} \text{ أي } 85\%$$

ومع ان افراد العينة هي قصارى ما تمكنت من وجدانه من هذه المصادر بهذا الوزن ، فانه حتى لو فرضنا ان الموجود منها في المعجم يبلغ الخمسين فيمكن القول بحدّ من الثقة مقداره 95% ان احتمال الخطأ في تخمين هذه الظاهرة في هذه العينة لن يتجاوز 9,6% (٢) ولنقل 10% (٣) ولما كان 85% - 10% = 75% فمعنى ذلك ان ما هو مصوغ من الثلاثي اللازم بزنة فِعَل لوصف حال الشيء او صيرورته الى حال لم يكن هو عليها تقدر نسبه تخميناً بـ 85% من مجموع مصادر المعجم على وزن ( فِعَل ) ولكنها لا يمكن ان تقل عن 75% على اية حال .

فهذه الظاهرة اذن هي غالبية في العينة والمعجم على وجه اكيد، ويمكن القياس على هذا الوزن على غرار بقية ما يقاس عليه اذا لم توجد ( الفعالة والفعولة ) ونحوهما ، هذا فضلاً عن كون هذا الرزن مستساغاً ومقبولاً .

واكن في حدود القياس المرسومة لا تقيس ( العيلا ) لمعنى الارتفاع مع وجود ( العلُو ) .

ولا تقيس ( الثَقَل ) لمعنى اشتداد المرض لأن الثَقَل مستعمل لتقيض ( الخِفَة ) .

$$\frac{22}{26} \pm 0,096 = \frac{22 - 0,096 \times 26}{1 - 0,096} \times \frac{(0,85 - 1) \times 0,85}{26} \quad (2)$$

(٢) وحتى لو فرضنا ان عدد الموجود في المعجم غير متناه فيبلغ الخطأ المحتمل 13,7% وهو قليل أيضاً .

الدكتور جميل الملائكة

وفي جميع الاحوال لا نقيس الا الحاجة علمية تستدعي القياس . فلفظ ( السمك ) مثلا معناه خلاف الرقيق وهو مهم في اللغة العلمية . ونحتاج ايضا الى مصدره . ولما كانت ( السمّانة ) و ( السمك ) بفتح فكون معناهما الارتفاع ، فقد تجيز لنا هذه الحاجة العلمية ان نقيس ( السمك ) نقيضا ( للرقّة ) ، بموجب هذه القاعدة وضمن هذه الحدود ، والله اعلم .

★ ★ ★

# بلاد الروم

قبل الفتح الاسلامي وفي ايامه

الوارث الركن محمد سبت خطاب

(عضو الجمع)

## الموقع والحدود

كان المسلمون يسمون اقاليم الدولة البيزنطية في جملتها : بلاد الروم .  
ولفظ : الرومى أي الروماني في العصور الاسلامية الاولى ، كانت ترادف عند  
المسلمين كلمة : المسيحي أو النصراني . سواء كان الموصوف بها من اليونان  
أو اللاتين .

وكانوا يسمون البحر الابيض المتوسط : بحر الروم ، اسماً لا يقرب  
الاقاليم المسيحية من بلاد الاسلام .

ومن ثم صارت بلاد الروم اسماً : لآسيا الصغرى عند العرب ، وهي  
البلاد العظيمة التي انتقلت نهائياً في نهاية السنة المئاة الخامسة الهجرية (القرن  
الحادي عشر الميلادي) الى أيدي المسلمين باستيلاء الراجقة عليها .

وكانت الحدود بين بلاد المسلمين وبلاد الروم في أيام بنى أمية وبنى  
العباس ، بل حتى قبل أن يقضي المغول القضاء المبرم على الدولة العباسية في  
بغداد بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تتألف من سلسلتى جبال طوروس  
وجبال طوروس الداخلة (أتى طوروس) . وكان يحده هذه الحدود ويحيطها

## الواء الركن محمود شيت خطاب

خط ملويل من القلاع التي تعرف بالثغور ، يمتد من ( ملطية ) على الفرات الأعلى ، الى ( طرسوس ) بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وكان المسلمون يفتحون هذه القلاع تارة ويحتلها الروم تارة أخرى .

وتنقسم هذه القلاع الى مجموعتين ، احدهما تحمي الجزيرة ، وتسمى : ثغور الجزيرة ، وهي الشمالية الشرقية ، والثانية تحمي الشام ، وتسمى : الثغور الشامية ، وهي الجنوبية الغربية .

وكان من ثغور الجزيرة : ملطية ، وزبطرة ، وحصن منصور ، وبهنا ، والحدث<sup>(١)</sup> . ثم مرعش ، والهارونية ، والكنيسة وعين زربة ( عين زربي ) ، وهي الثغور الشامية ، أما الثغور الشامية التي بالقرب من الساحل لخليج الاسكندرونة فهي : المصيصة ، وأذنة ، وطرلوس .

يحدها من الغرب : بحر الروم وخليج القسطنطينية وبحر القرم ، ومن الجنوب بلاد الشام والجزيرة ، ومن الشرق ارمينية ، ومن الشمال بلاد الكرج وبحر القرم .

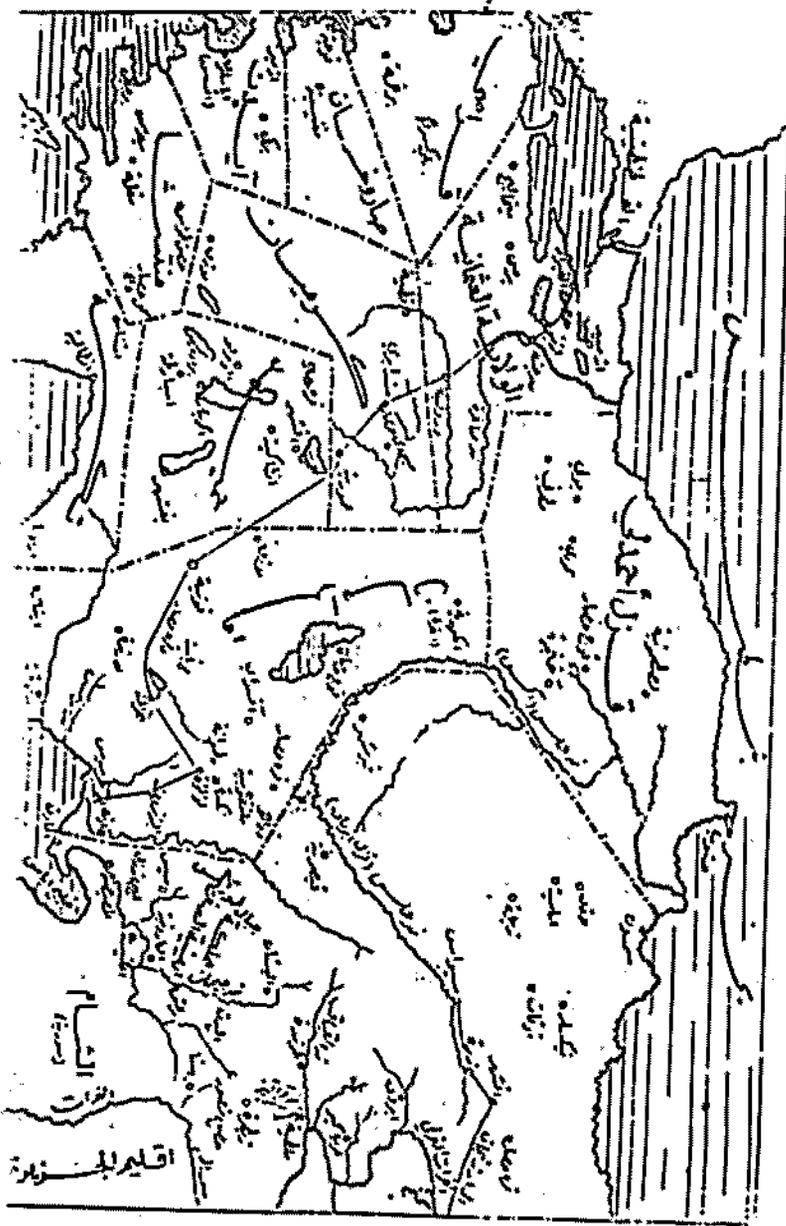
## الثغور الشامية

١ - مرعش :

سماها الروم : ( مراسيون Marasion ) ، ويقال انها قامت في موضع جرمانيقية .

وهي مدينة من الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي

(١) انظر ما ورد عن هذه الثغور في بحث : بلاد الجزيرة قبل الفتح الاسلامي وفي ابامه .



اللواء الركن محمود شيت خطاب

وسطها حصن عليه سور يعرف بالرواني بناه مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، ثم حصنها هرون الرشيد أيضا .

٢ - عين زَرْبِي = عين زَرْبَة :

بلد يشبه مدن الفور ، بها نخيل ، وهي خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعي ، ولها سور مكين ، تقع في الجبل ، ذات قلعة مستعلية عنها ، وهي من الثغور من نواحي المصيصة .

٣ - الهارونية :

مدينة صغيرة بالقرب من مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام ، استحدثها هرون الرشيد ، وعليها سوران وأبواب حديد . وجبل اللكام : اسم اطلقه البلديون المسلمون على سلسلة جبال أتى طوروس .

٤ - الكنيسة :

بلد بئر المصيصة ، ويقال لها : الكنيسة السوداء ، وسيت بالسوداء ، لأنها بنيت بحجارة سود ، بناها الروم قديما ، وبها حصن منيع قديم أخرج فيها أخرج منها ، ثم أمر هرون الرشيد ببنائها واعادتها الى ماكانت عليه وتحصينها ، وندب اليها المقاتلة ، وزادهم في العطاء ، بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا .

٦ - المصيصة :

حصن على ساحل البحر قرب المصيصة ، سمي : المثقب ، لأنه في جبال كلها مثقبة فيها كوى كبار ، وكان أول من بنى حصن المثقب هشام بن عبد الملك .

٦ - المصيصة :

مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم ، تقارب

## بلاد الروم

طرسوس ، وهي من ثغور الاسلام ، ذات سور وخسة أبواب ، فتحها عبدالله ابن عبدالمك وبنى حصنها على أسسه القديم ، ووضع فيها سكانا من الجند من أرباب البأس والنخوة ، وبنى فيها سجدا فوق تل الحصن . وبعد وقت قصير من فتحها نشأ في الجانب الآخر من نهر جيحان (نهر بيرامس) ربض أو ضاحية جديدة سبت : كفريا ، بنى فيها عمر بن عبدالعزيز جامعا اتخذ فيه صهريجا ، ثم أن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية أنشأ ربضا ثالثا في شرقي نهر جيحان يقال له : الخصوص ، وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب ، وخذقَ خندقا .

٧ - أذنة :

بلد من الثغور قرب المصيصة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس) ، وهي مدينة خصبة عامرة حصينة .

٨ - ملرسوس :

مدينة من أهم مدن الثغور الشامية ، تقع بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، بينها وبين أذنة ستة فراسخ ، عليها سوران وخذق واسع ، ولها ستة أبواب ، وهي تشرف على الدرب المشهور عبر طوروس .

وعني الخلفاء العباسيون الأولون ، ولاسيما المهدي وهرون الرشيد بتحسين طرسوس وشحنها بالرجال .

## المدن الأخرى

١ - العالبا :

بلدة محدثة ، أنشأها علاءالدين أحد ملوك السلاجقة فنسبت إليه ،

ف قيل لها : العلائية ، ثم خففها الناس وقالوا : العلايا •

وهي بلدة صغيرة على بحر الروم ، وهي من فرض تلك البلاد ، وهي في الجنوب من أنطالية على مسيرة يومين منها ، عليها سور ، وهي كثيرة المياه والساتين ، ومساحتها أصغر من أنطالية •

٢ - أنطالية :

بلدة كبيرة من مشاهير بلاد الروم ، وهي حصن من حصون الروم المنيعه تقع على بحر الروم ، ولها بابان الى البحر والى البر ، والمياه جارية بداخل البلد وخارجه ، ولها باتين كثيرة من المحضات وأنواع الفواكه ، تقع غربي قونية وعلى مسافة عشرة أيام منها •

٣ - أنقرة :

اسم للمدينة المسماة : أنكورية ، وهي بلدة لها قلعة على تل عال ، وليس لها ساتين ولا ماء سارح ، وشرب أهلها من آبار نبع قرية المدى ، وبين أنقرة وقطمونية خسة أيام : قطمونية في الشرق والشمال ، وأنقرة في الغرب والجنوب •

وهي مدينة قديمة ، ورد ذكرها في شعر امرئ القيس ، كما ورد ذكرها في شعر أبي تمام الطائي أيضا •

٤ - عمورية :

بلدة كبيرة ، ولها قلعة داخلها حصينة ، وأكثر ساكنيها التركمان ، وبها ساتين قليلة ، ولها عين ونهر ، وهي التي فتحها المعتصم الخليفة العباسي في سنة (٢٢٣ هـ) وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية في قصة طويلة معروفة ، وكانت من أعظم فتوح الاسلام •

٥ - آقشار = آق شَهر :

من أزه المدن ، وبها باتين كثيرة وفواكه مفضلة ، تبعد عن قونية ثلاثة أيام شمالا بغرب .

٦ - قونية :

مدينة مشهورة ، لها جبل في جنوبيها ، ينبع منه نهر ويدخل الى قونية من غربها ، ولها باتين من جهة الجبل يقرب من ثلاثة فراسخ ، وبقلعتها تربة افلاطون الحكيم ، ونهرها يسقى باتينها ثم تصير مياهه بحيرة ومروجا ، والجبال دائرة بها من كل جانب ، وتبعد عنها من جهة الشمال ، والفواكه بها كثيرة ، وهناك المشمش المعروف بقمرالدين .

٧ - قيسارية = قيسارية :

بلدة كبيرة ذات أشجار وباتين وفواكه وعيون تدخل إليها ، وداخلها قلعة حصينة ، وبها دار للسلطنة ، وهي منسوبة الى قيصر ، وفي شرقيها مدينة سيواس ، وبين قيسارية وأقصرا أربعة مراحل .

٨ - أقصرا = أقصرا :

بلدة في عرض آقشار وأطول منها ، كثيرة الفواكه ، تحل منها الى قونية على العجل في بسيط من الارض كلها مراعى وأودية ، بينها وبين قونية ثمانية وأربعون فرسخا وكذلك من أقصرا الى مدينة قيسارية ، وبين أقصرا وقونية ثلاث مراحل .

وهي ذات أشجار وفواكه كثيرة ، ولها نهر كبير داخل في وسط البلد ، ويدخل الماء الى بعض بيوتها من نهر آخر ، ولها قلعة كبيرة حصينة في وسط البلد .

٩ - هرقلية :

بلدة في شرقي نهر ينزل من جبل العالايا الى آخر سنوب ، وهرقلة تقع قرب البحر ، وفي شرقيها جبل الكهف ، ويقال : ان فيه الكهف الذي ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة الكهف .

١٠ - أماسية :

بلدة كبيرة ، لها سور وقلعة وبساتين ونهر كبير ونواعير تسقى بها ، مشهورة بالحسن وكثرة المياه والكروم والبساتين ، بينها وبين سنوب ستة أيام ، فيها معدن الفضة .

١١ - مكطية :

بلدة ذات أشجار وفواكه ارضها تحف بها جبال كثيرة الجوز ، وسائر الثمار مباحة لا مالك لها ، وهي قاعدة الثغور ، مسورة في بسط من الارض والجبال تحف بها من بعد ، ولها نهر صغير عليه بساتين كثيرة يسقى ويسر بسور البلد ، وهي شديدة البرد ، تقع في جنوبي سيواس بينما ثلاث مراحل ، وفي شمالي زبطرة وبينهما مرحلة كبيرة .

وللطية أيضا قنى تدخل البلد وتجري في دوره وسككه .

١٢ - سيواس :

وهي بلدة كبيرة مشهورة ، وبها قلعة صغيرة ، وهي ذات أعين ، والشجر بها قليل ، ونهرها الكبير يبعد عنها بمقدار فرسخ ، وهي في بسط من الارض ، المسافة بينها وبين قيسارية ستون ميلا ، تقع مدينة أرزن في شرقيها ، وسيواس شديدة البرد .

## ١٣- تَوَقَّات :

بلدة صغيرة في لحف الجبل ، تقع بين قونية وسيواس ، ذات قلعة حصينة وأبنية مكيئة ، بينها وبين سيواس يومان ، لها بساتين وأشجار وفواكه جيدة ، معتدلة في الحرارة والبرودة ، وهي شمالي سيواس .

## ١٤- أَرْزَنْ :

مدينة مشهورة قرب خلاط ، وهي آخر بلاد الروم من جهة الشرق ، وفي شرقيها وشماليها منبع النرات .

## ١٥- القسطنطينية :

مدينة شهيرة جدا ، كانت عاصمة الامبراطورية البيزنطية الشرقية ، بناها قسطنطين سنة (٣٣٠م) ، وهي مسورة بسور حصين ، ارتفاعه مابين أربعة عشر قدما وعشرين قدما ، ومحيطها أكثر من اثني عشر ميلا .

## ١٦- مرج الأسقف :

موضع قريب من غرب بدنوس (البذندون) .

## ١٧- مَطْمُورَة :

بلد في ثغور الروم ، بناحية طرسوس .

## ١٨- ذُو القلاع :

كانت قلعة مشهورة ، واسمها عند الروم تفسيره : الحصن الذي مع الكواكب .

ويبدو أنها تطابق : ( سيدروبوليس Sideropolis ) في بلاد القباذق .

١٩- اللؤلؤة :

قلعة قرب طرسوس ، واسمها عند البيزنطيين : لولون ، ، سماها العرب  
لؤلؤة ، ليضفوا على اسمها معنى من المعاني .

٢٠- طئوانة :

بلد بثغور المصيصة ، اسمها القديم : تيانا .

٢١- الصفصاف :

كورة من كور المصيصة ، ويرد ذكرها أحيانا : مدينة الصفصاف أو حصن  
الصفصاف ، وهي قرب لؤلؤة على طريق القسطنطينية .

٢٢- حصن الصقالبة :

حصن يقع في جنوبي البزندون ، وسمى باسم الصقالبة الذين فروا من  
البيزنطيين وعكروا فيه . وكان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد  
جعلهم في هذا الحصن لحراسة الدرب .

٢٣- مكنقونية :

بلد من بلاد الروم ، قريب من قونية ، تفسيره مقطع الرحي ، لأن من  
جبلها يقطع رحي تلك البلاد .

٢٤- أقسوس :

بلد بثغور طرسوس في بلاد الروم .

٢٥- أنطاكية :

مدينة مشهورة تعتبر قسبة العواصم من الثغور الشامية ، وهي من أعيان

البلاد وأمهاتها ، موصوفة بالنزاهة والحن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير .

ولها سور فيه ثلاثمائة وستون برجاً من أبراج المراقبة ، وشكل البلد كمنصف دائرة ، قطرها يتصل بجبل ، والور يصعد مع الجبل الى قمته ، وفي رأس الجبل دار الور قلعة تين لبعدها من البلد صغيرة ، وللور المحيط بها دون الجبل خمسة أبواب .

وبين أنطاكية والبحر نحو فرسخين ، ولها مرسى في بليد يقال له :  
الويدية ترسى فيه المراكب ، فترفع الأمتعة الى أنطاكية على الدواب .

٢٦ - أطرابزئدة = طرابزون :

مدينة من أعيان مدن الروم على ضفة القسطنطينية الشرقي ، وهو المعروف ببحر بنطس (البحر الأسود) . والى هذه المدينة منتهى جبل القبق ثم يقطع البحر ، وهي مشرفة على البحر وماؤه محيط بها كالخندق محصور حولها بأسرها ، وعليه قنطرة اذا دهمهم عدو قطعوها ، ولها اقليم واسع ، ومقابلها مدينة كراسنده على ساحل هذا البحر الغربي ، وولايتها كلها جبال وعرة ، وهي من أعمال القسطنطينية .

وهي أجل ميناء ، كانت تجلب اليها السلع من القسطنطينية وتحمل منها الى بلاد الاسلام . وكان التجار العرب وكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الأعلى ، وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليوناني ، وثياب الصوف والديباج والأكسية الرومية ، وكلها كان يجلب بحراً من الخليج الى البسفور .

## الجبال والانهار

## ١ - الجبال :

بلاد الروم ، أو ما يطلق عليها الجغرافيون المحدثون اسم : آسيا الصغرى (تركيا الحديثة) ، عبارة عن شبه جزيرة عظيمة مكونة لهضبة تحدها الجبال ، وتنحدر على وجه العموم نحو البحر الأسود (٢) .

وتقطع هضبة آسيا الصغرى سلسلة بئتيك في الشمال وجبال طوروس في الجنوب (٣) .

وجبال بلاد الروم المهمة هي : طوروس ، وأتى طوروس ، وهما سلسلتان جبليتان كانتا الحدود بين بلاد المسلمين والروم في أيام بني أمية وبني العباس ، وكان يمين هذه الحدود ويحيطها خط طويل من القلاع تعرف بالشغور ، يمتد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من البحر الابيض المتوسط ، ومن أهم هذه الشغور : المصيصة ، وأذنة ، وطرسوس .

وجبل اللكام اسم أطلقه البلديون المسلمون على سلسلة جبال أتى طوروس (٤) ، وقالوا في وصفه : «الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس» (٥) ، ثم يمتد الى ملطية وسيباط وقاليقلا الى بحر الخزر ، فيسمى هناك جبل القبق (٦) ، وهذا يتصل بجبال القوقاز

(٢) الجغرافية العمومية - اسمدارد بالاشترار - القاهرة - ١٩١٩ - ص (١٨١) .

(٣) الجغرافية العمومية - (١٦٩) .

(٤) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٢) .

(٥) معجم البلدان (٧ / ٢٢٧) .

(٦) معجم البلدان (٧ / ٢٢٠) .

المتدة شمالا وبجبال هندكوش التي تتصل بجبال هماليا (٧) .

ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة ، تلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص في غزواتهم النوية لبلاد الروم .

الدرب الأول : درب الحدث ، وهو في الشمال الشرقي ، وكان من مرعش فسالالا الى ( أبلستين Ablastin ) ، وقد عرفت هذه المدينة ب : ( البستان ) ، وهي : ( أبلثا البيزنطية Ablastho ) أي ( عربسوس اليونانية Arabissus ) ، وكان يحصى هذا الدرب حصن ( الحدث Adatha

والدرب الثاني : وكثيرا ما كان يسلك في الأزمنة القديمة ، وهو الدرب الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينية ، وكان هذا الطريق هو الذي يسلكه ساعة البريد وتمر منه القوافل والوفود ، كما أنه الطريق التي تتبعه موجات المحارين من المسلمين والنصارى ، وكان هذا الدرب يعرف في قسه الجنوبي بدرب اللامة . وقد وصفه ابن خردادبذة في كتابه المالك والمالك ، فقال : « من طرسوس الى العليق اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة - أي المكان المنخفض ولعلها : مبكرينة Mopsukrene القديمة - ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البذندون Podandos سبعة أميال ، ثم الى معكر الملك على حمة لؤلؤة - لولون Loulon - والصفصاف عشرة أميال - قرب فوستينوبوليس Fanstinopolis - وتصير الى معكر الملك وقد قطعت الدرب - النهاية الشمالية من الدرب الذي اخترق الجبل - وأصحرت . ومن معكر الملك الى وادي الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى

(٧) الجغرافية العمومية (١٦٦) .

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

عشرون ميلا ، ثم الى نور هرقله - وهرقله هي أراكيلة الحديثة وهركليّة  
 Heraclia عند الروم - اثنا عشر ميلا ، ثم الى اللبن ثمانية أميال ،  
 ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا . ثم الى المسكنين ستة عشر ميلا ، ثم الى  
 عين برغوث اثنا عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء - أي النهر الذي تحت الأرض -  
 ثمانية عشر ميلا ، ثم الى ربض قونية - ايكونيوم Iconium  
 ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العليين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابرومسانة عشرون  
 ميلا ، ثم الى وادي الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عمورية - آموريون  
 Amorion - اثنا عشر ميلا . وطريق آخر : «من العليين الى عمورية  
 يبدأ من العليين الى قرى نصر الاقريطي خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة  
 الباسليون - بحيرة الاربعين شهيدا - عشرة أميال ، ثم الى السد عشرة أميال ،  
 ثم الى حصن سنادة ثمانية عشر ميلا - وسنادة هي سنادس Synades  
 ثم الى مغل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا ، ثم الى  
 قرى الحراب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغرى - وهو Sangarius  
 نهر عمورية ميلان ، ثم الى الملح اثنا عشر ميلا ، ثم الى فلامى الغابة خمسة  
 عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابرى - ستابريس  
 Santabaris ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حمر الملك في درولية -  
 دوريليوم Dorylaeum خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن غروبلي  
 خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك - وهي Basilica of Anno Comnena  
 ثلاثة أميال ، ثم الى التلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الأكوار خمسة عشر  
 ميلا ، ثم الى ملاجنة خمسة عشر ميلا - وملاجنة هي Malagina  
 ثم الى اصطلب الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن الغبراء - وهي كيويس  
 Kibotos - ثلاثون ميلا ، ثم الى الخليج - وهو بوسفور

## بلاد الروم

القسطنطينية Bosphorus — أربعة وعشرون ميلا ، ونيقية بازاء النبراء  
( أي جنوب النبراء ) ( ٨ ) •

وهذا هو ما يطلق عليه الدرب ، واذا أطلق هذا اللفظ أريد به ما بين  
طرسوس وبلاد الروم لأنه مضيق كالدرج ، واياه عنى امرؤ القيس بقوله :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه  
وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عينك انما  
نحاول ملكاً أو نسوت فتعذرا<sup>(٩)</sup>

ولجبال طورس وأتى طورس فروع يذكر قسماً منها اليلدانيون  
المسلمون بأسماء مختلفة ، وهي عبارة عن فروع من طورس وأتى طورس •  
٢ — الأنهار :

أهم أنهار بلاد الروم نهران هما : سيحان وجيحان ، وقد أطلق المسلمون  
على نهر ( سارس Sarus ) اسم نهر سيحان ، وأطلقوا على نهر ( بيرامس )  
اسم نهر جيحان ، وكانا حداً مائياً بين بلاد المسلمين وبلاد الروم •

ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال ارمينية الصغرى ، وكان نهر  
جیحان الذي كان يقارب نهر الفرات في الكبر ، وتسمية العامة : جهان ، يسير  
من الشمال الى الجنوب بين جبال في حدود الروم ، حتى يمر بالمصيصة من

( ٨ ) المسالك والممالك لابن خردادبة ( ١٠٠ و ١١٠ و ١١٢ ) وقد جاء في ( ١٠٢ ) —  
( ١٠٢ ) وصف طرق تختلف بعض الشيء عن هذا الطريق ، وانظر كتاب  
بلدان الخلافة الشرقية ( ١٦٦ — ١٦٧ ) •

( ٩ ) معجم البلدان ( ٤ / ٤٨ ) •

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

شمالها ، وجريانه عندها من الشرق الى الغرب ، ويتجاوز المصيصة مغرباً ويصب بالقرب منها في بحر الروم (١٠) بمدينة تعرف بكثريا بأزاء المصيصة ، وعليه عند هذه المدينة قنطرة عجيبة رومية من حجارة قديمة عريضة ، فيدخل منها الى المصيصة وينفذ منها فيمتد أربعة أميال ، ثم يصب في بحر الروم (١١) .

أما نهر سيحان الذي يمر ببلاد الروم ، فيجري من الشمال الى الجنوب غربي مجرى جيحان ، وهو دون جيحان قدراً فهو أصغر منه ، ويمر على سور أذنة من شرقها ويتجاوز أذنة ، وهي دون مرحلة عن المصيصة ، ويلتقي مع جيحان تحت أذنة والمصيصة ، ويصيران نهراً واحداً ، ويصبان في بحر الروم (١٢) . ونهر سيحان هو الذي ذكره المتنبّي في مدح سيف الدولة فقال :

أخو غزوات ما تغيب سيوفه رقابهم الا وسيحان جامد

يريد أنه لا يترك الغزو الا في شدة البرد اذا جمد سيحان (١٣)

ونهر حماة ، ويسمى نهر : الأرظ ، والنهر المقلوب لجريه من الجنوب الى الشمال ، ويسمى أيضاً : العاصي ، لأن غالب الأنهر تسقى الارض بغير دوايب ولا نواعير بل بأنفسها تسقى الارض ، ونهر حماة لا يسقى الا بنواعير تنزع منه الماء . وهو يجري بكليته من الجنوب الى الشمال ، وأوله نهر صغير من ضيعة قريبة من بعلبك تسمى : ( الراس ) في الشمال من بعلبك على نحو مرحلة عنها ، ويسير من الراس شمالاً حتى يصل الى مكان يقال له : ( قائم

- (١٠) تقويم البلدان (٥٠) .  
 (١١) معجم البلدان ( ٣ / ١٨٦ ) .  
 (١٢) تقويم البلدان (٥٠) .  
 (١٣) معجم البلدان ( ٥ / ١٩١ ) .

الهرمل ) بين جوسية (١٤) والراس ويسر بوادٍ هناك ، وينبع من هناك غالب النهر المذكور من موضع يقال له : ( منارة الراهب ) . ويسير شمالاً حتى يتجاوز جوسية ويصب في بحيرة : قدس (١٥) ، في غربي حمص ، ويخرج من البحيرة ويتجاوز حمص الى : الرستن (١٦) ، الى حماة ، ثم الى شيزر (١٧) ثم الى بحيرة : أفامية . ثم يخرج من بحيرة أفامية ويسر على : دركوش ، الى جسر الحديد ، وذلك جميعه في شرقي جبل اللكام .

فاذا وصل الى جسر الحديد ، ينقطع الجبل المذكور هناك ، ويستدير النهر المذكور ، ويرجع ويسير جنوباً ومغرباً ، ويسر على سور أنطاكية حتى يصب في بحر الروم عند السويدية (١٨) .

ويصب في نهر الأرنط المذكور عدة أنهر ، منها نهر منبعه من تحت أفامية ، يسير مغرباً الى بحيرة أفامية ، ويختلط بنهر حماة . ومنها نهر في شمالي أفامية على نحو ميلين ويعرف بالنهر الكبير ، يسير مدأ قريباً ويصب أيضاً في بحيرة أفامية ، ويخرجان منها مع نهر الأرنط . ومنها النهر الاسود ، يجرى من الشمال ، ويسر تحت دريساك (١٩) . ونهر يغرا (٢٠) ، ومنبعه قريب يغرا ،

- (١٤) جوسية : قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق انظر معجم البلدان ( ١٧١ / ٢ ) .
- (١٥) قدس : بلد قرب حمص ، تضاف بحيرة قدس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٨٠ - ٨١ ) و ( ٣٥ / ٧ ) .
- (١٦) الرستن : بليدة قديمة بين حمص وحماة ، انظر معجم البلدان ( ٢٤٩ / ٤ ) .
- (١٧) شيزر : قلعة قرب المعرة ، انظر معجم البلدان ( ٣٢٤ / ٥ ) .
- (١٨) السويدية : شمالي اللاذقية ، وهي ميناء أنطاكية ، انظر تقويم البلدان ( ٢٩ ) .
- (١٩) دريساك : بلدة من جند تنسرين ، ذات قلعة مرتفعة ، انظر تقويم البلدان ( ٢٦٠ - ٢٦١ ) .
- (٢٠) يغرا : قرية على نهر باسمها بالقرب من بحيرة أفامية ، انظر تقويم البلدان ( ٤٢ ) .

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

ويصب في النهر الاسود المذكور ، ويصبان في بحيرة أنطاكية ، أيضا . ونهر عفرين (٢١) ، يأتي من بلاد الروم ، ويسر الراوندان (٢٢) الى الجومة (٢٣) ، ويسر في الجومة ويتجاوزها الى العمق (٢٤) ، ويختلط بالنهر الاسود ، وتصير هذه الانهر الثلاثة ، أعني النهر الاسود ونهر يفرأ ونهر عفرين نهراً واحداً ، ويصب في بحيرة أنطاكية ، ويخرج منها ويصب في نهر عاصي حماة فوق أنطاكية بالغرب منها (٢٥) .

أما نهر أنقرة فيسقي مروجها وضياعها ، ويصب في بحر الروم ، وجريانه من الجنوب الى وسط الشمال (٢٦) .

أما نهر هرقله ، فينزل من جبال العلايا (٢٧) الى جهة سنوب (٢٨) ، وهرقله على شرقي هذا النهر قرب البحر (٢٩) .

والبردان نهر بشرطرسوس ، مجيئه من بلاد الروم ، ويصب في بحر الروم على ستة أميال من طرسوس : « ولا أعرف بالشام موضعاً أو نهراً يقال

(٢١) عفرين : اسم بلد على نهر باسمها ، انظر معجم البلدان ( ٦ / ١٨٩ ) ، ويبدو انها قريبة من قنسرين وحلب .

(٢٢) الراوندان : قلعة حصينة وكورة طيبة معشبة مشجرة ، من نواحي حلب ، انظر معجم البلدان ( ١ / ٢١٤ ) .

(٢٣) الجومة : من نواحي حلب ، انظر معجم البلدان ( ٣ / ١٧٦ ) .

(٢٤) العمق : كورة بنواحي حلب ، انظر معجم البلدان ( ٦ / ٢٢٤ ) .

(٢٥) المعلومات الخاصة بنهر حماة من : تقويم البلدان ( ٤٩ - ٥٠ ) .

(٢٦) تقويم البلدان ( ٥٠ - ٥١ ) .

(٢٧) علايا : بلدة محدثة صغيرة في الجنوب من انطاليا على بحر الروم ، انظر تقويم البلدان ( ٢٨٠ - ٢٨١ ) .

(٢٨) سنوب : بلدة بالقرب من القسطنطينية .

(٢٩) تقويم البلدان ( ٥١ ) .

## بلاد الروم

له : البردان غيره « . والبردان أيضاً نهر يسقى بساتين مرعش وضياعها ، مخرجه من أصل جبل مرعش ، ويسمى هذا الجبل : الأقرع<sup>(٣٠)</sup> ، ويصب في بحر الروم ، وهو نهر كوردس القديم .

وعلى مرحلة طرسوس ، نهر كان يؤلف حداً مائياً في الازمنة الاولى ، وهو نهر (لموس Lamos ) ، ساء العرب نهر : اللامس ، وعليه يكون الفداء اذا فودي بين المسلمين والروم<sup>(٣١)</sup> .

ونهر الفرات الذي ينبع من شمالي مدينة أروان الروم وشرقيها ، وأروان في آخر حد بلاد الروم من جهة الشرق ، ثم يأخذ النهر الى قرب ملطية ، ثم يأخذ الى سيساط ، ثم يأخذ مشرقاً ويتجاوز قلعة الروم ، وهي حصن منيع على جنوبي الفرات وغربيها ، ويسر الفرات مع جانب الحصن من شماليه وشرقيه ، ثم يدخل الفرات بلاد الشام ، ومنه الى العراق<sup>(٣٢)</sup> ، وتمت ذكرنا الجزء الذي يسر ببلاد الروم فقط من هذا النهر .

أما نهر دجلة ، فينبع من جبال شهرزور فوق آمد على حدود ارمينية ، ويسر بجبال السلسلة ، ثم بمدينة آمد ومدينة ميافارقين في ديار بكر اقليم الجزيرة قبل أن يصل الى مدينة الموصل .

وقد ذكرنا الجزء الذي يسر ببلاد الروم والجزيرة فقط من هذا النهر ، لان هذا ما نحتاج اليه في هذا المكان<sup>(٣٣)</sup> .

وتكثر العيون في بلاد الروم ، لتساقط الثلوج شتاء ، وذوبانها في الربيع

(٣٠) معجم البلدان ( ٢ / ١١٥ ) .

(٣١) بلدان الخلافة الشرقية ( ١٦٥ ) .

(٣٢) انظر التفاصيل في : تقويم البلدان ( ٥١ - ٥٢ ) .

(٣٣) انظر التفاصيل في : تقويم البلدان ( ٥٢ - ٥٧ ) .

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

والصيف ، فترفد العيون والانهار بهذه المياه •

وعلى كل حال ، فان المياه متوفرة في جميع اصقاع بلاد الروم •

## الموارد الاقتصادية

١ - مجمل الزراعة والصناعة :

بلاد الروم عموما غنية في انتاجها الزراعي ومواردها الطبيعية ، يروها

بضعة أنهر كبيرة وصغيرة ، وعيون كثيرة جداً ، والامطار ومياه التاوج •

وقد ذكر قسم من البلدان المسلمين بعض ما يتيسر في تلك البلاد من

موارد اقتصادية ينعم بها سكانها المحليون ، ويصدرون ما يفيض منهم على

حاجاتهم المعيشية •

فالعلايا كثيرة المياه والباتين<sup>(٢٤)</sup> ، وأنطالية بداخل البلد وخارجه المياه

جارية ، ولها باتين كثيرة من الحضيات وأنواع الفواكه<sup>(٢٥)</sup> • وأنطاكية

موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة

الخير ، تزرع الحنطة والشعير تحت شجر الزيتون ، قراها متصلة ورياضها

مزهرة ومياها متنجرة<sup>(٢٦)</sup> • ومدينة آق شهر (أشار) من ائمه المدن ، وبها

باتين كثيرة وفواكه مفضلة<sup>(٢٧)</sup> وأماسية لها باتين ونهر كبير ونواعير تسقى

بها ، وهي مشهورة بالحسن وكثرة المياه والكروم والباتين<sup>(٢٨)</sup> • وأذنة في

(٢٤) تقويم البلدان ( ٢٨١ ) •

(٢٥) تقويم البلدان ( ٢٨١ ) •

(٢٦) معجم البلدان ( ١ / ٣٥٤ ) •

(٢٧) تقويم البلدان ( ٢٨٢ ) •

(٢٨) تقويم البلدان ( ٢٨٤ ) •

مرج وقرى متدانية جداً وعمارات كثيرة ، وهي على نهر سيحان<sup>(٣٩)</sup> . ومدينة توقات لها باتين وأشجار وفواكه جيدة<sup>(٤٠)</sup> . ومنطقة (سيواس Sebastia مشهورة بثياب الصوف التي تحصل منها ، وهي ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح<sup>(٤١)</sup> . وعمورية لها دخل وافر ، ولها رحي تفل مالا<sup>(٤٢)</sup> ، وبها باتين قليلة ، ولها أعين ونهر<sup>(٤٣)</sup> . أما قيسارية فبلدة كبيرة ، ذات أشجار وباتين وفواكه وعيون تدخل اليها<sup>(٤٤)</sup> . ومدينة قونية لها جبل في جنوبها ، ينزل منها نهر ويدخل الى المدينة من غربها ، ولها باتين من جهة الجبل ، ونهرها يسقى باتينها ثم تصير عنه بحيرة ومروج ، والفواكه بها كثيرة ، وهناك الشمس المعروف بقصر الدين<sup>(٤٥)</sup> الذي يصدر الى العراق والجزيرة وبلاد الشام ، ويسو في مزارعها القطن والقمح<sup>(٤٦)</sup> . ومدينة المصيصة على شاطئ نهر جيحان ، وبها باتين كثيرة يسقيها هذا النهر<sup>(٤٧)</sup> . ومدينة ملطية ذات أشجار وفواكه وأنهار ، ويحتف بها جبال كثيرة الجوز وسائر الثمار مباحة لا مالك بها ، ولها نهر صغير عليه باتين كثيرة<sup>(٤٨)</sup> . ومياه بلاد الروم كثيرة غزيرة<sup>(٤٩)</sup> ، والارض التي بين القسطنطينية وأنطاكية مأهولة مسكونة لاتنقطع

(٣٩) معجم البلدان ( ١ / ١٦٦ ) .

(٤٠) تقويم البلدان ( ٢٨٥ ) .

(٤١) بلدان الخلافة الشرقية ( ١٧٩ - ١٨٠ ) نقلا عن المستوفى .

(٤٢) معجم البلدان ( ٦ / ٢٢٧ ) .

(٤٣) تقويم البلدان ( ٢٨١ ) .

(٤٤) تقويم البلدان ( ٢٨٢ ) .

(٤٥) تقويم البلدان ( ٢٨٢ ) .

(٤٦) بلدان الخلافة الشرقية ( ١٨١ ) .

(٤٧) معجم البلدان ( ٨ / ٨٠ ) .

(٤٨) تقويم البلدان ( ٢٨٥ ) .

(٤٩) صورة الارض ( ١٨١ ) .

## الواء الركن محمود شيت خطاب

سابقتها من نواحي أنطاكية ورستاقها ، وهو رستاق كثير الخير والمير الى خليج القسطنطينية <sup>(٥٠)</sup> ، وما يقال عن اقليم أنطاكية يقال عن سائر أقاليم بلاد الروم .

وما ذكر عن خيرات المدن ، يشمل أقاليم تلك المدن أيضاً وقرأها ، فهذه البلاد زراعية بالدرجة الاولى ، وأرضها مزروعة أو مروج ومراعٍ للأغنام والماشية والأبقار والخيول والبنغال والحير .

وحاصلات البلاد الزراعية تتلخص في : القمح ، والشعير ، والعدس ، والحمص ، والبقلاء ، والبصل والثوم ، والقطن ، وأنواع الفواكه ، والحمضيات ، وأنواع المخضرات ، والزيتون ، والجوز ، واللوز ، والتسحق ، والبنديق ، والبلوط ، والكروم .

ويصنع فيها النبيذ ، وتربى بها دودة القز <sup>(٥١)</sup> ، والاعناب ، والمواشي ، والأبقار ، وتصدر الى بلاد الشام والجزيرة والعراق المواشي والاعناب والأبقار والبنغال .

أما الصناعة في البلاد ، فموجزها هي : أن المصيفة كانت تعمل بها الفراء التي تحل الى الآفاق ، وربما بلغ ثمن الفرو ثلاثين ديناراً <sup>(٥٢)</sup> ، وكانت سيواس مشهورة بثياب الصوف التي تحل منها <sup>(٥٣)</sup> ، وكانت تجلب السلع الى طرابزون من القسطنطينية ، وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليوناني ، وثياب الصوف والديباج ، والأكسية الرومية ، وكلها يجلب من الخليج أي

(٥٠) صورة الارض (١٨٢) .

(٥١) الجغرافية العمومية (١٨١) .

(٥٢) معجم البلدان ( ٨ / ٨٠ ) .

(٥٣) بلدان الخلافة الشرقية (١٦٨) نقلا عن : صورة الارض لابن حوقل .

الفسفور ، وكان في ملقونية يقطع الرحي لتلك البلاد من جبل تلك المدينة (٥٤) .  
٢ - الزراعة :

كانت الارض أسلم أنواع الاستثمار المالي ، لأن الأرض شيء ثابت ، فوضع صاحب رأس المال ماله في الارض ، وكذلك فعلت الدولة ، لأن الارض كانت أرضن موارد دخلها ، وكان الكيان المالي تبعاً لذلك ، يستند في الدولة البيزنتية على دعامة رئيسة هي ضريبة الارض التي كانت تجبى في كل مكان بشدة وقسوة وبدون لين أو رحمة .

وكانت ضريبة الارض تجمع على شكل جزء من محصول الارض ، لتموين الجيش والموظفين المدنيين ، وكان على الولايات أن تقدم من ضرائبها الجرايات التي لم يكن الامبراطور على استعداد لشراؤها ، فكان يصدر مرسوم يسمى : ( التفويض الالهي ) تقدر فيه نفقات الامبراطورية ، ومقدار ما ينبغي على الفرد دفعه في العام التالي .

وقد قسمت الارض الى درجات ، روعى في تقسيمها قدرة تربتها على اى الانتاج : فهناك الصحراء التي لا يبلها القطر فتعجز عن الانبات ، وهناك الأرض التي يمكن استصلاحها ، وهناك أرض تغذيها الأنهر مباشرة أو بالنواتير ، وهناك أرض تغرسها المياه فيتعذر النمو على البذور . وتتوقف درجات الانتاج الزراعي على هذا التصنيف الواضح للارض ، وكانت الدولة تفرض حقوقها على المزارعين بعد أن تصنف وتسجل هذه الاختلافات في نوعية الارض ، وتضع خطأً بياناً يحدد طاقة كل منهم . فمثلا كانت الوحدة المكونة من خمسة أفدنة من الكروم ، تساوي عشرين فدانا من الارض المحروثة ،

(٥٤) معجم البلدان ( ٨ / ١٥٢ ) .

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

وتساوي خمسا وعشرين ومائتي شجرة من الزيتون اذا كانت الارض تلالا .  
 وكانت هناك ثلاثة أنواع من الارض المزروعة ، جعلت مساحة الواحدة منها  
 عشرين فدانا وأربعين فدانا وستين فدانا ، بالنسبة لانتاجها الزراعي كل سنة .  
 وهكذا قسمت الأرض المنتجة الى وحدات ضرائبية ، تقدر على الأغلب  
 بناء على شهادة أصحاب الأرض في مدد منظمة بين حين وآخر ، وكانت هذه  
 الضريبة تجبى على الأرض المخلوطة .

ومن الواضح أن نظاما كهذا النظام ، لم يكن ليستطاع تطبيقه بنجاح  
 الا اذا احتفظ بالتعادل بين وحدات الأرض ووحدات العمل التي كانت مرتبطة  
 بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، وكانت المحافظة على هذا التعادل مصدر قلق  
 للمالك والحاكم البيزنطي ، وكان من نتائج هذا القلق الدائم تصميم الحكومة  
 على ربط الفلاح الحر (معر الأرض Colonus ) بالأرض التي يحرقها .

وعلى ذلك ، حين يقرر (التخويض الالهي) حاجة الامبراطورية من المال  
 اللازم لادارتها في السنة المقبلة ، توزع هذه الكمية الضخمة من المال المطلوب  
 على ألوية الامبراطورية ، ويقوم حاكم اللواء بتقسيمها بين الولايات التي  
 ينقسم اليها لوائه ، ثم يعهد لحاكم الولاية بتوزيع هذا الحمل بين بلديات  
 الولاية ، ويعهد لأعضاء البلديات تقرير ماتدفعه كل من القرى الواقعة في نطاق  
 بلدهم ، وأخيرا يقوم موظفو القرية بتقدير المبلغ الذي يخص كل وحدة ضريبة  
 في نواحيهم .

وكان هناك ميل قوي خلال القرن الرابع لليلاد ، لاستبدال ما يعادل  
 الضريبة العينية من المال بالضريبة العينية ، وانهى الأمر بتعسيم قبض الضريبة  
 مالا لاعينا ، وجعل ذلك اجباريا ، وأصبح (التخويض الالهي) يقرر الضريبة  
 المالية المعادلة لها في نفس الوقت .

وكان الحاكم المطلق يضع نصب عينيه دائما ان يهيء لرعاياه بأي ثمن ،  
الوسيلة لزراعة الأرض وتوفير الأيدي العاملة لها . ولهذا كان رجال الدولة  
البيزنطية ينظرون الى ما كان يعد اليه الفلاحون الأجرار من العمل عند غيرهم  
بالتعاقد مع من يعطيهم أكبر أجر مسكن ، على أنه خطر اقتصادي ، فربطوا  
الفلاح بالأرض التي يشتغل عليها . وهكذا أصبحت الطريقة التي يعسر بها  
الناس الأرض تقوم على أساس تشرعي ، ذلك أن معمر الأرض كان شخصا  
متسيزاً عن العبد ، وكان يعتبر عاملاً حراً له الحق في أن يحوز أرضاً وأن  
يملكها ، الا أنه أصبح مجبراً على القيام بواجبه في زراعة قطعة معينة ثابتة  
له من أرض الدولة ، أو الأرض الداخلة في حدود أرض يمتلكها مالك كبير .

ولم يقف الأمر عند اجبار الناس على الاستقرار في قطع معينة من الأرض  
والزامهم بزراعتها ، بل ألزمت الجماعة بعد ذلك بضمان هذا الالتزام ، وأصبح  
مفروضاً على هيئة كبراء كل بلد الذين كانوا يكونون مجلسها ، أن يلتزموا  
بسداد الضرائب المستحقة على البلد وما يحيط به من القرى في حالة ما اذا  
هرب أحد الملاك ولم يخلفه في القيام بالتزاماته أحد . وما دامت المدينة  
تتحمل هذه المسؤولية الاجتماعية ، فقد أصبح من الضروري أن يوضع ضمان  
لذلك لصالح الخزانة ، فكونت مجالس جديدة لتحمل هذا العبء . وترينا  
سجلات ذلك العصر ، كيف كان هذا الحمل ثقيلاً ، فبينما كان الفنى يستطيع  
أن يرشو ليحصل على الاعفاء ، كان الفقير لا يجد من يمينه حيثما وجه وجهه ،  
وليس أمامه الا القنوط والاستلام أو الهرب بجلده . واذا هجر أرضه ، فإن  
المال المقدر عليه ، يقع على كاهل الباقين في أرضهم . وهدد الخراب الطبقات  
المتوسطة ، وأخذ القروي والمزارع يبحث عن يحميه من مطالب الدولة ، وكان  
المالك الكبير على استعداد للقيام بحمايته ، فتمكن بذلك من أن يحقق غاية  
في نفسه ، اذ أصبح ولياً للقرية يدين له أهلها بالولاء ، وأخذت هذه العلاقة

بينهم وبينه أشكالاً عديدة كان أشيعها أن يتنازل المزارع لذلك المالك الكبير عن أرضه ، ويصبح مزارعاً عنده .

وقد تميز القرنان الخامس والسادس لليلاد ، بنمو قوة الملاك الكبار ، وأصبح تاريخ الامبراطورية من وجهة الزراعة نزاعاً بين الدولة وهؤلاء الملاك الكبار . وشهد القرن السادس الميلادي جماعات من المواطنين يكوون عصابات مسلحة ، وكانت هذه العصابات تهديداً مباشراً للأمن في الولايات ، وكانت خصومات النبلاء الكبار صوراً للرعب المقيم ، وكانوا بعصابتهم المنظمة يتحدون السلطات المدنية ، ولكن غزوات الصقالبة من الشمال ، وغزوات الفرس والعرب من الشرق والغرب ، استطاعت أن تكسر شوكتهم .

وحين انتب النظام ثانية في عهد بيت هرقل ، كانت هناك فرصة للمالك الصغير ، الا أن الملاك الكبار ، بذلوا محاولات لتسكين سلطانهم على المزارعين الصغار .

وبالامكان التأمل في حياة المزارع القروي البيزنطي ، ولكن علينا أن نميز قبل كل شيء بين القرية الحرة والقرية المملوكة لواحد من كبار الملاك . كان الفلاحون في كلتا القريتين مرتبطين بالأرض التي يزرعونها ، الا أن الأرض في القرية المملوكة للسيد ، يكون مالكة هو المسؤول أمام الدولة عن جميع الضرائب بالنيابة عن عبيده من ليس لهم الحق في امتلاك الأرض ، فهي دائماً تحت تصرف سيدهم . أما الأرض في القرية الحرة التي يكتنها المعبرون ، فتخصص جماعة القرية أو المزارعين أنفسهم ، وكان هؤلاء أحراراً في امتلاك الأرض أو التصرف بها . وإذا دخلنا قرية حرة ، لرأينا أرضها تشتتل على الكروم والبساتين التي كانت تزرع فيها الخضر ، وكذلك الأرض المفلوحة والمراعي . وكانت الكروم والبساتين تحاط بخنادق وسياجات شائكة تشدها

الأوتاد ، وكانت الماشية تتعرض للأذى إذا اقتحمتها . أما الأرض غير المفلوحة فلم تكن مسورة ، وكانت على الاغلب ملكاً للأفراد يستطيع المزارع أن يتصرف بها كما يشاء في حدود ملكية جماعته . وكانت المراعي تكون الأرض غير الصالحة للزراعة ، كالأحراش التي لم تقطع أشجارها ، والأرض الوعرة ، وكانت هذه المراعي تقع في أطراف القرية بعيدة عن مركز الحياة فيها ، وكانت على الأغلب ملكاً للجماعة ، ثم يمتلكها المزارعون قطعة قطعة ، ثم تنظف وتمعد للزراعة ، ثم تقسم على المزارعين ، وبهذا تدخل قطع جديدة في ملكية الأفراد . وقد تكون الأحراش ملكاً للأفراد ، فإذا أراد أحد المزارعين أن يزرع قطعة منها ، طلب الى صاحبها أن يأذن له بزراعتها ، ويستطيع بذلك أن يستثمرها ويحتفظ لنفسه بفلتها ثلاث سنين تعود بعدها الى صاحبها ، ولكنه إذا زرعها بدون إذن ، فقد الحق في المطالبة بحصولها .

وكان رعاة الماشية يسوقونها في الصباح الى هذه الأحراش العامة لترعى ، تصحبهم كلابهم القوية الشرهة ، حتى اذا اصطبح الأفق بحمرة الشفق عادوا بها الى حظائرهم . وكان كل خروف أو ثور يحمل جرساً حول عنقه لتلا يضل ، وإذا تجرأ لص وقطع الجرس وتسبب عن ذلك ضلال الحيوان وضياعه ، ألزم بدفع تعويض مقابل تلك الخسارة .

وكانت دعامة ثروة جماعة القرية هو ما تملك من قطعان الماشية بأنواعها ، وكان الراعي يأخذ أجره على عمله ، فيعهد اليه المالك الصغير بشوره الخاص وخروفه فيرعاهها مع القطيع : فإذا شرد حيوان وأحدث ضرراً للأرض المزروعة أو الكروم ، لم يضع على الراعي أجره ، ولكن ألزم بتعويض الخسارة . وكانت الحيوانات المفترسة تحوم حول القرية ، كالذئاب التي كانت تترصد الخراف والحمير لتفترسها ، وإذا هاجمت هذه الوحوش القطيع ليلاً ، فالويل كل

## اللقاء الركن محمود شيت خطاب

الويل للص الذي يتضح أنه سرق كلب الحراسة ، اذ كان يلزم بدفع قيمة الخسارة ، فيدفع تعويضات عن القطيع كله والكلب . وكان يسمح للماشية بعد حصاد الأرض أن ترعى بقايا الزرع ، الا أنه لم يكن يسمح لرجل أن يطلق ماشيته في أرضه الا اذا فرغ كل جيرانه من حصادهم .

أما مكانة المزارع ، فقد يكون صاحب حصة من الأرض ، ويستطيع في هذه الحالة أن يتصرف بها تصرفاً مطلقاً في حدود دائرة جماعته . وقد يكون مستأجراً للأرض ، وهو في هذه الحالة أحد اثنين : اما مزارع لمزرعة في حالة جيدة ، أو مستأجر لأرض لم تكن تزرع على شرطة أن يمدها لصاحبها بعد أجل معين ، ففي الحالة الأولى يقوم المالك بتقديم المال الرئيس لاقامة ما يلزم من المنشآت في المزرعة ، ولا تؤجر المزرعة في هذه الحالة الا لمدة قصيرة قد تكون سنة ، فيدفع المزارع للسيد أجراً باهظاً يبلغ نصف المحصول السنوي، وهو ما يقابل في حابنا أكبر ايجار يمكن دفعه ، وعلى المؤجر في الحالة الثانية أن يقدم رأس المال ، أي أنه في واقع الأمر يقوم بإنشاء مزرعة جديدة ، ويكون استجاره للأرض على هذا اما للأبد أو لعدد كبير من السنين ، ويدفع عادة أجراً يساوي عشر المحصول . وربما كان يلزم بمقتضى شروط أخرى ، أن يؤدي لصاحب الأرض بعض الخدمات ، أو أن يؤدي اليه كميات من المحصول .

وكانت روابط القرابة في الجماعات القروية متينة جداً بطبيعتها ، واذا وجدنا فلاحين مشتركين في ملكية أرض ، فلا بد أن نجد أنهما متصاهران في نفس الوقت غالباً . فاذا أراد أحدهما أن يبيع نصيبه كله كان لقريبه حق الشفعة اذا دفع ثناً ماوياً لما يدفعه أي غريب عنهما ، وحتى اذا لم يكن المتجاورون أقرباء وكانوا شركاء ، تسعوا بحق مشابه .

لكن حق المزارع الحر في التصرف لم يكن يخلو من خطر ، فقد كان

المالك الكبير دائم السمي لتوسيع ملكه ، فكان من السهل عليه أن يضطر المالك الصغير الحر الى التخلي عن أرضه لجاره القوي . وحاول التشريع الاصلاحى فى القرن العاشر الميلادى أن يحرم على المالك الكبير حيازة أرض علوة على أملاكه الأخرى فى حدود أرض القرية ، سواء كان ذلك عن طريق الهبة ، أم لاعتبار آخر مهم ، وسواء أكان ذلك المالك سيداً مدنياً أم هيئة كنية . ولكن هذا المنع لم يكن ليعيش طويلاً فى هيئته هذه ، ولهذا عدلت القوانين ، وأخذت بالقاعدة التى تقول بأن انتقال الملكية لا يصح الا بين ناس من نفس الطبقة الاجتماعية ، الفقير ينقل للفقير ، والغنى للغنى ، أى كل لمن هو من طبقتة فى كل حالة . وتداعت القاعدة القانونية لنقل الملكية نقلاً مطلقاً من كل قيد أمام ما كانت السياسة تفرضه على رجال الدولة من حماية الضعيف ، وظل مركز المالك الكبير القوي بالنسبة للمزارع الصغير الضعيف ، فى الامبراطورية البيزنطية الشرقية وسلامته يعتبران القاعدة التى يجب أن تخنى أمامها سائر النظريات القانونية ، وبقي المجتمع مقسماً الى طبقات بعضها فوق بعض ، وكان ذلك دعامة بناء المجتمع فى القرن الرابع الميلادى ، كما كان دعامة فى القرن العاشر الميلادى أيضاً (٥٥) .

### ٣ - التجارة والصناعة :

كانت التجارة مع الشرق تحتل المكان الأول من الأهمية بالنسبة لاطاليا فى عصور الامبراطورية الاولى ، فقد كانت تتورد من الشرق أسباب الترف التى كانت قد أصبحت من ضروريات الغرب . وكانت التجارة مع الشرق

(٥٥) مقتبس من الفصل السادس ، بعنوان : ملكية الأرض والضرائب ، كتاب : الامبراطورية البيزنطية - نورمان بيتز - تعريف الدكتور حين مؤسس ومحمود يوسف زائد - ط ٢ - القاهرة - ١٩٥٧ . ص ( ١٢٩ - ١٤٦ ) .

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

لاتزال تستنزف معظم نشاط تجار الروم ، بعد أن نقلت العاصمة من رومة الى القسطنطينية . وكانت الدولة بدورها تبدي اهتماما بالتجارة ، اذ أن كنوز الهند والصين التي كانت الدولة تغدقها على أمراء القبائل المتبريرة في الغرب ، كانت كافية للإبقاء على سيادتها الامبراطورية حتى في النواحي التي لم تكن جيوشها قادرة على السيطرة عليها .

وكانت هناك ثلاثة طرق يمكن للمنتجات الشرقية أن تصل عن سبيلها من الشرق الأقصى الى التاجر الرومي : كان أقصرها يعبر واحات بلاد الصغد (سمرقند وبخارى) مخترقاً فارس ، ومن ثم الى حدود الامبراطورية البيزنطية . والثاني يخترق المحيط الهندي الى البحر الأحمر ، والثالث وهو طريق أكثر صعوبة ، يستد من وسط آسيا الى بحر الخزر ، ومن ثم الى البحر الأسود بعيداً عن دولة فارس . وقد ازداد الاقبال على الحرير بصورة مضطردة مع زيادة أسباب الترف ، وأصبح ارتداء الثياب الحريرية المصنوعة من الحرير الخالص في هذا العصر مألوفاً في الحياة البيئية ، وأخذت الكنيسة أيضاً ترحب بهدايا من هذه المادة الثمينة للالبة الكهنوتية والستر والأغلبية ، ولتزيين المذابح — بعد أن كانت أول الأمر ترفض استخدام الحرير للأغراض الدينية ، بينما احتكرت الدولة صنع أشكال معينة من ثياب الحرير كانت تلبس في مراسم البلاط . وكانت الدولة على كل حال تعتمد على القوافل التي تقطع فارس في امدادها بهذه المادة الجديدة . وقد لحق بتجارة الروم ضرر كبير من جراء عرقلة المواصلات ورفع ثمن المادة الحريرية الخام ، وكنتيجة لتحصيل البضائع المستوردة ضرائب كمركية باهظة قبل أن تجتاز الحدود الى بلاد الروم ، وبسبب الحروب البيزنطية الفارسية .

ومنذ القرن الخامس الميلادي ، أخذت الدولة تتدخل في التجارة ،

## بلاد الروم

فقصرت السماح بشراء الحرير على وكلاء الدولة في الحدود ، لكي لا يكون لها منافس ، ومن ثم يباع الى الأفراد بالسعر الجاري بمعدئذ .

وجلبت شرائق دود القز الى بلاد الروم في أواسط القرن السادس الميلادي ، وبدأت أشجار التوت تزرع ، وأخذت الامبراطورية البيزنطية تنتج ما يلزمها من الحرير ، وظلت الدولة تحافظ على احتكارها لصناعة الحرير باهتمام ، وتستخدم الوف العمال في ذلك .

وفي خلال النصف الأخير من القرن السادس الميلادي فتح طريق التجارة الشمالي بعد انقطاعه ، وكانت موانئ القرم تاجر مع الهون وجنوب روسيا ، فتجلب الجواهر وتخف الصناعة الرومية الفاخرة وتبديل بها الجلود والعبيد من الشمال ، بينما كان أهل قبائل القوقاز يبعون الجلد والفرو للحصول على القمح والملح والخمر .

وكان طريق التجارة الجنوبي أهم من ذلك بكثير ، حيث تمر التجارة الهندية والصينية والحشية بالبحر الأحمر ، وكانت سيلان أهم مركز تجاري في حينه ، يلتقي على أرضها تجار الشرقين الأقصى والأدنى وتجار الهند والحشة والصين . كما كان للروم تجارة مع الروس ، واستطاع الروس دخول القسطنطينية على شرطه أن يكون دخولهم من بوابة واحدة غير مسلحين ، وألا يدخل أكثر من خمسين منهم في المرة الواحدة ، وهناك كانوا يستطيعون قضاء الصيف على ألا يطول مكثهم عن ذلك . وكانت الحكومة البيزنطية تهيب المسكن والطعام والحمامات للتجار الروس طول مدة زيارتهم دون مقابل ، وكانت تختص رسل أمير (كييف) الروسية للتجارين بنسخ خاصة ، فلم تكن تحصل من التجار الروس على ضرائب كمركية . وكانت التجارة جميعها تقريباً تجري على أساس المقايضة ، فكان الفراء الروسي والشمع والعبيد تقايض

## الوَاء الركن محمود شيت خطاب

بالخمر اليونانية والفواكه والأقمشة الحريرية . وكانت الدولة البيزنطية تجهز التجار عند رجوعهم بالمؤن اللازمة لهم أثناء رحلاتهم ، كما كانت تمنحهم أدوات لسفنهم كالمراسي والحبال الضخمة والصغيرة والأشعة ، مما كانوا بحاجة إليها لاصلاح سفنهم وادامتها .

وفي القرن العاشر الميلادي ، أصدرت الدولة البيزنطية مجموعة القوانين لنقابات القسطنطينية التجارية . وأبرز مواد تلك القوانين ، تلك التي تنص على منح الحماية للمستهلك والمنتج على السواء ، فكانت الدولة تحرم على التجار جمع البضائع من السوق بقصد رفع الثمن والانتفاع من ذلك ، وكذلك كان من المحرم شراء البضائع جيلة والكسب من وراء بيعها تفاريق ، فكان يجب - في حدود الامكان - أن يشرى كل شيء ويباع دون تدخل الوسطاء . ووضعت مادة تحفظ للعامل أجره الذي يستحقه ، وتكبح جشع الراساليين ، وتمنع احتكار أقلية غنية لصناعة ما . وكان المشتغلون بكل حرفة من الحرف يجتمعون في نقابة خاصة بهم ، وكان الجمع بين عضوية نقابتين في وقت واحد محرماً . وفي الحالات التي تمس مصلحة الدولة ، كحالة التعمير مثلاً ، نجد أن القواعد التي كان أعضاء النقابة الخاصة بذلك الموضوع خاضعين لها ، مفصلة تفصيلاً خاصاً ، فكانت الحكومة تقرر الثمن التي تشتري به المواد الخام وسر بيع الماكولات ، ويظهر أنه كان في استطاعة الدولة أن تطلب بعض الخدمات من النقابات دون مقابل ، وربما كان هذا لتقليد يوناني قديم ، كانت الدولة تفرض بموجبه على مواطنيها الأغنياء أن يتطوعوا للقيام بخدمات لها . وربما كان تعيين رؤساء النقابات يتوقف في كل حالة على موافقة محافظ المدينة ، بينما كانت الدولة تشترط لكي تسهل عليها مراقبة كل المبيعات أن تكون العمليات علنية ، وكان من المحتم أن تتم هذه العمليات في أماكن معينة محددة لكل حرفة . وكان للنقابة وحدها أن تشتري المواد ثم توزعها على

أعضائها ، وكانت تلك الصفقات التي يقوم بها مولفون النقابات لاتهم الا في مواضع معينة . وكان انتهاك حرمة هذه النظم يعرض مرتكبها للعقاب بالفصل من النقابة ومصادرة املاكه ، أو بتفريسه مالا ، أو بجلده وقص شعر رأسه ولحيته ، واذا كانت الحالة أكثر خطورة ينفى أو تقطع يده . وكان على التجار الأجانب حال وصولهم العاصمة ، أن يخطروا السلطات الحكومية ، ولم يكن باستطاعتهم أن يكثروا في العاصمة أكثر من ثلاثة أشهر الا بموجب اتفاق خاص . واذا انتهت هذه المدة دون أن يبيعوا بضائعهم ، قامت الدولة بوضع الترتيبات لبيعها . وكان كل ما يشترونه من البلدة تسفها خاضعاً لرقابة دقيقة، ولم يكن يسح لهم أن يحملوا معهم شيئاً من الأمتعة التي كان تصديرها محرماً كالمواد الحربية المتميزة . وكانت الحكومة تكشف عن كل البضائع كشفاً دقيقاً ، فاذا ابيح بعدئذ تصدير بضاعة ما ، طبعت بخاتم الدولة .

غير أن التجارة البيزنطية اضطلت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد ، لأن الدولة اضطرت الى أن تمنح مدينة البندقية امتيازات شديدة الخطر ، في مقابل الحصول على معاوتتها ، وذلك بعد أن أخفقت في الاحتفاظ بأسطولها . ولاشك في أن هناك أسباباً عدة لاضحلال التجارة البيزنطية ، وحبنا أن نذكر سبباً يظهر أنه قد لعب دوراً مهماً ، وهو : لم يكن أغنياء الروم على استعداد لأن يجازفوا برؤوس أموالهم في تجارة تذهب الى ما وراء البحار ، بل كانوا يفضلون استثمار أموالهم في الأرض ، لأن الاخطار البحرية كانت في الواقع عظيمة : أخطار شبوب النار في السفن ، كما كان هناك ناس كثيرون يتربصون بالسفن على الشواطئ لأغراقها ، وكانت هناك أخطار لصوص البر وقرصان البحر . وكانت السفن تتعرض لما يسمى بالقصاص ، وذلك أن دولة من الدول تمنح لرعاياها ، الذين أنزل بهم حيف من دولة أخرى ، الحق في أن ينتقموا لأنفسهم بمهاجمة كل سفينة تابعة للدولة التي اعتدى

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

أهلها على رعاياها . وهناك خطر الوقوع في يد القرصان المسيحين المتدينين ، الذين يكسبون عن هذا الطريق المال الذي يعينهم على الخروج للحج الى بيت المقدس .

ومن هنا ، كانت السفن تسير جماعات في قوافل لتبادل المساعدة ، وكانت تحل رجالاً مسلحين للدفاع عنها .

لهذا لم يكن أغنياء الروم متعددين للمجازفة بأموالهم في مخاطر التجارة البحرية ، فكانوا يستغلون أموالهم في شراء الأرض وتشييدها ، فاضحلت تجارة الروم ، وتفوقت عليها تجارة البندقية فواقاً بعيداً (٥٦) .

أما خلال القرنين التاسع والعاشر للميلاد ، فكان الصانع منهكاً في أشغاله ميورا ، فدولة الروم لم تعرف عهداً في تاريخها زهت فيه الصناعة والتجارة زهوما في هذين القرنين . ولم تكن القسطنطينية في أي وقت من أوقاتها أكثر تاجاً وأوفر ربحاً ، وأصبحت بوفرة مالها وحذق صناعها أم المال والذهب والفن والمعائب للعالم أجمع ، وقصدها أمير الصناع وأطبع التجار من سواحل البلطيق حتى الأسود والأدرياتيكي ، ومن ارمينية والقوقاز حتى اسبانيا والبرتغال ، وتمنى بذخها وثروتها أمراء الاقطاع شرقاً وغرباً .

فعلوة على البقالين واللحامين والخبازين والبائنين والنحاتين والرخامين والنجارين والحدادين والخياطين والرسامين ، كان هناك طبقة من التجار والصناع يعنون بنسج الحرير وصبغه وتزيينه بالرسوم وبالفضة والذهب ، وهؤلاء أدهشوا العالم بدقة صنمهم ومهارتهم ، فجمعوا أموالاً طائلة ، وجعلوا من القسطنطينية قلة أظفار أهل البذخ والترف في الشرق والغرب معاً . كما

(٥٦) مقتبس من الفصل الثالث عشر : التجارة من كتاب الامبراطورية البيزنطية .

أن صناعة الروائح العطرية لم تقل شأنًا عن صناعة الحرير .  
 وشجعت الحكومة هذه الصناعات وأخذت أسرارها ، وظلمت أمورها ،  
 ثم حست هذه الصناعات من مزاحمة الاجانب، فحددت الاستيراد أو منعتة<sup>(٥٧)</sup> .  
 لقد كانت تجارة الروم وصناعتهم في تقدم تدريجي حتى نهاية القرن  
 العاشر الميلادي ، حيث بلغت أوج تقدمها ، ثم اضمحلت بعد ذلك خلال  
 القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلادي ، فتأخرت وتقدم عليها غيرها من  
 الأمم ، كما ذكرنا ذلك .

### تاريخ بلاد الروم قبل الفتح الاسلامي

#### وفي أيامه الاولى

#### ١ - مولد الامبراطورية البيزنطية :

الروم عند العرب قبل الاسلام وبعده هم الرومان وخلفاؤهم البيزنطيون،  
 والبيزنطيون عند أنفسهم روم ، أي رومان . وعاصمتهم : ( رومة الجديدة )  
 أي القسطنطينية ، ولا يزال الروم الأرثوذكس يدعون القسطنطينية مركز  
 البطريرك المسكوني حتى يومنا هذا : ( رومة الجديدة ) .

واللفظ : روم في نقوش الصفا اسم بلاد واسم شعب ، وورد اسم الروم  
 في القرآن الكريم في : ( الم . غَابَتِ الرُّومُ . في أدنى الأرضِ وهمُ  
 من بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيْفَابُونَ )<sup>(٥٨)</sup> . في آية واحدة ، مرة واحدة فقط ،

(٥٧) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب -

الدكتور أسد رستم - ص ( ٢ / ٩٦ - ٩٧ ) - بيروت - ١٩٥٦ .

(٥٨) الآيات الكريمة من سورة الروم ( ٣٠ : ١ - ٢ ) .

## الواء الركن محمود شيت خطاب

وحملت السورة التي جاءت فيها تلك الآية الكريمة اسم : سورة الروم ، وهي من السور المكية (٥٩) .

وكانت رومة ، عاصمة الروم الاولى ، ولكنها تدهورت لأسباب كثيرة نذكر أهمها بإيجاز شديد .

فقد كان من جراء التوسع العكري الروماني ، أن تعاضم كبر قادة الجيش وضباطه وحكام الولايات وكبار الموظفين ، فعادوا الى أوطانهم متمتعين بجميع ضروب الترف ، مشبعين بنظرسة من ذاق لذة السلطة المطلقة ، بعيداً عن وازع الشريعة الرومانية وقيود النظم الجمهورية .

وتهاقت الأغنياء والكبراء على اقتناء المزارع الواسعة المترامية الأطراف ، وحشروا فيها ما ملكوا من أرقاء . ولم يقو المزارع الصغير على مزاحمة جاره المزارع الكبير ، فضم أرضه الصغيرة الى أرض جاره الكبيرة ، وربط نفسه بتلك الأرض الى الأبد . ومع أن هذا النظام الاقطاعي لم يجعل من المزارع الصغير الذي لا أرض له رقيقاً لسيده ، فانه فقد حريته في أن يذهب حيث يشاء . وكانت حياة الرقيق في هذه المزارع الكبيرة شاقة تعبة ، وكان يكوى بياسم ليقى الوسم علامة يعرف بها عند الفرار ، فنفر الرقيق من صحبة سيده ، واتقبضت نفسه عن العمل له باخلاص وأمانة . وتضاءلت على الأيام حقوق القمح وبساتين الزيتون وكروم العنب ، وبار قسم من المزارع وترك لينبت فيه العشب والدغل . واعتمدت رومة على قمح مصر وجوبها لتغذية أبنائها وأبناء المدن الإيطالية الاخرى ، وقلت الأيدي العاملة لهجرة الفلاحين الى المدن ، فبارت الأرض لهذا السبب أيضا ، وضعف الانتاج الزراعي .

(٥٩) المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم (٢٢٩) - محمد نؤاد عبدالباقي - القاهرة - ١٣٧٨ هـ .

وكان هناك عداء مزمن بين الفقراء والأغنياء . فثار الأرقاء أكثر من مرة على سادتهم ، وشر المزارعون الصغار في ايطاليا وغيرها وأحرقوا المزارع الكبيرة التي أنشأها كبار الملاكين . بيد أن الأرقاء لم ينظفوا صفوفهم . ولم يكن لديهم في وقت من الأوقات برنامج سياسي معين يسمون لتحقيقه ، وجل ما بلغوا اليه أنهم كرهوا أسيادهم وثاروا في وجوههم وتمنوا زوال نعمتهم ، وذلك بعمليات متفرقة في غالب الأحيان .

وأدى توسع رومة في الشمال والجنوب والشرق والغرب ، الى توسع مسائل في أفق أبنائها العاملين في حقل الصناعة والتجارة ، فخرجوا من ايطاليا الى الولايات الجديدة يوظفون أموالهم فيها ، وقام من أبناء هذه الولايات نفسها ، ولاسيما الشرقية منها ، من شاطر هؤلاء عليهم واتاجهم ، فنشطت الزراعة والصناعة والتجارة في الولايات . ومع الزمن ، فقدت ايطاليا سيطرتها الاقتصادية التي كسبتها في حروب التوسع المتتالية ، وقل إنتاجها الصناعي وتدنى ، فأصبح في مستهل القرن الثالث الميلادي قليلا ، فقل الدخل عموماً وقل دخل الدولة ، لتأخر الصناعة والتجارة وانحسار دخلها ومواردها ووارداتها .

وكانت الخدمة العسكرية في أوائل عهد رومة محصورة في المواطنين الرومانيين ، ولما جاء يوليوس قيصر منح حقوق المواطن الروماني لبعض وجوه الولايات وأعيانها . وقضت ظروف الحرب والاستيلاء والتوسع بتكبير الجيش ، فوجدت رومة أبناء الولايات في وحدات مساعدة ، ثم تساهلت رومة مع كل من لمست فيه استعداداً لتضمها والامتزاج بأبنائها ومنحته هذا الحق الكبير . وفي سنة (٢١٢م) أبيع هذا الحق لجميع سكان الامبراطورية ، فأصبح الجيش مؤلفاً من جميع عناصر حوض البحر الأبيض المتوسط ، مما أدى الى انحطاط الجيش الذي أصبح ضخماً في كميته هزئياً في كميته .

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

كما أن التوسع العسكري الكبير ، أدى الى تغير آخر في الجيش ، فالحدود الشاسعة الطويلة ، والاعمال الحربية المتابعة ، قضت بتطويل مدة الخدمة العسكرية . والانحطاط الاقتصادي اضطر الحكومة الرومانية الى أن تقطع جنود الحدود أرضاً يحرقونها ، وأن تجيز لهم أن يتأهلوا وقيموا في أكواخهم قرب الحدود ، ففضى الجنود حياتهم بأكملها في خدمة الجيش ، وأصبحوا طائفة عسكرية تعيش لنفسها لا جيشاً من الشعب يقوم بخدمة الدولة .

كما عجل كثيراً في انحطاط الجيش ، أن الجند أصبحوا يختارون من يرضون عنه ليصبح امبراطوراً ، ويمزلون من لا يرضون عنه ويعينوا مكانه غيره ، كما أمسى الامبراطور نفسه قليل المهابة والاحترام ، وهذا أدى الى انهيار الضبط والربط في الجيش ، ولا قيمة لجيش لا يتحلّى بالضبط العالي والربط المتين .

وكان الامبراطور في بدء الامر وجيهاً رومانياً كبيراً خول سلطة عسكرية واسعة في ظروف حرية قاهرة ، وكانت هذه السلطة أو القيادة تنتهي باتهاء الحرب . ثم جاء الامبراطورية بطولها وعرضها وتعددت مشاكلها ، فوكلت رومة القيادة الى رجل واحد طوال عمره . وبقيت سيادة الدولة الرومانية تظل هذا الامبراطور الفرد ومنها يتمد سلطته ، وبقي هو ممثل الجمهورية الاوحد ، واستحق لقب : ( أوغسطس ) أي قديس لأنه كان في نظر الرومانيين رمز آلهة رومة الحي . وانحصرت السلطة التشريعية بيد مجلس الشيوخ ، وكذلك ادارة الدولة وفرض الضرائب وجبايتها ، ولما كانت القوة العسكرية بيد الامبراطور ، كان من الطبيعي جداً أن يتناول على حقوق مجلس الشيوخ في نطق سلطته ، وأن تتدرج الدولة الرومانية الجمهورية في سلم الملكية .

وتبين أن الجيش بعد أن انفصل عن الشعب الروماني وأصبح خليطاً من كل من هب ودب ، بقي يمارس سلطة هائلة في اتقاء الامبراطور بالمشاركة مع مجلس الشيوخ ، ولكن هذه السلطة أصبحت غاشمة بعد انحطاط الجيش .

وتساقطت الاباطرة واحداً بعد آخر قتلاً بأيدي جنودهم أو بأيدي جنود أعدائهم ، وتكاثرت الحروب على الروم ، وتصاعدت الافكار الفلسفية التي فرقت الشعب دون جدوى .

وظهرت المسيحية ، فعانت ما عانت من اضطهاد الروم ، ويشير المؤرخون عادة الى عشرة اضطهادات بين سنة أربع وستين للميلاد الى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة الميلادية (٦٠) ، حيث كانت سنة البراءة التي تنفس فيها المسيحيون الصعداء .

فقد تنصر قسطنطين الكبير ( ٢٨٠ - ٣٣٧ م ) سنة (٣١٢م) ، فظهرت رسوم مسيحية على مكوكاته ، وجعل شارة الصليب على رايته ، واهتم بالنصارى واعتنى بهم ، وحرّم التبشير باليهودية والدعاية لها سنة (٣١٥م) ، وأصبح حبر الأمة الأعظم يرعى جميع الاديان وبخاصة المسيحية ، ولكنه لا يكره أحداً على أن يذهب مذهبه ، ولكل من رعاياه أن يتبع الرأي الذي يراه .

وقضت ظروف قسطنطين الياضية والعسكرية ببقائه في الشرق أكثر من الغرب ، فعزم على انشاء عاصمة في الشرق تسهل الدفاع عن الولايات الغربية والشرقية ، ووقع اختياره على بيزنطة ، ولا نعلم بالضبط متى خطط قسطنطين عاصمته الجديدة ، ولكننا نعلم أن تدشينها جرى في الحادي عشر من أيار سنة (٣٣٠م) ، وسماها : رومة الجديدة ، ولكن الشعب أطلق عليها

(٦٠) الروم (٦ - ٢٢) ، حول التفاصيل .

اسم : القسطنطينية (٦١) •

٢ - الحياة الاجتماعية :

كانت الهوايات والنزعات في الامبراطورية البيزنطية الشرقية دينية ، وكانت الامور من سياسية واجتماعية تلبس ثوباً دينياً •

لقد كان البيزنطي يعيش في عالم تملأه وتسيطر عليه القوى الخفية ، فكانت عطلاته أعياداً دينية ، وألعابه في الملعب تتهل بالتراتيل الدينية ، وعقوده التجارية توسم عليها علامة الصليب أو تحتوي على ابتهاج للثالوث المقدس • وإذا أراد أن يستخير الله لم يفعل ذلك الا عن طريق النساك أو عن طريق الرؤى الذي يتمثل فيها القديسون الأموات • وكان يتخذ من التسمم المقدسة تماويذ له ، ويرى في الفبار المحتوي على قطرة عرق انحدرت من جسم قديس من الذين ماتوا على الأعمدة أنجح دواء عنده • وكانت حروب صليبية مقدسة وامبراطوره خليفة لله في أرضه ، وكل حادثة مروعة في الطبيعة فهي اما نذير أو بشير ليثنيه أو يحفز •

وكانت النتيجة لهذه النظرة أن أصبح العلم متهاً ، فقد وجد أحد أطباء العاصمة أن نسبة الوفيات عالية في الطبقة العاملة الذين يعيشون في مساكن تحت الارض ، وكان ذلك في طاعون القرن الرابع الميلادي ، فأعلن للسلا أن ذلك سببه قلة الهواء النقي ، فاتهم الطيب بالكفر ولما أصيب الطيب بالمرض وقضى نحبه ، انتصر رجال الدين المسيحي ، واعتقد الناس أن موته كان عقاباً له على زندقته •

والحق أن البيزنطي تحول بالسليقة الى القديس بعد أن عاين عجز

(٦١) الروم (٥١ - ٦٤) ، حول التفاصيل •

الطبيب ، وبعد أن كان الناس ينامون في الهياكل الوثنية ليرأوا من أسقامهم ، أخذ المسيحي حينئذٍ يتردد الى الكنيسة أو الى مقام أحد الشهداء ، وتولى الملاك ميكائيل مهمة شفاء الناس التي كان يتولاها الاله القديم في المعبد ، وأخذ القديس المسيحي يحل محل الاله الوثني الذي كان يدرأ الأذى عن المدينة .

وهذا الشعور المستمر بوجود القوى الخفية ، هو الاطار الذي كان يعيش فيه الانسان البيزنطي ، ذلك أن ميله الى اللاهوت كان يظهر في كبار الأمور وصفارها ، وكان العالم المحجوب عن الأبصار يدور معه في الآجلة والعاجلة .

ولم يكن ساكن العاصمة يعيش في جو ديني حُب ، ولكنه كان يعيش في جو خطر ، ولاشك في أن أعصابه كانت في بعض القرون تحيا في توتر مستمر ، لأن مدينته كانت تقاسي حصاراً بعد حصار . ومبا لاجئال فيه أن الامبراطورية الرومانية في الغرب سقطت لأن أعداءها فاقوا جيوشها عدداً ، ولو تيسر للمدافعين يومئذ البارود والمدفع لباءت هجمات أعدائهم بالاختراق ، لأن ذلك السلاح كان يكفي ليد العجز العددي عند الرومان . وكانت أسوار القسطنطينية تمثل للشرق بمعنى من المعاني المدفع والبارود اللذين حرمتها الامبراطورية الغربية ، فأل أمرها الى الزوال . ولكن لا بد للأسوار من رجال ، وإذا كان المدافعون عنها فئة قليلة ، فلا بد من أن تلعب الخدعة والحثكة والخيانة الصراع — اذا دعت الحاجة اليها — دورها بالنيابة عنهم . وهكذا مال الخلق البيزنطي الى ألوان من الدهاء لا تعرف المبادئ ولا حدود الأخلاق ، تلك الخصال التي نستطيع أن نلمسها حتى في الشخصيات والناس عامة . ونستطيع أن نقرر من غير حرج ، أن النعفة الذاتية التي انفرست في النفوس دون شك ، كانت شائعة في الروم الشرقيين رقيمهم ووضيمهم .

ذلك أن التوتر الدائم له رد فعل ، هو الافراط في التراخي •

ومن البعث أن تنكر ، أن العنف والوحشية والجور ، وهي خصال كانت متأصلة في نفوس البيزنطيين ، كانت تلعب دوراً كبيراً ، فقد كان جمهور العاصمة ينظر باستخفاف الى قيم الحياة البشرية نتيجة لسخطه على الساسة الذين أبغضهم بغضاً مريراً ، ونتيجة للسهولة التي كان التحريق والقتل يقترفان بها أمام أعينهم كلما وقع شغب وهياج • وزادت الحكومة سوءاً ، فضربت للناس أسوأ المثل في هذه الناحية ، بما كانت تطبقه من معاقبة المجرمين بتوقيع عقوبات تقوم على قطع الجوارح ، كقطع الأيدي ، وجذع الأنوف ، وسل الأعين •

وعلى الرغم من الخطر المحدق بالعاصمة دوماً ، كان البيزنطي يتطلب لنفسه تلية ومرحاً ، وكانت مراكز الحياة الثلاثة في العاصمة هي : القصر ، وميدان السباق ، والكنيسة • فاذا أغلقت الحمامات وأقلت أبواب ميدان السباق ، فقدت الحياة عند البيزنطي بهجتها ، وأصبحت تافهة ضحلة لا غناء فيها •

وكان المتسابقون يعيشون في عالم تسوده الخرافات الوثنية ، حتى لقد كانوا يحاولون بالتعاون السحرية والتائم أن يقيدوا منافسيهم برقى حتى يفوزوا دونهم ، وكثيراً ما كان السائقون يفتشون قبل بدء السباق حتى لا تكون معهم الخرزة السحرية التي تكفل لهم الفوز دون استحقاق ، مع كثير من الشعوذات الأخرى •

وكان ميدان السباق مكاناً تمرض فيه الانتصارات الامبراطورية ، حيث كان الإباطرة يضعون الحذاء الأرجواني — رمز السيادة — على رؤوس المنافسين المهزومين أو الأعداء المغلوبين • كما كان أيضاً محكمة جنائيات ،

يتخذ فيها القضاة مجالسهم بانتظام . حتى ان الامبراطور اذا اقتنع بارتكاب أحد الحكام جريمة من الجرائم ، قضى على المجرم أن يحرق حياً على مرأى من الرعية . وكذلك كان الملعب مسرحاً لتلك المواقب التي اعتاد الناس أن يروا فيها رجلاً من رجال البلاط أو رجال الدين المغضوب عليهم ، يسار به بين صفوف الشعب الساخر ، وربما أركب حماراً وجعل وجهه الى ذيله . كذلك كان الملعب متحفاً فيه روائع فن النحت القديم ، حيث كان رجال الكهنوت في الكنيسة المسيحية ، وقد رضوا عما يجري في الملعب كان الملعب مرآة للعالم البيزنطي .

وكان للرجل البيزنطي بطلان هما : الفائز في سباق العربات ، والقديس المتشف . أما الأول ، فكان تنصب الصور والتماثيل اجلالاً له في كل مكان ، وكان سائق عجلة السباق يمنح امتيازات خاصة ، فكان في نجوة من كل عقاب بدني ، واليه كان رجال الأدب يرفعون أحسن مقطوعاتهم .

أما المتشف الزاهد ، فكان الحجاج يأتون اليه من كل صوب ، يحدهم شوق لاهف ليروا القديس على عموده ، وينالوا بركته ، ويلحوا معهم تماثلاً صغيراً من تماثيل الرجل الطاهر ، التي كانت تصنع لتباع بالجملة لكل من يطلبها من الاتقياء . وهذا التمثال مع القنديل المعلق به ، كان يحيي دكان المتبرك وبيته من كل أذى ، ويعطيه ثقة جديدة وشعوراً متجدداً بالاطمئنان وسط أخطار الحياة .

وكان هناك وحدة في الأسرة واخلاص متبادل بين أفرادها . والمرأة ربة البيت ، ولها نفوذها الملموس في مجال عملها على زوجها وأطفالها . وكانت البنت تزوج في سن مبكرة ، وكان اختيار الزوج ما تعنى به الأسرة ، وقلما كانت البنت ترى زوجها قبل الزواج . على أن المرأة البيزنطية لم تكن

سجينة بيتها على أية حال ، على الرغم من أن الحرائر المحصنات لم يكن يرتدن دور التشيل . وكانت نظرية الروم عن القيادة لا ترى غضاضة في زواج الأمير بأمرأة لايجري في عروقتها دم الملوك ، بل كثيراً ماكان النسل الامبراطوري يتقوى باختيار عروس من الطبقات المتوسطة ، حتى كان الامبراطور أحياناً يتخب شريكة حياته من بين سرب المذارى الجميلات اللواتي اتقين من الولايات لتلك الغاية (٦٢) .

### ٣ - القيادة البيزنطية :

جمعت السلطة النافذة داخل حدود الامبراطورية البيزنطية في شخص الامبراطور ، فكان هو مصدرها الأوحد . ولكن ظل حق الامبراطور في العرش يخضع للانتخاب مليلة تاريخ الامبراطورية ، فكان مجلس الشيوخ والجيش ينتخبان الحاكم : الجيش يمارس حقوقه الوراثية في تنصيب الملوك ، والشعب يؤيد ذلك ، فكان باستطاعة مجلس الشيوخ أو الجيش أن يتقدم أحدهما فيعين مرشحاً ، ثم يزيه الطرف الآخر . أي أن انتخاب الامبراطور كان يمر بالأدوار التالية : (١) ينادى مجلس الشيوخ أو الجيش بوضع المرشح «في وضع دستوري يجعله في مكان الامبراطور المنتظر ، على أن يكون من الجائز بعدئذ تثبيت ذلك أو الغاؤه» . (٢) أن يوافق الطرف الآخر على ذلك ، لأنه يملك الحق ذاته في الترشيح . (٣) التصديق على هذا الاختيار حين يهتف الشعب الروماني الذي يجتمع عادة في ميدان السباق (٦٣) . (٤) تتويجه

(٦٢) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (١٦ - ٢٩) .

(٦٣) كان تتويج الإباطرة منذ القرن السابع يجرى في الكنيسة الكبرى ، ويحضره أعضاء مجلس الشيوخ وممثلون عن الجيش والشعب الذي يهتف للامبراطور داخل الكنيسة وخارجها ، وكان التتويج قبل القرن السابع يجرى في ميدان السباق خارج المدينة .

بالتاج على يد البطريرك الأعلى قائماً بتمثيل المنتخبين لا الكنيهة ... وقد جرت العادة بذلك وإن لم يكن شرطاً أساسياً .

تلك هي الاجراءات التي ينص عليها التقليد الدستوري في منح السلطان لأحد من الناس ، لكنها لا تكفل له سوى لقب بشرى . بيد أن عرش الامبراطور كان يقوم على أسس أكثر رسوخاً ، فالامبراطور صفي الاله ، وقد وقع عليه الاختيار منذ ولادته لتحقيق ارادة السماء ، وإذا فالمرشح الناجح هو بالضرورة من اختارته مشيئة الله ، بغض النظر عن الطريقة التي اكتسب بها هذا النصر ، فنجاحه هو الموسغ الوحيد ، وهذا النجاح يطمس صفحة ماضيه ، وهو الأساس الذي يلزم الناس بطاعته .

وإذا فمن الواضح أن الامبراطور ملك كاهن ، ومنصبه كهانة ملكية ، وما الامبراطور الا أحد رجال الدين ، فهو يستطيع أن يدخل المعبد المقدس ، ويقرب من المذبح حيث لايسمح لأحد من العلمانيين (غير رجال الدين) بالمرور . وفي استطاعته أن يقبل ستار المذبح ، وأن يتناول بيده الخبز المقدس . وعهدت له العناية الالهية - كما عهدت لبطرس من قبل - في رعاية أتباع السيد المسيح ، ولكن يظهر هذا الجانب من كهانة الامبراطور بوضوح أكثر ، أضيف منذ القرن التاسع الميلادي - على ما يظن - عمل آخر رمزي في حفل التتويج ، الا وهو أن يقوم البطريرك بسح الامبراطور بالزيت المقدس ، ولم يكن يعبر بذلك عن ارادة الدولة ، بل عن المشيئة الالهية .

غير أن النظرية (الالهية) في أصل الملكية كانت تحمل في طياتها نتيجة أبعد مدى ، فمصدر الرفعة هو الله يمز من يشاء ويذل من يشاء ، وإذا فالعرش الامبراطوري مباح للجميع ، فلاحهم ونبيلهم ، جاهلهم وعالمهم ، على السواء ، غير أنه اشترط في الامبراطور أن يكون مسيحياً ، وأضيف بعد ذلك أن يكون

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

مسيحياً أرثوذكسياً ، وفيما عدا ذلك يمكن لأي واحد من الناس أن يقع عليه اختيار الله عظيماً كان أم حقيراً غنياً أم فقيراً .

بيد أنه لم يكن هناك من سبيل دستوري لاسقاط الامبراطور بعد انتخابه سوى ثورة ناجحة ، وهنا أيضاً لا يحول اختيار العناية الالهية له ، دون أن يعتبر مجرد غاصب في حالة اخفاقه ، وإذا فالثورة تصبح مشروعة ، بل وجزء من الدستور المعمول به .

بيد أن اختيار الأباطرة بطريق الانتخاب وحده ، لم يكن ليضمن للناس سير الأمور سيراً حسناً ، مادام اغتصاب العرش مباحاً في هذه الدولة ، ولا يعتبره الناس خيانة الا في حالة الاخفاق ، ثم اتنا لا ينبغي أن ننسى أن هذا الاغتصاب كان يدعم القوة الامبراطورية في بعض الأحيان . ومن ثم عدلت النظرية الرومانية القديمة - فيما يختص بطريقة اختيار الحاكم الأعلى للدولة - كما يلي : ان تفويض الحكم للامبراطور ، يخوله حق ترويج خلف له أثناء حياته ، ويظل مستبداً وحده بالسلطان طالما بقي في قيد الحياة ، رغم وجود خليفة الى جواره ، فاذا توفي انتقل السلطان الى خليفته من تلقاء نفسه .

وهكذا فقد المنتخبون حق الانتخاب ، ولم يبق أمامهم الا ان يجوبوا الحاكم الجديد ، قائلين : « مات الملك ، يحيا الملك ا » .

وقد كان ما يميز الأباطرة الشرقيين العسكريين كفايتهم العسكرية كقادة للجيوش في ميادين القتال .

ولم يكن الامبراطور ملك الملوك (٦٤) ، كما كان يسمى رسمياً بعد سقوط الامبراطورية الساسانية ، التي كان كسرى المنازع الوحيد له في هذا

(٦٤) اي الباسيليوس Basileus

اللقب ، فقد قال المسيح : « انه وارث هذا العالم » ، فعلى نائبه - وهو الامبراطور - أن يرعى ادخال العالم في دائرة ملكه . أليس هو الآخر مخلصاً للعالم ؟ أليست قوته هي المدبرة له ؟ اذا فهو الحاكم الأعلى ، وله الحق في السيادة على العالم كله .

ولم يكن الأمر ليقف الى هذا الحد ، فانه لما كانت ملكة الأرض مصوغة على مثال ملكة السماء ، اذاً فهي ليست عالية فحسب ، بل خالدة أيضاً ، وليس باستطاعة بشر أن يقوض دعائها . أما الأباطرة الفاسدون ، فليوا الا عقاباً الهياً للناس ، حتى اذا انتهت مدة عقاب البشر ، وتاب أهل البلاد عن خطاياهم ، أشرفت شمس رحمة الله مرة أخرى ، وهكذا تصبح المسيحية مصدراً دائماً لبعث جديد ، وكانت هذه العقيدة راسخة قبل المسيحية في رومة ، فاستحال ذلك الى عقيدة دينية .

وإذا كان الأمر كذلك ، فما هي القيود العملية والنظرية التي تحد من ادعاء الأباطرة السيطرة على الكون ؟

بالرغم من أن الامبراطور هو المشرع الأعلى ، وبالرغم من أنه لايسأل عما يفعل ، فقد كان عليه لهذا السبب ذاته أن يلزم نفسه ببراءة القوانين . ولا تنسى أولئك الذين كانوا يحيطون بالامبراطور ، فهم رجال فقهوا التقاليد المحافظة ، تقاليد هيئة الحكم الشديدة التعقيد . وقد أصبح مجلس الشيوخ - اذا استثنينا ممارسته لسطته القديمة في تنصيب الملوك - مجلس حكام يفضلون السبل المطروقة ، ومن المؤكد أن الأباطرة لم يعدموا كثيراً من الحكماء والناصحين ، وجدوا من الحكمة ما جعلهم يأخذون بنصحتهم .

وقد كان سكان العاصمة أيضاً الى جانب حرس المدينة الرسمي ، حتى القرن السابع الميلادي على الأقل ، يكونون قوة فاعلة ، وكانوا على قوة تمكنهم

## الواء الركن محمود شيت خطاب

من الاخلال بالأمن اذا ما فقدوا سيطرتهم على أنفسهم ، وعلى استعداد لتقديم مرشح آخر ينافس صاحب العرش ، ونشر الفوضى عن طريق الحرق والقتل . والظاهر أنه حين خمدت المقاومة الشعبية المنظمة لارادة الامبراطور زمن بيت هرقل ، أقام الرهبان أنفسهم نواباً للشعب ، وحلوا لواء المقاومة ضد الأباطرة ، واستطاعوا أن يعتمدوا على مؤازرة الأتقياء ، وأثبتوا أنهم خصوم أشد خطورة على الامبراطور من البطريك الذي كان بإمكان الامبراطور أن يعزله . واستطاع الجيش أيضاً أن يوقف بعنف أي اجراءات لا يرى تنفيذها ، اعتماداً منه على قوته .

الا أن هناك قيماً آخر أعقق ما ذكرناه ، ذلك هو التأثير الخفي لتقليد يفترض في الأباطرة : (حب الخير للناس) ، يحتم على الامبراطور اسداء خدمات انسانية جليلة لشعبه ، وكان هذا المثل الأعلى - في الواقع - قوة كابحة لجباح الامبراطور .

وأخيراً ، كان المتخبون ، قبل أن يوافقوا على منح أحد من الناس السلطة الامبراطورية ، يستخلصون منه وعداً صريحاً بمرعاة ذلك . ومع مضي الزمن ، أخذ الامبراطور عند تنويجه يقسم قسماً رسمياً ، يبدأ بالاعتراف بالمعقدة الأرثوذكسية ، ويتضمن توكيداً منه لنشورات بطارقة العالم البجة ومجامع دينية محلية أخرى ، وحقوق الكنيسة وامتيازاتها ، وبعد بأن يظل خادماً مخلصاً للكنيسة المقدسة ، وابناً باراً بها وحامياً لها ، ويأخذ عهداً على نفسه بأن يظل انسانياً في حكمه لشعبه ، عادلاً بينهم ، وأن يتجنب توقيع عقوبات التكميل بالناس أو الحكم بالاعدام ما استطاع الى ذلك سبيلاً . . . وصيغة القسم من الأهمية بمكان ، بحيث ظهر لنا ما كان يتطلبه البيزنطيون من حاكمهم .

وكانت قواعد السلوك في البلاط صارمة ، وفيها وصف دقيق مفصل للادوار التي تقوم بها كل طبقة من الهيئة الحاكمة الامبراطورية في سلسلة الاستقبالات والاحتفالات التي كانت تكون : (السنة المسيحية) البيزنطية . وفيها ذكر مفصل للملابس والحركات ومواضعها وأوقاتها ، والكلمات الرسمية التي جعلتها العادة مع مرور الزمن مقدسة .

ولتصور زعيماً بربرياً من أحد السهول أو الصحارى ، وصل الى البلاط البيزنطي ، ونزل في ضيافة القصر ، وشاهد عجائب العاصمة في رعاية موظفي الامبراطور ، كان عليه أن يمثل بين يدي الامبراطور ، تراه يمر في متاهات من الدهاليز الرخامية ، وغرف غنية بالضيفاء والأردية الذهبية ، وبين صفوف حرس القصر الذين يرتدون زياً أبيض واحداً ، يحف به النبلاء والأساقفة والقادة وأعضاء مجلس الشيوخ ، بينما يعزف أرغن الكنيسة ، تصاحبه فرق المغنين بالكنيسة والخصيان ، ثم أخيراً يجد مبهوراً بهذه الضخامة التي بغير حدود ، في حضرة الامبراطور الصامت الوقور ، سيد رومة الجديدة ، وورث قسطنطين ، وهو متربع على عرش القياصرة . وقبل أن يسمح له بالنهوض ، يرى الامبراطور وقد تغيرت حلته والمرش وقد تبدلت زنته التي رآها حين نظر اليه آخر مرة ٠٠٠ يرى الامبراطور وهو ينظر اليه كما ينظر الاله الى واحد من البشر . ترى ، من ذا الذي يسمع زئير الأسود الذهبية حول العرش ، وتفريد الأمليار ، ثم يستطيع بعد ذلك أن يرفض أوامر الامبراطور ؟ وعلى هذا النحو يطويه الامبراطور تحت جناحه ، ويحارب من أجل المسيح الروماني وامبراطورته ، وتمتدق عليه الامتيازات والهبات والهدايا من أجل وعده بالدفاع عن الحدود ، وربما منح مركزاً رسمياً في الحكومة ، فيصبح نبيلاً أو قائداً في الجيش ، وربما حالفه الحظ فتكون ماعدته ذات قبة كبيرة للامبراطورية ، فيوعد عندئذ بتزويجه من أميرة بيزنطية ، كما فعل هرقل مع

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

زعيم الخزار ، فيعتقد المسيحية ، وسيقوم الامبراطور نفسه بدور الأشبين عند الحوض المقدس ، ومن ثم يتدب أحد الأساقفة من أتباع بطريرك القسطنطينية للإشراف على مصالح الروم في بلاده . وفي حالة قيام شعبه ضده وإسقاطهم له ، يسمح له بالالتجاء الى الامبراطورية ، ومن ثم يعاد بحراب الروم الى مركزه ، وفي هذه الحالة لا يبقى عند رجال الدولة ريب في اخلاصه . ومع أنه لم يكن للامبراطورية ممثلون دائمون لدى الحكومات الأجنبية، الا أن بعثاتها كانت تتوالى ، فتحفظ تقاريرها في ديوان الرسائل الامبراطورية (٦٥) .

## ٤ - الكنيسة الأرثوذكسية :

لم تكتب الحياة لطقوس رومة الشرقية فحسب ، بل احتفظت الكنيسة حتى اليوم بطبيعتها التي اكتسبتها أيام الأباطرة المسيحيين : فأراء هذه الكنيسة في اللاهوت ، وشعائرها ، وصيغها التي كانت تلقى أثناء المراسم الدينية ، ولون حياة الرهنة والتشفد ، وقديسوها وأعيادها ، ذلك كله تراث من أيام البيزنطيين ، لاتزال تبقي على سلامته روح المحافظة التي لاتلين .

أصبحت القسطنطينية في عصر قسطنطين مدينة مسيحية ، الا أنها ظلت فيما يختص بحق التشريع الكني تخفض لأسقف هرقله ، ونجد أن التاريخ الداخلي للكنيسة بعد أن اعترف بها مجلس الشيوخ ، يكاد يكون سرداً لجهاد أسقف القسطنطينية في سبيل الظفر باستقلاله عن مطران هرقله من جهة ، وفي سبيل سيطرته على منافسه في الاسكندرية من جهة أخرى . ولقد خرج بطريرك رومة الجديدة منتصراً ، وشاركه الامبراطور هذا النصر ، فقد رأس

(٦٥) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية (٧٣ - ١٤) .

جستيان الكنية كلك كاهن ، وأصبحت عاصمته مركز حياة الكنيسة وتنظيمها .

وكان إذا رغبت إحدى الأسقفيات في تقديم نفسها على غيرها من مثيلاتها، نظر الناس فيها إذا كانت قد أسست على يد أحد الرسل ، وكان هذا المقياس المعترف به في تقديم الكنائس بعضها على بعض . أما الشرق ، فقد حاول أن يجد تويهاً لهذا النظام ، وانهى الى النظرية القائلة : بأن أسقية المدينة في الميدان الكنسي لا بد أن تقوم على أسبقيتها في الميدان المدني . وسعت بيزنطة بعد ذلك الى الانتصار على رومة . بحجة أخذتها من منطق رومة نفسها ، فاذا كانت رومة تقول بأن القديس بطرس هو مؤسسها ، فقد اكتشفت زومة الجديدة أن باستطاعتها في اعتمادها على تزوير وقتي ، أن تدعي أن القديس ادريس ( اندرياس ) هو مؤسسها ، والقديس ادريس هو الذي أحضر بطرس الى المسيح لأول مرة . غير أن مساومة المجمع الديني العالمي الثاني الذي عقد في القسطنطينية سنة ( ٣٨١م ) ، اعترفوا بالنظرية القديمة اعترافاً صريحاً ، وحكموا لأسقية العاصمة بالمكان الاول في الكنية الشرقية بعد السدة الرسولية في رومة : « لأن القسطنطينية هي رومة الجديدة » ، وبذلك تحررت مدينة الأباطرة من سيطرة هرقل .

وقد نشأت خصومات داخل الكنية ، نتيجة لتصميم أساقفة الاسكندرية على أن يستخدموا تأثيرهم وسيطرتهم في مقاومة قوة القسطنطينية الكنية الناشئة ، وقد اتصرت الاسكندرية ثلاث مرات على القسطنطينية<sup>(٦٦)</sup> ، وأخيراً هزمت الاسكندرية في مجمع خلقيدونية سنة ( ٤٥١م ) ، لأن البابا والامبراطور صمما على تحطيم كبرياء مصر ، لكن بطريرك الاسكندرية لم يذعن ، فخلع

(٦٦) انظر التفاصيل في كتاب : الامبراطورية البيزنطية ( ٩٦ - ١٠٥ ) . .

## الواء الركن محمود شيت خطاب

وشي ، وكان هدف مجمع خلقيدونية انتصار القسطنطينية والانحياز الكلي للكنيسة الشرقية .

وأجاز المجمع الصيغة الغربية التي تقها البابا ليو الكبير واوردها في رسالته العقيدية المائة : Tomos حيث قال : « هناك طبيعتان يجب تميز احداها عن الاخرى في المسيح حتى بعد تجسده وهما الالهية والانسانية ، وقد ظل الاختلاف بينهما باقيا بالرغم من وحدة الشخصية » . وكانت وجهة النظر اللاهوتية عند الاسكندريين تتجه دائما الى الصوفية والرمز ، وتؤكد طبيعة المسيح المقدسة ، حتى انها تهمل طبيعته البشرية ، وهكذا ابتلعت الناحية المقدسة الجانب البشري ، وبذلك وصلت الكنيسة المصرية الى اعتقادها بطبيعة مقدسة واحدة . وهكذا وقت الفئة التي أسست الكنيسة القائلة بطبيعة واحدة صفاً واحداً في مقاومة التعريف الذي انتهى اليه مجمع سنة (٤٥١م) وفي نذ عقيدة البابا ليو الكبير ، وعلى هذا فقد انتهى بالناس الى الحرب لا الى الصلح .

لقد وحد منشور ( زينو ) Zeno's Henoticon بين الكنائس الشرقية سنة (٤٨٢م) ، الا أن ثن ذلك كان الانشقاق عن رومة سنة (٤٨٤م) ، كما أسس يعقوب البردعي ( Jacobus Baradaeos ) أسس الكنيسة اليعقوبية المستقلة في حكم جتنيان . وسعى بيت هرقل مرة أخرى لايجاد اتحاد مع أصحاب العقيدة المقدسة الواحدة غير أن العقيدة القائلة بالقوة الناشئة عن طبيعة واحدة أو ارادة واحدة في المسيح المتجد لم يكن باستطاعتها الثبات طويلا ، ولم تكف هذه المعضلة عن ازعاج سياسي الامبراطورية البيزنطية ، الا حين استولى المسلمون على سورية ومصر مؤثرل الهراطقة ، واستطاعت الامبراطورية بعد ذلك أن تكون أرثوذكسية ، وهكذا استطاع جتنيان الثاني

أن يعقد الصلح مع رومة .

وعندما أصبحت البطريركيات الرومانية الشرقية اسقفيات في بلاد المسلمين ، بقي بطريرك القسطنطينية بلا منازع ، وأصبح تشريعه يسري على الامبراطورية ، الا أن بطريرك العاصمة عاش في ظل القصر الامبراطوري . وكان اخفاق بابوات الغرب في نزاعهم مع كنيسة القسطنطينية ، قد علمهم كيف يحلون المعضلة الدوناتية<sup>(٦٧)</sup> ، ولم يعد امبراطور الدولة البيزنطية يستطيع بعد ذلك أن يترك للسلطات الكنية حكومة الكنيسة غير المنظمة ، فقد أبان منشور الامبراطور الذي دعا به الى عقد مجمع نيقية ووجهه لخلفائه ، الطريق بحيث لم يعد بمقدور أي بطريرك لرومة الجديدة أن يقاوم الارادة الامبراطورية ، وتوالت التشريعات في محاربة الهرطقة من جهة والوثنيين من الخلقيدونية ، واتتصاف فكرة توحيد الكنيسة ، ختاماً للنزاع الذي قام من أجليادة داخل الكنيسة الشرقية .

وشهد القرن السادس الميلادي آخر هجوم شن على الوثنية الباقية في الامبراطورية ، وتوالت التشريعات في محاربة الهرطقة من جهة والوثنيين من جهة أخرى خلال أكثر من مائتي سنة ، واستعمل قسطنطين العنف في القضاء على الدوناتيين الافريقيين بحجة أنهم مهددون للامن أكثر منهم مارقين على العقيدة . وجعل بين السلطة وبين الاشراف لوظائف الكنيسة ، وهوا من القسطنطينية وحرم على الوثنيين حق الوراثة والتوريث ودخول وظائف البلاط والجيش ، وجردهم الهراطقة أيضاً من حق دخول الجيش . وبالرغم من أن

(٦٧) الدوناتية : فرقة نصرانية ظهرت في افريقية في العصر البيزنطي ، وهي منسوبة الى اسقف يسمى : دوناتوس ، عارض اسقف قرطاجنة ، والتف حول طائفة من القساوسة ، وتكونت منهم فرقة دينية ، ظلت تناوى كنيسة قرطاجنة حتى ايام جستنيان .

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

الهرطقة كانوا يؤدون ما يقع على غيرهم من المواطنين من أعباء ، فقد حرم عليهم التمتع بامتيازاتهم • وحرمت عليهم قوانين جستيان الاشتغال بالمهن الحرة ، بل تقرر هدم كنائسهم ، وأغلقت دونهم الاجتماعات العامة ، وأصبحت شهادتهم القانونية ضد الأرثوذكسين غير مقبولة ، وأضحت وصاياهم لاغية ، وفقدوا ما يخولهم حق الوراثة ولو بوصية اختيارية ، وحق وراثة شخص توفي دون أن يوصي ، فأصبح المشتق عن الكنيحة منبوذ المجتمع • وكانت سياسة جستيان فيما يختص بالمانويين ( أتباع مذهب مانئي ) مياسة إبادة ، فخصائص الروح فوق خصائص الجسد ، وإذا يجب القضاء التام على كل ما من شأنه أن يسبب العدوى •

ويسكن تلخيص آراء جستيان في الحكومة بالعبارة الموجزة : حكومة واحدة ، وقانون واحد ، وكنيسة واحدة •

وقد صدرت سلسلة أخرى من القوانين ضد الوثنية ، وأدخل في القرن السادس الميلادي ألوف من الوثنيين في المسيحية قرأ دون أن يعتنقها فعلا • وتبع عن تلك التشريعات دخول كثير من غير المسيحيين في المسيحية ، بيد أن الغالب من هؤلاء المنتصرين الجدد كانت رهبتهم للاله المسيحي ناتجة عن خوف من الناس ، في حين ظلت قلوبهم في وادٍ آخر ، إذ ظلت على ولائها للعقيدة القديمة •

وهكذا انحطت المقاييس الأخلاقية والدينية داخل الكنيحة ، وشعر الناس أن الحياة المسيحية أخذت تفقد مثلها العليا المشددة ، فأخذوا يجاهدون في سبيل الافلات من عالم لا يحتمل في نظرهم ، وامتلأت صحارى مصر بطالبي العزلة الذين يبعون الوصول الى الله ، غير أنهم لم ينفصلوا عن الكنيحة المنظمة اتصالاً فعلياً ، لكنهم كموا أنفسهم بأنفسهم ، وكانوا في غنى عن حظيرة

الكنيسة . وهكذا قامت الرهبة منفصلة عن الكنيسة ، وكانت من ناحية احتجاجاً فردياً على نظام قام بأكبر نصيب في تأييد الدولة . ولما كانت الكنيسة تسعى لتركيز سلطاتها في ادارتها الداخلية ، فقد قررت أن تحول دون بقاء أية حركة دينية خارجة عنها ، ولا مفر لأي لون من ألوان التدين من أن يؤيد قضيتها ، وإذا كان لابد من تكيف الحركة الجديدة بما يلائم أغراض الكنيسة ، فإنها - أي الكنيسة - كانت متعدة لترتيب معونة مالية مؤقتة توصلها الى أغراضها ، فإذا لم يخضع الميل الجديد الى التشف لادارتها ، أصبح من اللازم عليها تحطيمه ، وأصبح على الزاهد أن يتصل بأولئك الذين يشاركون الاعتقاد بمثله العليا ، إذ أن ذلك يفسح المجال أمامه لممارسة فضائل المسيحية .

ومهما يكن من أمر ، فإن مساكنهم التي اتخذوها لتكفهم في الكهوف المنعزلة أو جعلوها معلقة فوق صخور الجبال ، هو الذي ايقظ الشهور بالاجلال والرهبة والحساسة العاطفية في نفوس عامة الشعب ، ففرع الحجاج من الشرق والغرب لالقاء نظرة على القديس العمودي الذي قضى سنين طويلة على عموده ، حتى فقد القدرة على الوقوف ، وأصبح لا يعينه على الوقوف سوى الرباط الذي يسكه بعموده .

وسعت الكنيسة مرة أخرى لتحويل هذا التنسك المحبب الشائع لخدمة أغراضها بشتى الوسائل ، فكان نجاحها في هذا المجال محدوداً .

وقد رأينا أن الحاج الى الأماكن المقدسة كان يعود حاملاً معه تمثالاً أو صورة للقديس ، وربما كانت هذه العادة من العوامل التي أعانت على تقوية عبادة الصور التي نشأ عنها نزاع اللاصورية الذي طال أمده .

وقد ضاعت كتابات اللاصوريين ، ونتطيع أن تبين أسس مهاجرتهم لعبادة التماثيل مما كتبه خصومهم . فلم يكن محطو الصور من أنصار المذهب

العقلي ، بل كانوا مصلحين دينيين ، فكانوا ينظرون الى شعور الناس بالتقديس نحو الصور والتماثيل فظرتهم الى عبادة الأصنام أو نوع من أنواع الوثنية .

ولم يكن عباد الصور أقل اخلاصاً لمبدئهم ، فالواقع أن كثيرين منهم ظفروا للنزاع على أنه جهاد للبقاء ، فشمع صناع الصور المجيدون أن الخطر يتهدد مورد رزقهم ، لأنهم كانوا يعيشون من رسم الصور المقدسة . وظل بعض أنصار الصور ينافحون عن مبدئهم بحجة كان الشرق يقول بها في وقت مبكر منذ القرن الرابع الميلادي ، وأخذها الغرب فيما بعد ، الا وهي أن الصور المقدسة انجيل الجاهل ، فالصور ما هي الا مذكر ، وهي للنظر بثابة الكلمات للاذن ، مهتها الافهام والتقريب .

وأخيراً ، اتصرت عباد الصور ، وعاشت الصور المقدسة في الكنائس بخاصة والأماكن العامة أيضاً .

وبقى هناك موضوع الخصومة مع رومة ، فقد اتسعت الهوة بين الشرق والغرب مع السنين ، حتى لقد انقطعت الصلة بين البلاطين الشرقي والغربي في أوائل القرن الخامس ، الا أن يكون بعض ما كان يشور بينهما من نزاع في اتصال أحدهما بالآخر اتصال عداء ، فكانت مشاكل الغرب والشرق في هذا العصر اللاهوتي مختلفة ، حيث أن نزعات قواد كنيسة الغرب كانت عملية تدور حول علاقة الانسان بالله ، فكانت مسائلهم تختص بتخليص الانسان أو تحريره من ارادته الانسانية ، ومضوا تحت تأثير أوغسطين ينشئون لعقيدتهم ظلاماً خاصاً مقتناً . أما النزاع في الشرق فيدور حول علاقة أفراد الثالوث المقدس بعضهم ببعض ، ودار فيما بعد حول الطبيعة المزدوجة لابن الاله المتجسد . وكانت رومة هي الملجأ الأخير الذي تطلب عونته كل طائفة قليلة مغلوبة على أمرها في الكنيسة الشرقية ، وكان تدخل الغرب على ذلك في ظفر الأكرية

تخلًا تنظيمًا من شأنه أن يقوم هرملقات الشرق ، فلم تكن كنيسة رومة على وفاق مع كنيسة القسطنطينية خلال نصف مدة القرون الخمسة التي تقع بين وصول قسطنطين للعرش والمجمع الديني العالمي السابع الذي عقد سنة (٧٨٧م) .

وكان اختلاف اللغة بين الكنيستين أهم من ذلك كله ، فبينما كانت رومة الجديدة تقوم في وسط يتكلم اليونانية ، كانت ايطالية في القرن الرابع الميلادي لا تعرف اليونانية ، بل تتكلم اللاتينية ، فكانت رسائل البابوات للجامع الدينية الشرقية تقرأ أولا باللاتينية ثم تترجم الى اليونانية لكي يتسنى لرجال الدين الشرقيين فهمها ، وكثيراً ما كانت تترجم ترجمة خاطئة .

ان الشرق والغرب لم يستطيعا التفاهم ، لأن كلاهما يجهل لغة الآخر .

ولم يكن كبار البطارقة البيزنطيين في الحقيقة على استعداد لأطاعة ما تمليه رومة ، فاتهمزوا بشوق فرصة اكسابهم محبة الشعب ، وهاجموا مزاعم البابوية . ولما كان البطريرك والبابا شخصيتين بارزتين في الوقت نفسه ، فقد نتج الانشقاق الديني عن ذلك . وكانت رومة كثيراً ما تلقن القسطنطينية درسا في موضوع الأرثوذكسية ، ولكن بيزنطة حرصت على أرثوذكسيتها الخاصة بها ، واستطاعت أن تدافع عنها في وجه الغرب .

وقد خان الوقت لتبين نواحي القوة والضعف في الكنيسة الأرثوذكسية .

ان تدينها يفرنا حين نقرأ أدبها اليوم ، اذ انها علفت أكبر قبية على فضيلة البكاء ، مدفوعة الى ذلك بشعور متجدد بالخوف من الخطيئة ، وفيض الدمع انما هو تأثير نفسي خاص بصاحب الترتيل العاطفي بشكل رئيس . وان الانسان يشعر أن فضيلة رجل الكنية البيزنطي ، انما كانت صادرة عن الامل بالجزاء في العالم الآخر . كما أن الكنية الشرقية أخذت تشك في القيم

## اللواء الركن محمود شيت خطاب

الانسانية وتسمى لكبتها ، فقد اعتبرت الأدب الكلاسيكي القديم خطراً واعتبرت تلميذ أفلاطون في عداد الهرطقة ، وكان يعد خائناً . وكانت الكنيسة افرقية ، فرضت اللغة الاغريقية على أتباعها ، وهكذا قضى على لهجات آسيا الصغرى الوطنية . وقد انتقدت الكنيسة الامبراطورية البيزنطية ، ومالت في آخر الأمر الى السعي للتوفيق بين رغباتها ورغبات الدولة ، ولم تكن تفرض على الداخل في مذهبها أعباء كثيرة ، فكانت تبدي تسامحاً كبيراً فيما يختص بعقيدته وعبادته السابقتين .

ولكن يجب أن نقرر أنها حددت للعالم المسيحي معاني العقيدة ، وإذا كانت كنيسة تابعة للدولة الى حد بعيد ، فقد كانت مشبعة بروح تبشيرية ، ونجد أن جميع الفنون البيزنطية التي كتب لها البقاء ذات طابع كنسي . وإذا كانت هذه الكنيسة قد خضعت للدولة ، فإن من رجالها من عانى التشريد والعذاب والتكيل من أجل العقيدة . وقد احتفظت الكنيسة في القرون المظلمة بجذوة الهيكلية حية تحت الرماد ، ولا تزال تلك الكنيسة على ولائها لاهدافها التي وضعتها منذ قرون خلت حتى اليوم .

للبحث صلة

# المعجمات العربية

## وتوسيع الاصطلاح العلمي (١)

الدكتور يوسف عز الدين

( عضو الجمع )

مقدمة : -

ترددت كثيرا في الكتابة في هذا الموضوع لصعوبة الاحاطة التامة به ، فطبيعته المتحركة تحول دون الاحصاء التام . فمعذرة اذا كانت خطوط البحث عامة . لأن الغاية هي اثارة الموضوع وابرار هدفه الاول . ومن الاستمراء العام نجد أن حركة وضع المصطلحات الجادة في المؤسسات العلمية المستمرة ، يزحمها بالمناكب القوية العريضة ، العمل التجاري في اصدار المعجمات بشكل واسع ونشرها دون رقابة عامة حتى غطت على ما تخرجه الجامعات والمؤسسات العلمية وتفوقت عليها بالكثرة وجمال الاخراج واتقان الاغلفة والاغراء النسبي في الزينة الخارجية .

ولم يقف العمل التجاري عند هذا الحد انما تجرأ ناشر على تزوير جزء ألصقه بلسان العرب جمع فيه المصطلحات العلمية التي وضعت في الجامعات لم يسم بها ابن منظور ولا عصر ابن منظور ، ورغم فائدة هذا الجمع ، فينبغي مراقبة مثل هذه الحركة قبل ان تستحل ويصبح الفيروزآبادي والزمخشري والفرهيدي من مؤلفي القرن العشرين .

المصطلح : -

يوضع المصطلح باتفاق جماعة على معنى محدد لعلم او فن او فكر او

(١) قدم في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في ٢١ جمادى الاولى ١٤٠٤ هـ المرفق ٢٣

شباط ١٩٨٤ م .

الدكتور يوسف عز الدين

تيار فلسفي او ظاهرة في الادب والعام والفن والفلسفة ، او جانب منه ، أو جزء لتسهيل الزهم وتحديد الدلالة . وقد ورد في ( الوسيط ) باقرب معنى واقصره بانه ( اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، واكمل علم اصطلاحاته ) .

### الحضارة الأوربية :

غمرت الحضارة الحديثة التي جاءت من الغرب بانواع شتى من المخترعات والفلسفات التي لا يمكن ان تتوقف ، وزخت العلوم الجديدة والتقنية المتطورة والآراء المتصارعة على عالمنا العربي بما لم نسمع به من قبل ، ولم يسمع حتى ابناؤها بها من قبل هذا القرن . وغمر اللغة العربية طوفان من المصطلحات المتناقضة والاطر الفكرية الغربية في الكتب والمجلات ووسائل الاعلام المختلفة التي ترجمت الى اللغة العربية .

### دور المجمع :

وقد حاولت مجامعنا - جاهادا - تقريب وجهات النظر المتباعدة عندما عقدت اجتماعين لما في بغداد والقاهرة ، وكانت تريد الاجتماعات دورية لانجاز مهمتها العلمية ، غير أن الاور الخارجية على ارادة العلم حالت دون الاستمرار فيها ، والاستفادة المرجوة من لقاء اصحاب الشأن والارتفاع بجهود المجمع .

ومع ذلك فقد كنا في المجمع العلمي العراقي ، ندرس المصطلحات التي تم وضعها في مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق وننتفع بما وضع من المصطلحات الجديدة التي كانت تعرض على اللجان ( ٢ ) .

( ٢ ) يمكن ملاحظة ذلك في المصطلحات التي وضعها المجمعون في بغداد في الفيزياء وعلم الاحياء والهندسة المدنية والري والبزل وعلم النباتات وعلم النفس والامراض العقلية ، ومن اعضاء هذه اللجان كما وردت في ( مصطلحات علمية ) المطبوعة في مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٢ الاسانذة السادة .

## المنظمة العربية :

وقد حاولت المنظمة العربية للثقافة والعلوم عدة محاولات جادة في هذا السبيل ، كما عقد المجلس الاعلى اراعية الآداب والعلوم والفنون اجتماعات في تونس ودمشق والتاهرة اكن حالت دون استكمال هذه الاجتماعات الظروف والعوائق المعروفة ووقفت امام فكرة توحيد المصطلح وحدت خطراته التي يرجوها المخلصون (٣) .

ان كثرة الجامعات - بما فيها من خير - وازيادة عدد المتعلمين الذين يعرفون اللغات الاجنبية وانتشار المجامع زاد في تفرق الكلمة وتناقض المصطلح فمن الضروري القيام بعملية تنسيق جادة وتنظيم مستمر بين المؤسسات العلمية في الوطن العربي .

اعضاء المجمع العاملون احمد عبد الستار الجوارى وعبد العزيز البسام ومحمود الجليلي وعبد الطيف البدري ونجيب غزومة واخوان محمود شيت خطاب وحسن الكنانى ويوسف عز الدين ومحمد تقى الحكيم وجميل الملائكة واحمد ناجي القيسي وجوامير مجيد سليم وفخري الدباغ وعلي عطية وجلال محمد صالح واحمد سوسة رحمه الله ، اضافة الى غيرهم يختارهم المجمع من ذوي الاختصاص في العلوم التي يقع مصطلحاتها ووضوح المقدمة الدكتور صالح احمد الطلي .

(٣) هناك مشاريع اخرى للمجامع تلك التي نشرت في تونس في الرياضيات والكيمياء والفيزياء وتذكر مؤتمر الجزائر الذي عقد في ١٩٦٤ م بأشراف اليونسكو والمؤتمر الذي عقد في طرابلس الغرب سنة ١٩٧٧ لتوحيد المصطلحات ومؤتمر تدريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في بنغازي سنة ١٩٧٨ . وبعد المؤتمر اذمت الجامعات والمؤسسات التربوية بالبدء في التمرير في الصفوف الاولى ، وبدأ التمرير في كليتي الطب وطب الاسنان سنة ١٩٨٠ - ١٩٨١ الجامعية ، اضافة الى تدريس مادة علمية بالغة الاجنبية في كرسى دراسية . واس لهذا الغرض مركز لتمرير تنظيم عملية التمرير وتنسيق المصطلحات ، وشارك في المؤتمر اعضاء من المجمع العلمي العراقي العاملين هم جميل الملائكة ، ومحمود الجليلي ومحمود شيت خطاب وعبد الرازق سمي الدين ويوسف عز الدين وفخري الدباغ واسهموا في بحوث المؤتمر ودراساته وتوصياته .

الدكتور يوسف عز الدين

## التعريب في القديم :

عندما بدأ التعريب في العصر العباسي في بغداد ، كانت المصطلحات موحدة لأن مصدرها واحد هو بيت الحكمة. وقد اعتمدت البلاد الاسلامية عليها وبالرغم من أن البداية لم تكن ثلاثم النوق العربي الاصيل بدخول كلمات اجنبية في الترجمة مثل (ارثماطيقي) للحساب (وجومطريا) للهندسة و (وبويطيقا) للشعر وغيرها مما هو معروف ، وقد تبدلت هذه الالفاظ وصقلت لما اشرف الادباء واصحاب الذوق العربي الاصيل على الترجمة فقد احتوى المترجم الاديب المعنى وفهمه وصبه في الذوق العربي ومن الامثلة ما صنعه ثابت بن قرة في كتابي (اقليدس) و (المجسطي) .

## التعريب الحديث :

واستبح سادتي عنذرا ان ذكرت بداية وضع المصطلح الحديث التي ما تزال اشارة واضحة في لغة العلوم والفنون والآداب في مصر عندما ارسل محمد علي باشا بعوثه الى الغرب . فقد كانت هذه البعثات رائدة في عملها برياسة رفاعه رافع الطهطاوي .. فقد فرض على جميع الاعضاء يعد عودتهم الاهتمام بالتعريب والترجمة .

فقد درست مجلة (يعسوب الطب) (٤) الصادرة ما بين عامي ١٢٨٥ هـ و ١٢٨٦ هـ و (روضة المدارس) التي املك نسخة مصورة منها (٥) وقلبت كتابا ترجمت الى اللغة العربية في مختلف العلوم والفنون ، فوجدت جهدا كبيرا ودقة واضحة في الترجمة ووضع المصطلح تشابه حركة الترجمة الاولى التي قامت في بغداد . ومن هذه الكتب (٦) .

(٤) لا تملك دار الكتب اعدادا كاملة للمجلة .

(٥) كتب الزميل الشاعر الكبير محمد عبد الغني حن دراسة متنازة عن (روضة المدارس) ونشرت بالهيئة العامة لكتاب في القاهرة .

(٦) تركت المنارين والتعليقات بأسلوبها وفكرتها .

## المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

- ١ - حقائق الاختبار في اوصاف البحار .  
تأليف علي باشا مبارك .
- ٢ - الصحة التامة والمنحة العامة .  
تأليف طبيب مصره ولقمان عصره معلم الامراض الباطنية بالمدرسة  
الطبية محمد بدر افندي .
- ٣ - اثار الافكار ومثور الازهار .  
تأليف عبدالله بك فكري .
- ٤ - المباحث البيئات فيما يتعلق بالنبات .  
تأليف الحاذق الماهر ذي الفضل الباهر - أحمد افندي ندا - مدرس  
المواد الثلاثة بالمدرسة الطبية .
- ٥ - الازهار البديعة في علم الطبيعة .  
تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب . جمعه من كتب  
الفن الفرنساوية وترجمه يوحنا عنجوري المدعو بختين مع مساعدة  
المؤلف المذكور لمعرفة بالعربية وصححه الشيخ يونس الواعظ المصحح .
- ٦ - احسن الاغراض في التشخيص ومعالجة الامراض .  
تأليف محمد التونسي محرر كتب الطب ، قابله مع جامعه محمد شافعي  
الحكيم الماهر .
- ٧ - حسن الصنيعة في علم الطبيعة .  
لمدرسه علي افندي عزة احد خواتم العلوم الرياضية بمدرسة  
المهندسخانة الخديوية .
- ٨ - التشریح العام .  
تأليف كلار ترجمة عيسوي افندي الحراري استملاه الشيخ عوض

الدكتور يوسف عز الدين

القنائي وهو المصحح الاول ، المقدمة استملاها الشيخ علي العدوي  
وهو المصحح الثاني ، قابله مع بيرون الكيماوي الطيب العارف  
لكثير من اللغات .

ومن قراءة التعليقات التي كتبت على الصفحات الاولى يجد الباحث مقدار  
الجهد وشكل العناية الشعور بالمسؤولية التي بذلت في سبيل خدمة اللغة العربية  
ولم يكتف المترجمون بالترجمة والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح  
المناسب انما كانوا يضعون الملاحق لتسهيل فهم المصطلح وضبط الكلمات  
وقد شرح الفكرة احد هذه الكتب بقوله :

( فيه كثير من الاسماء الاعجمية سواء كانت فرنساوية او يونانية كاسماء  
مهرة المشرحين ، وبعض حيوانات قد ذكرت للبين ، واسماء بعض امراض  
ومفاصل ولعجمتها كان التحريف فيها حال التلفظ بها اقرب حاصل ، ولا  
يمكن النطق بها على حقيقتها بالضبط التام ، الذي به يستقيم الكلام ، ولا سبيل الى  
ذلك الا بضبطها بالعبرة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة ، امرني  
حضرة ناظر مدرسة الطب الانساني الآن الشهير بيرون ان اضبطها بالعبرة  
ليسهل التلفظ بها ويهون وأن أرتبها على نسق حروف المعجم لتكون مراجعتها  
أسهل واقوم واحكم ... ) (٧)

دقة الترجمة والتطبيق :

وأعود فأقول ان دقة الترجمة ووضع المصطلح - رغم الضعف والركة -  
أحيانا مما يثبت نظر الدارس فقد كان كل طالب من طلاب البعثات الذين  
عادوا الى القاهرة حريصا على نقل علوم الغرب وفكره وطراز حياته الى البيئة  
التي كان يعيش فيها وتطبيق ما كان يراه صالحا من العلوم الحديثة الى الطلاب

(٧) انتشريح العام ، تأليف كلار ، طبع في بولاق ١٢٦١ .

## المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

والاستفادة منها في حياة مصر العامة وما قام به الطهطاوي وما طبع نموذج جي لذلك...

كما اجريت دراسات علمية جديدة على مياه حلوان الملحية الكبريتية من ( حضرة موسى جاستنيل خوجة الكيمياء والطبيعية ، وترجم الدراسة ذو المعارف الجمة فتوتلو احمد افندي ندا - لاجل معرفته الفرق بين الأوصاف الكيماوية لماء حلوان المحتوي على الاصل الكبريتي والاصناف الكيماوية للماء المجرد عنه ... ) (٨)

وقد ذكر ما حصل للماء من التفاعل الكيماوي .. وعنت ( يعسوب الطب) بمظاهر الامراض ووصفتها بدقة ..

## توحيد المصطلح :

سبق لي ان اقيمت اكثر من محاضرة في مؤتمر ( تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ) الذي عقد في بغداد ما بين الرابع الى السابع من شهر آذار سنة ١٩٧٨ (٩) . دعوت الى ضرورة توحيد المصطلح العلمي في الوطن العربي . وهو احساس كل من عالج امور المصطلحات ومن يقرأها في الكتب والمعاجم التي تصدر في الاقطار العربية . ومؤتمر كم خير شاهد على عمق الاحساس وصدق الشعور بالمسؤولية القومية والوطنية العلمية في ضرورة التوحيد سواء اكان في اطار المحاضرات والكتب ام بين دفتي المعجمات المتنوعة . فقد دعت الضرورة الى جمع المصطلحات وضمها بهد التنسيق في معجم موحد يعتمد عليه الباحث والدارس والمترجم كل حسب اختصاصه . وقد احس اعضاء المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد والاردن بضرورة

(٨) يعسوب الطب ، المجلد ٢٥ و ٢٦ صفر ١٢٨٥ هـ .

(٩) اسهم عدد من اعضاء المجلس العاملين وقد نشرت بحوثهم في مجلة المجلس العلمي العراقي سنة ١٩٧٩ م .

الدكتور يوسف عز الدين

توحيد المصطلح وقد دارت الفكرة في بيت الحكمة في تونس - الجلسات الأولى - لوضع حد لهذه الفوضى في اختيار المصطلح وضرورة توحيد .  
ولتأكيد هذا الاتجاه صدرت عدة معجمات في العراق موحدة منها المعجم الطبي الموحّد - ومن الصدف الحسنة ان توزع آخر طبعاته علينا في هذه الجلسة والمعجم العسكري وغيرها من المعاجم في الطب والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات الارض ( الجيولوجي ) وللوصول الى توحيد المصطلح في العلوم المختلفة مثل علم النفس وعلم الاحياء والمهندسة المدنية والري والبزل والغابات والامراض وكنا نراجع ما اقرته المجامع العربية وما اصدره مكتب تنسيق التعريب في الرباط ولم تكن نغفل دراسة الكتب المترجمة باختلاف المترجمين وتعدد الباحثين وكانت محاولات مجمع اللغة العربية المبكرة في القاهرة جادة في الدعوة الى توحيد المصطلح وما قام به مصطفى الشهابي من جمع لاشهر الالفاظ اللاتينية لانواع النبات وترتيبها على حروف المعجم وذكر ما يقابلها باللغة العربية مجال دراسة اللجان المختصة (١٠) .

ولا يمكن نسيان جهود اتحاد المجامع العربية في اصدار المعجمات الموحدة في الطب والنفط والقانون والمعجم الموحّد للمصطلحات العلمية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان وعلم طبقات الارض ، كما سعت المنظمة العربية للتربية والعلم في هذا الصدد لشعورها العميق بهذا التمزق اللفظي .

وخارج المجامع قامت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي باصدار ثلاثة قواميس في الكيمياء ومشروع المؤسسة يشتمل على خمسة معاجم باللغة العربية والفرنسية والانكليزية لشرح المصطلحات وقد وعدت المؤسسة بالانترام بقواعد وضع المصطلحات التي اقرتها المجامع العربية .

(١٠) يلاحظ اعداد مجلة مجمع انفة العربية في دمشق في اعدادها المتنوعة ومنها العدد الاول سنة ١٩٦١ ومعجم المصطلحات الجراحية الانكليزية والفرنسية والعربية للامير مصطفى الشهابي ومعجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية ، طبع مكتبة لبنان .

## مشكلة المصطلح :

ان اختلاف المصطلح العلمي في الوطن العربي مشكلة آتية لا بد من حلها .  
فقد كثرت الشكاوى من هذا الاختلاف والتفرق في وضعها واستعمالها وما  
تزال تدخل للحياة العامة ولغة الصحافة والكتاب ونحس بهذا الاختلاف في  
ابسط اشكالها في اللغة اليومية والاستعمال الرسمي .

فنحن في العراق نقول وزارة النفط وفي المملكة العربية ووزارة البترول  
والمعادن وهناك من يسمي النفط بالزيت ووجدنا اختلافا في كثير من  
المصطلحات الحيوية منها على سبيل المثال :

علم الطبيعة - الفيزياء - وتسمونها الفيزيقيا .

الملاحق في الامتحان - الدور الثاني ويسمى الاكمال .

المدارس الاميرية والاعمال الاميرية تسمى الرسمية .

المدارس الحرة - الخاصة - الاهلية .

ناظر - مدير

المرتب - الماهية - الراتب - الرزق

شال على التواعد - شال على الاستيداع .

العوائد - الرسوم

وظيفة خاوية - شاغرة

كادر - ملاك

وكيل نيابة - حاكم تحقيق - مستنطق

محكمة النقض - محكمة الاستئناف

المحافظ - المتصرف - المدير

مدير الامن - مدير الشرطة - الحكماء

سترال - بدائة - مقسم

الدكتور يوسف عز الدين

ولو تبعت مثل هذه الكلمات لاحتاج الامر الى صفحات كثيرة اضافة الى شيوع كلمات اجنبية مثل الطابور وسره وكوبري ونهرة باش وتلغراف وجرنال .. والحبل على الجرار وجرائدنا العربية والاذاعة المسموعة والمرئية شاهد يومي على ما أقول . فلا بد من تدارك الامر والتكاتف مع الجرائد اليومية ووسائل الاعلام بالابتماد عن مثل هذه الالفاظ وتوحيدها في معجم واحد او معجمات حسب حاجة الحياة المعاصرة . وحياتنا الحاضرة المتطورة تخدم عملنا بما فيها من سرعة المواصلات ووسائل النشر الحديثة وادوات الطباعة المتطورة وقد اصبحت الوثائق والرسائل والصكوك ترسل صورها من بلد الى آخر بالهاتف المصور .

وقد توحدت الامم المختلفة رغم اختلاف جذورها فحري بالعرب القضاء على التفرقة الفكرية والتعزق اللغوي في وضع المصطلح العلمي . اذ أخشى أن يأتي اليوم الذي لا تفهم شعوب العرب المصطلحات التي توضع في اقطارها المختلفة واقاليمها المتباعدة .

هذه المشكلة قد حلها السلف الصالح بوضع كتب للمصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي والمغرب للجواليقي والمتوكلي للسيوطي والتعريفات للجرجاني والمخصص لابن سيده وغيرها من مصطلحات اللغة والادب والفلسفة . فالدارس العربي والمسلم قد وحد المصطلحات ورآها ضرورة لمسيرة حياته الحضارية والعلمية في العصر العباسي وحاولها احفاده في زمن محمد علي باشا (١١) وكان من نتيجة وحدة المصطلح فهم العلوم وخصمها وانتشارها واستعمالها في الكتب العلمية المختلفة حتى اصبحت مألوفة مسورة لكثرة تداولها .

(١١) المؤسسات العلمية في زمن محمد علي باشا وضمت معجما كبيرا في عدة مجلدات سي قاموس القواميس العلمية . ولا يمكن اغفال ما في مخطوطات التراث العربي لابن الهيثم وابن سينا والكندي وابن بصال وابن وحشية من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون .

## المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

ولابد لي أن اسجل شكوى استاذين في المغرب العربي ومعاتهما من المصطلحات التي توضع في مشرق الوطن العربي ، فقد قال الاستاذ الدكتور محمد السريسي زميلي في المجلس العلمي لبيت الحكمة في تونس .

( واجهنا مشكل المصطلحات في العربية حين حدث بنا الظروف منذ ما يزيد على الثلاثين سنة الى الاشراف على تحرير القسم العلمي في مجلة المباحث والى تدريس اصول الرياضيات والعلوم الفيزيائية ) . فقد كانت المشكلة قديمة حاول الاستاذ وضع مصطلحات جديدة اعتماداً على التراث العربي وما وضع المشاركة من المصطلحات لكنه وجد تشتتاً وتفرقاً في وضع المصطلح فقال :

( قام الباحثون في المشرق منذ امد بعيد باعمال كثيرة كانت مفيدة ، وأكب العديد من الاختصاصيين جاهدين على انشاء ما يقابل في العربية ، المصطلحات العلمية الجاري بها العمل ، واكن هذه المساعي ، كانت مشتتة وكانت نتائجها متباينة مختلفة فصار المعجم العربي الحديث ملتقاً تلفيقاً مصطبغاً بعديد من الالوان وهو مانح متحرك يعرض من المتحدثات افواجا من الانفاظ المشتركة التي قد توازي المداول المقصود موازاة تامة او هي لا توازيه ، والتي تتميز بحسب البيئات وتختلف باختلاف الاشخاص ، فعرب كل اختصاصي بعض مصطلحات اختصاصه ، متأثراً باللون الذي طغى على اللفظ المستعمل في لغة الاصل التي استند اليها وجعلها اساساً في بحثه فتراكت المفردات وتعددت لاداء المفهوم الواحد او لوصف الظاهرة (الراحة ... ) ( ١٢ )

وقال الدكتور احمد الأخضر من الجزائر :

( ١٢ ) مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بتناد ١٩٨٠ ص ٥٥ .

الدكتور يوسف عز الدين

( ولو كان المعجميون العرب المصريون قد اهتموا بتأليف معاجم متخصصة على مثال اسلافهم ( كابين سيده في مخصصه ) لادركوا اضطراب المصطلحات التي لا يقبل بحال من الاحوال ، وما كان علينا أن نقوم بهذا العمل الجبار لاعادة تنظيمها اليوم ... ) ( ١٣ ) .

### الخاتمة :

ان توحيد المصطلح في لغتنا المعاصرة ضرورة من ضرورات حياة العرب الفكرية المعاصرة لاثبات الذات في الوطن لان التطور العلمي في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تطور الحضارة السريع لا بد له من اعداد متن ومنسق بمد أن اصبحت البشرية عالما واحدا مشتركا في كل قضاياها العامة .

واللغة العربية هي الاداة القوية التي تربط الاقطار العربية وتسجل تطورها العلمي وتقدمها الحضاري فمن الضروري ان توحد مصطلحاتها بعد أن اصبحت جزء من الفكر القومي والوطني لان ترك الامور على الغارب سوف يخلق لغات متنوعة لن تمكن الاستفادة منها في الاقطار العربية الاخرى . وايت القضية اعترازا بانفس واعتنادا بالاقليمية انما هي قضية مصير موحد وقضية مستقبل الحضارة والعلوم في وطننا فمن الضروري ان تأخذ الامور بالجد واحتواء الحضارة الغربية ومراجعتها بفهم علميها ومصطلحاتها .

ان فهم العلوم لا يتم بصورة مفيدة وفاعلة في تطور الفكر العلمي عند العرب الا اذا فهم الباحث العلوم الجديدة في لغته المعاصرة فقد تقدمت اليابان وطورت علوم الغرب عندما درست العلوم الغربية بلغتها رغم الصعوبات الكبيرة في هذه اللغة وقد تطورت العلوم الحديثة في روسية عندما بدأ العلماء يدرسونها باللغة الروسية ، ولم تصل الصين ذات اللغة العجيبة المعتادة الى

( ١٣ ) المصدر السابق ، ص ٥٨٩ .

اكتشاف او اختراع القنبلة الذرية ومزاحمة الغرب في صواريخه الا بعد دراسة العلوم المتطورة باللغة الصينية (١٤) .

كنا ندرس الكيمياء ولا نعرف ما يحتويه المصطلح من كميات المواد وكنا نحفظ غيبا المصطلحات العلمية كي ننجح في الامتحان لاننا لا نعرف بصورة مضبوطة محتويات هذه المصطلحات العلمية . والطالب في الغرب يعرف ما معنى كبريتريز وكبريتات وكبريتيد وكبريتيك وما مقدار الاكسجين والكبريت في هذا المصطلح .

ان وضع المصطلحات باللغة العربية وتنسيق المعجمات وتوحيدها سوف يخلق جيلا عربيا يفكر بلغته ويعرف اسلوب البحث العلمي ودقائق المصطلح ومن فهم الاسلوب العلمي فقد تطور فكره في البحث ووصل الى النتائج الجيدة وأصبح مبدعاً . لأن اللغة خير وسيلة لتأصيل العلمي والفكري . وبعث الثقة العميقة بالتراث اللغوي الذي عانى من الاتهامات المريرة .

ان الايمان بقدرة اللغة سبيل الى بعث الثقة بالذات ووسيلة لتأصيل العلمي والفكري في الامة واحتواء الحضارة الجديدة لان العلم متى أصبح مشاعا يصبح سهلا ومتاولا من اصحاب الحرف والاعمال العامة وعلى هؤلاء المعول في ادارة كثير من اعمال المخترعات الحديثة .

ولا بد في هذا المجال من مراجعة المعاجم التي وضعت لمختلف العلوم والفنون والاستفادة من اصحاب الخبرة في كل فن وعمل في وضع المصطلح العلمي . ويمكن اتخاذ الخطوات التالية :

١- عقد المؤتمرات الدورية المتقاربة التي بدأت في المجامع - ولم تستمر -

(١٤) لكي تلم باللغة الصينية لابد لك ان تعرف عدة آلاف حرف وقد أحست بصعوبة لأنها عند زيارتي للصين الشعبية ولا شك ان البيان تعاني مثل هذه الصعوبات ولكن لم تنخل عن اللغة رغم الصعوبة الباهرة ولم تكن البلغارية لها حروف حتى وضعها لها كيرل وتيردي .

الدكتور يوسف مزالدين

لتوحيد المصطلح الذي يضعه المجهدون قبل ان يطبع في المعجم الموحد للعلم الواحد .

٢- ان يكون التنسيق مستمرا بين جميع المؤسسات العلمية والمجاميع بتبادل ما وضع من المصطلحات ودراستها وابداء الرأي في كل مصطلح .

٣- اسهام عدد من اللغويين في المؤسسات العلمية عند وضع المصطلح فقد لاحظت بعض المصطلحات يضعها العالم الناضل بعلمه واكنه بعيد عن اللبوق اللغوي والاسلوب العربي فتدخل الانفاظ الاجنبية التي انها العالم ويفرضها لشدة حرصه وقرب معناها الى نفسه .

٤- من المهم وجود هيئة علمية لتنسيق قدرة على العمل المنظم والحركة السريعة وتملك القدرة المالية والمعنوية في التنسيق والطبع والنشر .

٥- تحديد معنى المصطلح بوضع تعاريف مطاوعة واختيار الدقة في لغة العلم المعاصرة ، وايضاح الدلالة العلمية والتفاعلات التي جاء منها المصطلح لان الايضاح ضرورة افهم المصطلح في أول وضعه والاتفاق عليه .

٦- جمع المصادر العلمية من مصادرها العلمية المعاصرة وحذف الاختلاف بين وتقريب وجهات النظر ما بين هذه المصطلحات والتأكيد على دراسة ما وضع في المشرق العربي والمغرب العربي لاختلاف القواعد الذاكرة العلمية بتنوع الجنور الاجنبية التي اخذت منها هذه المصطلحات .

٧- ولا بأس من الاستفادة من المصطلحات العلمية التي وضعت في زمن محمد علي باشا رغم ما فيها من سذاجة وبدائية وقد وجدت الكتب التي انتشرت في المدارس مطبوعة او مخطوطة في دار الكتب وقد ذكرت جزء منها .

شكر وتقدير :

واخيرا اقدم جزيل شكري وتقديري للمبادرة الكريمة التي قام بها

## المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمي

مجمع اللغة العربية للدعوة لهذا المؤتمر فإن عمله التاريخي خطورة كبيرة في سبيل الوحدة الفكرية للتقضاء على التمزق الفكري في وضع المصطلح . لان توحيد المصطلح اقوى قاعدة للنهوض بالعلم المعاصر وتقريب فهمه ونشره بين اكبر عدد من المتعلمين واصحاب الحرف . . وبالتالي فهو عمل خالد في النكر المشتت في بلادنا العربية .

وارجو أن تكون هذه الخطورة العلمية باعنا لحفز همم المؤسسات العلمية في كل الاقطار العربية للسير في هذا السبيل .

واختتم قولي هذا بالتهاني القلبية لمجمع اللغة العربية ولرئيسه استاذنا شيخ الفلاسفة المعاصرين الدكتور ابراهيم بيومي مذكور واساتذتي وزملائي اعضائه واتمنى لهم اعذب التهاني والعمر المديد والانتاج المستمر . . بالعيد الذهبي راجيا ان يكون المجمع منارا يشع بعلمه ونبراسا يهتدى بفضله وفكرا يستفاد منه وفضلا يطور الحضارة المعاصرة ويقدمها حية لجميع الامة العربية . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

★ ★ ★

# كتاب الشجر والنبات

## وكتاب النخل

لأبي عبّيد القاسم بن سلام

المتوفى سنة ٢٢٤ هـ

محقق

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عضو المجمع

أبو عبّيد القاسم بن سلام - وزاد بعضهم : بن مسكين بن زيد - عَلم شامخ من أعلام العربية ، وأستاذ كبير من أساتذة عِلم القراءات والحديث والغريب ، ووالد بارز من روّاد البحث اللغوي والتأليف المعجمي في تاريخنا المشرق التليد .

• وُلِدَ بهراة سنة ١٥٠ أو ١٥٤ هـ ، وأبها تُسبب ثقيل المتروي ، وكان زيد أبوجده حملاً ، وأبوه سلام عبداً رومياً مملوكاً لرجلٍ من أهل هراة ، ثم دخل في عداد مرالي الأزد .

• ارتحل في طلب العلم في البلدان ، فزار بغداد والكوفة والبصرة ودمشق والقاهرة ، وحضر حلقات الدرس فيها ، فأخذ وسمع ، وروى وحدث . وكانت له الرواية عن عدد كبير من أعلام اللغة والنحو والغريب من كوفيين

وبصريين وغيرهم ، ومنهم : أبو زيد الأنصاري ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، وأبو محمد الزبيدي ، وابن الأعرابي ، وأبو زياد الكلابي ، والأُموي ، وأبو عمرو الشيباني ، والقراء ، والكاثي ، والأحمر ، وأبو الحسن النحجاني .

• أقام ببغداد مدةً للفادة والتدريس والاملاء ، وكان ينزل بدرّ ب الريحان ، وفيها ألف كتابه الشهير « غريب الحديث » . كما أقام بطرسوس ثمانى عشرة سنة يتولى شؤون القضاء فيها .

• له طلابٌ كثيرون قال التفطلي فيهم : « وعادت بركة أبي عبيد — رحمه الله — على أصحابه ، فكلهم نبغ في العلم واشتهر ذكره وأخذ عنه وتصدر للآلادة » .

• حجَّ بيتَ الله الحرام في سنة ٢١٤ أو ٢١٩ هـ ، وأقام بمكة المكرمة بعد الحج مجاوراً الى أن تُوفي فيها في المحرم من سنة ٢٢٤ هـ — ٨٢٨ م ، في أشهر الروايات .

• وبقي اسمه بعد وفاته موضع ا كبار العلماء والمعنيين على مرّ القرون ، فذكره بكل إجلال واحترام ، واثنوا عليه بما يستحقه من تبحر وتقدير . وكان منهم أبو عثمان الجاحظ ، وقد قال فيه :

« ومن المعلمين ثم الفقهاء والمحدثين ؛ ومن النحويين والعلماء بالكتاب والسنة والناسخ والمنسوخ وبغريب الحديث وإعراب القرآن ؛ ومن قد جمع صنوفاً من العلم : أبو عبيد القاسم بن سلام . وكان مؤدباً لم يكتب الناس أصح من كتبه ولا أكثر فائدة » .

وذكره ابن درّستويه فقال : « من علماء بغداد المحدثين النحويين على مذهب الكوفيين ، ورواة اللغة والغريب عن البصريين والكوفيين ، والعلماء بالقراءات ، ومن جمع صنوفاً من العلم ، وصنّف الكتب في كل فن من العلوم والأدب فأكثر » .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

ألّف ابو عبيد في العلوم التي برع فيها فأجاد وأبدع ، وقد ذكر له المؤرخون عدداً كبيراً من المؤلفات ، منها ما طُبِعَ ومنها ما هو مخطوط موجود ومنها ما ضاع خبره ، ونورد فيما يأتي جريدة بأسماء تلك الكتب ، وربما كان بعضها فصولاً مستلّة من كتبه المطوّلة :

- ١ - كتاب آداب الاسلام .
- ٢ - كتاب الأجناس من كلام العرب : طبع في بومباي الهندسة ١٩٣٨ م .
- ٣ - كتاب الأحداث .
- ٤ - كتاب أدب القاضي .
- ٥ - كتاب الأضداد في اللغة : عزاه بروكلمان لأبي عبيد وذكر ان نسخة مخطوطة منه في مكتبة عشر أفندي في استانبول . والظاهر انه أضداد ابي حاتم .
- ٦ - كتاب الأمثال ( وسماه ابن النديم : الأمثال السائرة ) : نشره نشرة علمية جيدة مركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى في مكة المكرمة سنة ١٤٠٠ هـ ، وكان قد طُبِعَ قبل ذلك أكثر من مرّة .
- ٧ - كتاب الأموال : قال فيه القفطي : « من أحسن ما صُنّف في الفقه وأجوده » ، طبع للمرة الاولى في القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ ، ثم أعيد طبعه - فيها أيضاً - سنة ١٣٨٨ هـ .
- ٨ - كتاب الإيمان ومعامله : طبع بدمشق .
- ٩ - كتاب الأيمان والندور .
- ١٠ - كتاب الحجر والتفليس .
- ١١ - كتاب الحيض .

- ١٢ - كتاب الخطب والمواعظ (وسماه ابن خيبر : مواعظ الأنبياء) : منه نسخة مخطوطة في لايبزغ .
- ١٣ - كتاب الشعراء .
- ١٤ - كتاب شواهد القرآن .
- ١٥ - كتاب الطهارة .
- ١٦ - كتاب عدد آي القرآن .
- ١٧ - كتاب غريب الحديث : طبع في حيدرآباد الهند في أربعة أجزاء في سني ١٣٨٤ - ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م .
- ١٨ - كتاب غريب القرآن : قال بروكلمان : « يبدو أن القائمة المنسوبة الى أبي عبيد ؛ والمشتمة على ما ورد في القرآن من لغات القبائل مأخوذة من كتابه المفقود في غريب القرآن . وقد طبعت هذه القائمة على هامش كتاب التيسير في علم التفسير لعبدالعزیز بن محمد الدبريني المتوفى ٦٩٤ هـ / ١٢٩٥ م ، المطبوع في القاهرة ١٣١٠ هـ . »
- ١٩ - كتاب الغريب المصنف : وربما يقال له الغريب المؤلف ، وقد يُكتفى بـ « المصنف » أو « المؤلف » في تسميته ، وروى الأزهرى في تهذيبه بسنده عن أبي عبيد قوله : « كنت في تصنيف هذا الكتاب أربعين سنة أتلقف ما فيه من أفراء الرجال » ، وفي رواية أخرى : « ثلاثين سنة » . وسيأتي مزيد كلام فيه بعد ذلك .
- ٢٠ - كتاب فضائل الفرس : ذكره القلقشندي في صبح الأعشى : ٩٢ / ٤ .
- ٢١ - كتاب فضائل القرآن : ذكر بروكلمان أنه نُشر في مجلة اسلاميكا .
- ٢٢ - كتاب فَعَلَ وَأَفْعَلَ : ذكر بروكلمان أن نسخة مخطوطة منه في دار الكتب المصرية في القاهرة .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

٢٣ - كتاب القراءات : قال فيه التفطحي : « كتاب جيد ، ليس لأحد من الكوفيين قبله مثله » .

٢٤ - كتاب ما خالف فيه العامة لغة العرب : نقله بروكلمان عن لسان العرب .

٢٥ - كتاب المذكر والمؤنث .

٢٦ - كتاب معاني الشعر : روى بروكلمان أنه مذكور في طبقات الشافعية للسبكي .

٢٧ - كتاب معاني القرآن .

٢٨ - كتاب المقصور والممدود .

٢٩ - كتاب الناسخ والمنسوخ .

٣٠ - كتاب النسب .

وقال ابن التديم بعد ذكر أسماء مؤلفات أبي عبيد : « وله غير ذلك من الكتب النقية » ، وقال القفطي : « وله كتب كثيرة لم تُرو في أصناف الفقه كله » .

أما كتاب مقاتل الفرسان الذي عناه بروكلمان له نقلاً عن الزهر للسيوطي في بعض طبعاته فهو لأبي عبيدة كما ذكر في فهرس مؤلفاته وكما ورد في طبعة البابي الحلبي من الزهر : ١ / ٤٣٤ .

\*\*\*

أما « الغريب المصنّف » فيُعدُّ - في الحق - من أجل مؤلفات أبي عبيد وتراثه اللغوي النفيس ؛ بل في طليعة المعجمات اللغوية الرائدة بعد « عَيْن » الخليل . وحسبنا في ذلك كلمة شعر بن حمدويه المعروفة : « ما للعرب كتاب أحسن من مصنّف أبي عبيد » .

وقد نال الكتاب منذ عصر المؤلف بل منذ الفراغ من تأليفه ؛ اهتماماً

كبيراً قلّ ما حظي بمثله كتاب آخر ، ثم أصبح - بعد ذلك - مصدراً رئيساً لكل من ألف في اللغة وعنى بها ، ويروي الأزهري - وهو أحد المعجمين القدامى البارزين - انه اختلف الى الإيادي في سماعه بتين وزيادة .

ولعل من أكبر ما يحكي لنا هذا الاهتمام - وما زال المؤلف حياً - ما رواه الزبيدي في طبقات النحويين : أنه قيل لأبي عبيد إن فلاناً يقول : أخطأ أبو عبيد في ما تبي حرف من المصنّف ، فقال : في المصنّف مائة ألف حرف ، فإن أخطىء في كل ألف حرفين ما هذا بكثير مما استدرك علينا ، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هاتين المائتين يزعمه لوجدنا لها مخرجاً .

وفي نص آخر : أنه قيل له إن فلاناً ذكر أنك صحقت في المصنّف نيفاً وعشرين حرفاً ، فقال : ما هذا بكثير ، في الكتاب عشرة آلاف حرف مسرعة .

وليس أصرح من هذين النصين ولا أبلغ دلالة على اهتمام معاصري أبي عبيد بكتابه وتصديهم أقرائه وتدقيق مطالبه واحصاء الحروف التي أخطأ فيها أو صحف ، وذلك برهان ناصع على الشهرة الكبيرة التي نالها الكتاب والضجة التي أثارها يومذاك .

ثم جاء بعد وفاة أبي عبيد من حاول التقليل من أهمية الغريب المصنّف وقيمه وما تضمنه من إنجاز علمي كبير في عصره ، فنفي أن يكون أبو عبيد هو المبتكر لهذا المنهج في تقسيم الألفاظ على أبواب المعاني ، وإنما كان في ذلك عيلاً على غيره وناقلاً عن سبقه . قال ابن النديم في ترجمة النضر بن شميل : « له من السكتب كتاب الصفات ، وهو كتاب كبير يحتوي على عدة كتب ، ومنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام كتابه غريب المصنّف » .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وقال أبو الطيب اللغوي : « وأما كتابه المترجم بالغريب المصنّف فانه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه ، فأخذ كتب الأصمعي فيرب ما فيها ، وأضاف إليه شيئاً من علم أبي زيد وروايات عن الكوفيين . »

وقال ولدنا محمد حسين في التعليق على ذلك :

« والحق ان في ذلك غلواً كبيراً ، فلو ازننا بين ما ذكره ابن التديم من أجزاء كتاب ( الصفات ) وأبوابه ؛ وكتب الغريب المصنّف وأبوابه ، اظهر الفرق الكبير فيما استجد في الغريب المصنّف من كتب وأبواب . فكتاب الصفات خمسة أجزاء تضم ما يقرب من ثلاثين باباً ؛ على ما ذكر ابن التديم .. والغريب المصنّف ثلاثون كتاباً أو قريب من ذلك ، تضم ما يقرب من ألف باب ، تختلف طولاً وقصراً . . . »

ثم يقول بعد ايراد حججه على ما ذهب اليه : « فكيف يكون بعد هذا كتاب الصفات للتضر هو المثال الذي احتذاه الغريب المصنّف ! ... الا أن يكون المقصود ... سبق التضر بن شميل ( ت ٢٠٣ هـ ) الى تأليف الصفات . فإن كان ذلك ما أرادوا فتعمّم (١) . »

ومهما يكن من أمر ، فان الكتاب - كما أسلفنا - قد نال من الاهتمام والشأن ما لا ينكر . وقد تصدّى لشرحه جماعة من العلماء ، كابن السيرافي المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ؛ وأبي العباس المرسي المتوفى سنة ٤٦٠ هـ .

كذلك تصدّى أردّة وتصحيحه عدد من الأعلام ، وفي طليعتهم العالم اللغوي التحري علي بن حمزة البصري المتوفى سنة ٣٧٥ هـ ، وقد وودردّه هذا في ضمن كتابه « التبيهات » المطبوع في القاهرة سنة ١٣٨٧ هـ .

(١) الدراسات القنوية عند العرب : ٢٩٢ .

(الصفحات : ١٨٩ - ٢٧٣) . والملاحظ في بعض تلك الردود والتصحيحات انها اجتهادية أو ذوقية ، وليست أغلاطاً ملماً بها .

وقد سلمت - والحمد لله - من عوادي الدهر نسخ مخطوطة متعددة من الغريب المصنف ، وروى بروكلمان وجود نسخ منه في مكبات : أيا صوفيا ، القاهرة ، بجمرة لنديبرغ في ليدن ، امبروزيانا ، اسكوريال ، فاتح ، داماد زاده ، وغيرها (٢) .

### ★ ★ ★

وفي أثناء اشتغالي بإعداد « معجم النبات والزراعة » أثار انتباهي ما رأيته من شيوع النقل عن ابي عبيد في كل المعجمات ؛ ومن تكرار اسمه في كل باب من أبواب اللغة وكل حرف من حروفها ، فكان من الضروري الرجوع الى كتابه « الغريب المصنف » للوقوف عليه ومعرفة ما يضمه من معلومات تخص هذا الموضوع .

وقرأت الأبواب الخاصة بالنبات والشجر والنخل في هذا الكتاب قراءة فاحصة ، وقد أعجبتني ذلك غاية الإعجاب ، فرجح عندي نشره ووضعه بين يدي القراء والمعنيين - لغويين ونباتيين - ، تقديراً للجهد الذي بذاه مؤلفه

(٢) رجعت في ترجمة ابي عبيد الى المصادر الآتية - مرتبة على حروف الهجاء - : انباء الرواة لقفلي : ١٢/٢-٢٣ والبداية والنهاية لابن كثير : ١٠/٢٩١-٢٩٢ وبغية الوعاة للسيوطي : ٢٧٦-٣٧٧ وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان - الترجمة العربية - : ٢/١٥٥ - ١٥٩ وتاريخ بغداد للخليفة البغدادي : ١٢/٤٠٣-٤١٦ وتذكرة الحفاظ للذهبي : ٢/٤١٧-٤١٨ والتهذيب للأزهري : ١/١٩-٢٠ و٣٢ و٣٧ وثلثات الذهب لابن السامد الحبلي : ٢/٥٤-٥٥ ومطبقات النحويين للزبيدي : ٢١٧-٢٢١ والفهرست لابن النديم : ٥٤ و ٧٨ وفهرسة ابن خير الاشيلي : ٧١ و ٢٩١ وكشف الثنون لحاجي خليفة : ٢/١٢٠٩ و « امرأة الجنان لياضي : ٢/٨٣-٨٦ ومراتب النحويين لأبي الطيب الفنوي : ١٨ و ١٤٨ ومعجم الادباء لياقوت : ١٦/٢٥٤-٢٦١ ونزهة الألباء لابن الأثيري : ٩٣-٩٨ ووفيات الأعيان لابن خلكان : ٣/٢٢٥-٢٢٧ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

في هذه السبيل ، واعتراضاً له بالريادة أو بكونه أحد الرادة الأوائل في هذا الميدان ؛ إذ يُعَدُّ نصُّه هذا ثالثاً ما وصل إلينا من نصوص السلف في النبات بحسب التسلسل التاريخي بعد كتابيَّ أبي زيد والأصمعي .

وكان المستشرق الدكتور اوغست هفتر قد نشر كتاباً باسم « النخل » عزاه للأصمعي ( يراجع كتاب البلغة في شلور اللغة / ص ٦٣ - ٧٢ / بيروت ١٩١٤ م ) . وهو في حقيقته كتاب النخل لأبي عبيد ، وقد استلّه من الغريب المصنف رجل غير معروف ، فاختصر وحرّف فيه وصحّف ، وحذف أسماء الرواة ومعظم الشواهد الشعرية .

ويمتاز نبات أبي عبيد بكثرة الرواية عن الأصمعي ، بل إن أكثر ما فيه مروى عنه ، ولكنها ليست رواية عن كتابه في النبات وإنما عن الأصمعي نفسه ؛ وإن كان كثير من ذلك قد ورد في نبات الأصمعي باختصار أو بلفظ آخر .

أما رواياته عن أبي زيد - وهي قليلة - فلم تكن عن كتابه « الشجر » ، وإنما عن أبي زيد نفسه ، ولا وجود لتلك المعاوامات في الكتاب المذكور .

★ ★ ★

تهيات لي من مخطوطات الغريب المصنف ثلاث نسخ رجعتُ إليها في تحرير النص :

الاولى - نسخة المكتبة الامبروزيانية في ميلانو - ايطالية . وهي في ٢١١ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « تمّ كتاب الغريب المصنف بحمد الله ومَنّته ، والصلاة على النبي وآله ، في جمادى الأول ( كذا ) ، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . رحم الله كاتبه وغفر له » .

وقد جعلت هذه النسخة هي « الأصل » لكونها أقدم النسخ الواصلة إلينا ، مع ما تمتاز به من صحة في النسخ ؛ ودقة في الضبط وإن لم يكن ضبطاً كاملاً .

كتاب الشجر والنبات والنخل

الثانية - نسخة مكتبة فيض الله في استانبول - تركية ، وهي في ٢٨٧ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « وقع الفراغ من نسخة للنصف من شعبان ، سنة ست وثلاثين وخمسمائة .. الخ » .  
وقد قابلت بها الأصل ، ورمزت لها بـ « ت » .

الثالثة - نسخة مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، وهي في ٣٤٢ ورقة ، وقد جاء في آخرها : « تمَّ بحمد الله وعونه » ، كما جاء في هامش الصفحة الأخيرة بخط الأب أنستاس ماري الكرهلي ما لفظه : « كان هذا الكتاب في خزانة السيد عبد الحميد البكري ، وكتبه لخزانه عمود حمدي من النساخ المصريين ، وكان قد فرغ من كتابته في سنة ١٣٣٠ للهجرة . ولما توفي صاحب الخزانة المذكورة بيعت كُتبه في المزايده ، فاشترى منها طائفة كبيرة أجدُ الكتبيين في مصر ، ثم اشتريتها منه في ١٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٨ بثلاثة جنيهات مصرية » .

وقد قابلت بها الأصل استثناءً ، ورمزت لها بـ « م » .

★ ★ ★

وبعد :

فليس لديّ ما أقوله في الختام غير التمني المخلص بأن يجد الباحثون والمعنيون - إذ يقفون على هذا النص اللغوي الأصيل في النبات والشجر والنخل - ما نطمح أن يجده فيه من فائدة وامتعة ، وأن يلمسوا - من خلاله - البرهان الصريح الناطق على سمو لغتنا الخالدة وقدرتها المطلقة على البقاء والتطور واستيعاب كل ما يحتاجه اليوم والغد - على امتداده - من أنماط العلم والحضارة والمعرفة الانسانية .

وكان منهجي في التحقيق متّجهاً نحو تحرير النص وإبرازه أقرب ما يكون الى لغة مؤلفه وألفاظه ، واكتفيت في الهوامش بإيراد بعض التعليقات

الشيخ محمد حسن آل ياسين

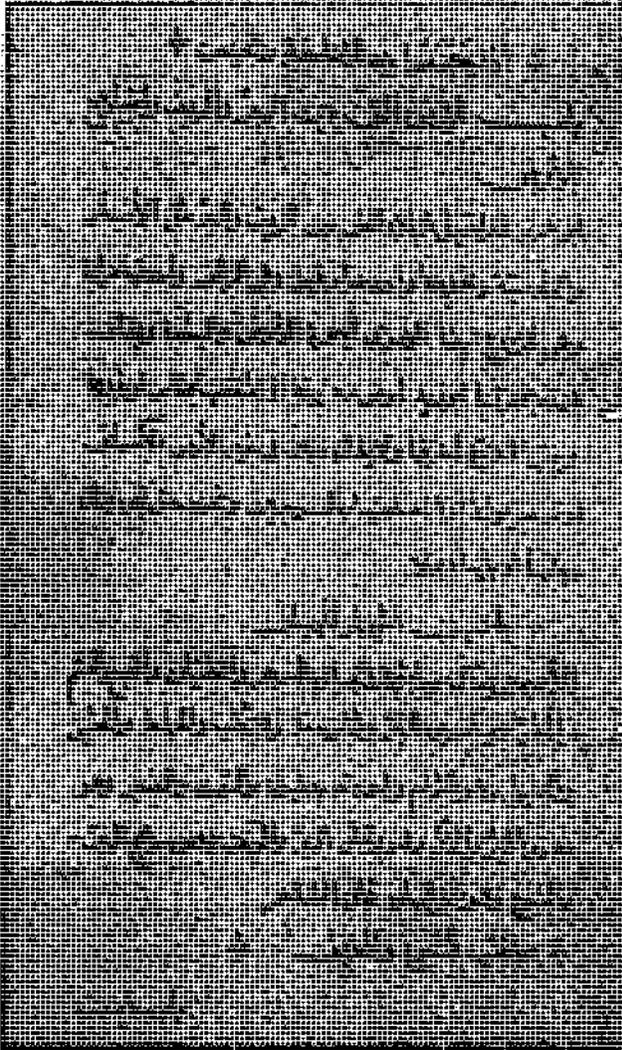
المختصرة التي تخص اختلاف النسخ وتخريج الشعر ، مع الاشارة الى أهم ما كتبه علي بن حمزة البصري في الرد على ابي عبيد . ولم أشير في اختلاف النسخ الى ما ورد في الأصل مما سقط من النسختين الاخرين . والله تعالى ولي التوفيق .

★ ★ ★



الشيخ محمد حسن آل ياسين

صورة صفحة من المخطوطات



« صورة صفحة من النسخة م »

[ ١ / ٧٠ ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## كتاب الشجر والنبات

### باب اشجار الجبال

[ قال ] (١) الأصمعي : من شجر (٢) الجبال :

العَرَعَرُ . وَالظَّيَّانُ . وَالنَّبْعُ . وَالنَّشْمُ . - قال : وَالظَّيَّانُ يَأْسَمِينُ (٣) .  
الْبَرْ - وَالشُّوْحَطُ . وَالنَّائِبُ . وَالْحَمَّاطُ . وَالْحَيْثِيلُ .  
وَالجَيْلُ - وَهُوَ الثَّمَامُ - وَاحِدَتُهُ جَلِيلَةٌ . وَالشُّتُّ . وَالضَّبْرُ - وَهُوَ  
جَوْزُ الْبَرْ (٤) - . وَالسُّطُّ - وَهُوَ رُمَّانُ الْبَرْ - . وَالرَّنْفُ - وَهُوَ  
بَهْرَامِجُ الْبَرْ (٥) - . وَالشُّوعُ - وَهُوَ شَجَرُ الْبَانُ - ، قَالَ الشَّاعِرُ (٦) :

بِحَافَتَيْهِ الشُّوعُ وَالْفَرَيْفُ (٧)

باب ما ينبت منها في السهّل

قال الأصمعي : من نبات السهّل :

- 
- (١) زيادة من ت .  
(٢) في ت و م : من أشجار  
(٣) جاء في هامش ت مالفظة : « الياسين مدرب النون على هذه اللفظة ، وهو قول سيبويه .  
وقال أبو حاتم : الياسون - يفتح السين - في موضع ارفع بالوار ، وفي موضع الجربالياه .»  
(٤) في نبات الأصمعي : وهو جوز الجبل .  
(٥) جاء في هامش ت مانصه : وقال أبو عبيد : لا أدري ما بهرامج البر ، أظنها فارسية .  
(٦) هو أسحجة بن الجلاح .  
(٧) المبرز في تركيبي حوف و غرف في الباب والتاج ، وصدوره فيهما : « يزخر في انطاره  
منقذ . » والمبرز نفسه مع صدر آخر في نبات الأصمعي : ٣٧ ونبات الدينوري ٤٩/٥  
والسان غرف .

الرْمَثُ . والقِيَصَةُ . والمَرْفَجُ . والنُّقْدُ . والشُّقَارَى . والحِنْزَابُ - وهو جَزَرُ البَرِّ - . والأَقَانِي . والسُّطَّاحَةُ . والغَبْرَاءُ . والأَطْحَمَاءُ . والدَّرَمَاءُ . والحَرَشَاءُ . والصَّفْرَاءُ . والكَرْشُ . والحَلَمَةُ . والبِنَمَةُ . والراءُ - واحده (٨) راءة ، تقديرها راعة - . والشَّيْرُمُ . والرَّحُ . والنُّعْضُ . والنَّفْلُ . والحَسَكُ . والسَّعْدَانُ . والجَرَّجَارُ . والعَرَّارُ - وهو بَهَارُ البَرِّ - . والجَشَجَاتُ . والقَيْصُومُ . والسَّكْبُ . والشَّيْحُ . والقَرْنُوَّةُ . والحَلْبُ . والحَلِيلَابُ . والحَرْبُوثُ . والزَّنَمَةُ (٩) . والتَّرِيَّةُ . والخَزَامِي - وهو خَيْرِيُّ البَرِّ - . والأَقْحُوَانُ - وهو البَابُونَجُ (١٠) ، [ ٧٠/ب ] ويقال هو القُرَاصُ - . والشُّكَاعِي . والحِنُوَّةُ . والزُّبَادُ . والبُهْمِي .

وقال ابو عمرو : القُرَاصُ : البَابُونَجُ (١١) ، واحده قُرَاصَةٌ .

[ قال ] (١٢) : والدُّرْقُ : الحَنْدَقُوتِي (١٣) ، فَعَلُّوَلِي .

وقال الفَرَّاءُ : العَبَيْثُرَانُ والعَبَوَثُرَانُ : شَجَرٌ طَيِّبُ الرِّيْحِ .

[ قال ] (١٢) : والصَّعْبِرُ والصَّنَعْبِرُ (١٤) : شَجَرٌ بِمِثْلَةِ السَّدْرِ .

[ قال ] (١٢) : والعَرْتَنُ : نَبَاتٌ ، يقال منه : أَدِيمٌ مُعَرَّتَنٌ .

(٨) في ت و م : واحدها .

(٩) هكذا وردت الكلمة في الأصل و ت ، وفي م : هـ والزفة وهي في مطبوع نبات الأسمي :

• الزنة • بالراء المهمله ، ورواه عن كذالك في لسان العرب (رئم) . وكل من الزنة والزمنة نبات .

(١٠) كذا في الأصل ، وفي ت و م : • البابونك • . ومثله في هاش الأصل ، وفي هاش ت :

• البابونج • .

(١١) في ت و م : البابونك .

(١٢) زيادة من ت .

(١٣) في م : الحنقوق ، ومثله في نبات الأسمي ، وكل من الحنقوق والحنقوتى صحيح .

(١٤) في ت : والصعبر والصعبر .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وقال ابو عمرو : السَّخْبِرُ (١٥) شجرٌ ، واحده سَخْبِرَةٌ .  
 وقال الأصمعي : التَّقْدُ (١٦) والتَّعْضُ - جيماً - : شجر ، واحده  
 تَقْدَةٌ وتُعْضَةٌ .  
 [ وقال (١٧) غيرُ واحدٍ : الكَنْهَيْبِلُ شجرٌ ، [ واحده كَنْهَيْبِلَةٌ ] (١٨) .  
 والدَّوْحُ : العِظَامُ منه ومن غيره .

### باب ما ينبت منها في الرَّمْلِ

قال الأصمعي : من نبات الرَّمْلِ :  
 الغُضَا . والأَرْطَى . والأَلَاءُ ، قال يِشْرُ :  
 فَانْكُمُومًا وَمَدَحُومًا بَجَيْرًا أبا لَجِيًا كما امتدح الألاءُ (١٩)  
 وهو شجر حَسَنُ المنظر مُرُّ الطعم .  
 [ قال (١٧) : والسَّبَطُ : النَّصِيءُ (٢٠) مادام رطباً ، فاذا يبس فهو  
 الحَلْبِيُّ .

وقال ابو عمرو : اذا يبس الأفاقي فهو حَمَاطٌ (٢١) .

### باب الحمض والخلة من النبات

قال الأصمعي : الحمض من الثبث : ما كانت فيه مَلُوحَةٌ ، والخلةُ

- 
- (١٥) وردت الكلمة هنا في الأصل بالثين المجمة بدل المهلة، وسيأتي بالمهلة بعد مفتحين،  
 وهي بالمهلة أيضاً في ت و م و نبات الأصمعي وهو الصواب .  
 (١٦) ضبطت الكلمة في الأصل بضم القاف ؛ وفي ت بكونها ، وكلاهما صواب .  
 (١٧) زيادة من ت .  
 (١٨) زيادة من م وهامش ت .  
 (١٩) ديوان يشر بن أبي شازم ؛ ٣ ، وفيه وفي م : « ومدحتكم بجيراً » .  
 (٢٠) في الأصل وت : « والسبط والنصي » ، وما أبتناه من م ، وهو الصواب ، وقد نقل  
 ذلك عن أبي عبيد بالنص في المياب واللان (سبط) .  
 (٢١) كذا في الأصل ، وفي ت و م : الحماط .

ما سوى ذلك ، والعرب تقول : الخُلَّة خُبز الإبل والحَمَض لحمها أو فاكهتها ، وإنما تُحوَّل الإبلُ إلى الحَمَض إذا مَلَّت الخُلَّة . وكلُّ هذا من النبت . وليس شيء من الشجر العظام بحَمَضٍ ولا خُلَّة (٢٢) .

قال : فمن الحَمَض :

الرَّمث . والتمضة . والرُّغُل . والقُلام . والمَرَم . والدرماء (٢٣) .  
والنَّجِيل . والخِذْرَاف .

[ وقال ] (٢٤) غيره (٢٥) : الغولان - أيضاً - حَمَض .

#### باب العِضَاهِ وسائر الشجر

[ قال ] (٢٤) الأصمعي : العِضَاهُ من الشجر (٢٦) . كلُّ شجرٍ له شوك .  
ومن أعرف ذلك : الطلح . والسَّم . والسَّيَال . والعُرْفُط . والسَّمُر .  
والشَّيْهَان [ ٧١ / أ ] .

[ وقال ] (٢٤) غيره : القَتَاد .

[ وقال ] (٢٤) الأصمعي : الضَّعَّة شجر مثل الثَّام ، وجمعه ضَعَوَات ،

قال جرير :

مُتَّخِذًا فِي ضَعَوَاتٍ تَوَلَّجَا (٢٧)

[ وقال ] (٢٤) غيره : الصَّفْصَاف : الخِلاف .

[ قال ] (٢٤) أبو عبيدة : الرَّندُ شجر طيب من شجر البادية ،

قال : وربما سموا عودَ الطَّيِّبِ رنداً ، يعني العود الذي يُتَبَخَّرُ به .

(٢٢) في ت : ولا بخلة .

(٢٣) لم ترد الدرمام في نبات الأصمعي .

(٢٤) زيادة من ت .

(٢٥) وهو قول الأصمعي أيضاً كما في نباته المطبوع .

(٢٦) في ت : من الأشجار .

(٢٧) ديوان جرير : ٩٢ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وأُنكِرَ أن يكون الرَّندُ الآسَ (٢٨) .

والوقل : شجر المقل ، واحده وقلة . والخشل (٢٩) : المقل نفسه (٣٠) ، [ واحده خشلة ] (٣١) .

[ قال ] (٣٢) ابو عمرو : القُرْزُحُ شجر ، الواحدة (٣٣) قُرْزُحة .  
[ قال ] (٣٢) : والسَّخْبِرُ شجر ، واحده (٣٤) سَخْبِرَة .

[ قال ] (٣٢) : ويقال لرؤوس الحلبي من الخلاخيل والأسورة :  
خشل أيضاً (٣٥) .

[ وقال ] (٣٢) غيره : التَّصْيِصُ شجر تنبت في أصله الكمأة .

[ قال ] (٣٢) : والمَيْسُ شجر يُعْمَلُ منه الرِّحال . والغاف شجر . والإسْحِلُ شجر . والسَّراءُ والمرخ والعفَّار : من الشجر يكون

(٢٨) هكذا ورد تسلل الجبل في ت و م ، وكانت جملة ( وأنكر - ال - الآس ) قد وردت في الأصل بعد قوله الآتي : ( والخشل المقل نفسه ) .

(٢٩) قال علي بن حمزة : « وقال ابو عبيد : الخشل المقل واحده خشلة ... وإنما هو الخشل بالإسكان » التنيهاً : ٢٢٦ .

(٣٠) قال علي بن حمزة : « وقال : هو المقل نفسه . والناس فيه مختلفون ، فمنهم من يقول هو حنات المقل الذي يحث عنه ؛ وهو سويق المقل ، ومنهم من يقول : هو ما يبقى من المقل بعد أن يؤخذ عنه حبه ، وقال ابو نصر : الخشل المقل ؛ وقد قيل سويق المقل » التنيهاً : ٢٢٧ .

(٣١) زيادة من ت و م .

(٣٢) زيادة من ت .

(٣٣) في ت و م : « الواحدة » .

(٣٤) في ت : « الواحدة » .

(٣٥) الجبل بكاملها مثبتة في الاصول ، ولكن تسلسلها في ت يختلف عن الأصل . وقال علي ابن حمزة متعلقاً على هذه الفقرة : « وأما قول أبي عبيد : يقال لرؤوس الحلبي من الخلاخيل والأسورة خشل فنظمت ، لأن الخشل وهو أيضاً - هادئاسكن - كل ما كان من الحلبي اجوف ، وروس الحلبي مصتة أو جوف » التنيهاً : ٢٢٧ .

(٣٦) في م : تعمل .

فيها النصار . والنيرصاد : الثوت . والنَّبَع شجر . والسامم والتنضب  
والأثاب - واحدها أثابة (٣٧) - أشجار كلها (٣٨) . والشام شجر  
طيب الريح يُستاك به . والكتهبُل (٣٩) شجر عظام . والعُرُط شجر .  
والعيرُ شجر صغار واحدها (٤٠) عثرة . والعرف والفلف شجر يدبغ  
بهما (٤١) . والسبَط شجر . والهيشر شجر . والفيل : الخيطي .

[ وقال ] (٤٢) غيره : السحم شجر . والعنم شجر دقاق الأغصان  
يُشبه به (٤٣) البنان . والسلام شجر ؛ واحده سلامة . والقغعاء شجر .  
[ و ] (٤٤) قال العدّيس : الرمّام شجر ؛ واحده رمّامة . والمرخ  
والعقار : ضربان من الشجر يُقدح (٤٤) منهما النار .

### باب الأجام

[ قال ابو عبيد ] (٤٢) : الغابة : الأجمة . والفَيْطَل : الشجر

(٣٧) وردت جملة (واحدها أثابة) في الأصل بمد قوله : (أشجار كلها) ، وقد أثبتنا اتصال  
الوارد في ت و م .

(٣٨) في ت : كلها أشجار .

(٣٩) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل هنا ، ومرت بفتح الباء ب ضبط الأصل أيضاً ، وأشار في  
ت الى جواز النظم والفتح فيها ، وهي كذلك .

(٤٠) في م : واحده .

(٤١) قال علي بن حمزة : وقال ابو عبيد : العرف والفلف شجر يدبغ بهما . والأمر بخلاف ذلك ،

قال ابن الأعرابي : العرف بالإسكان - شروب تجمع ، فاذا دبغ بها الجلد سي عرفاً .

وقال الأصمعي : العرف - يسكان الراء - جاوديوثي بها من البحرين . وقال ابو حنيفة :

أخبرني رجل من ربيعة قال : الدباغ بالبحرين بالنسر والأوطى فنجي جلوده لينة متاناً .

وتم عرف أشرف واحده غرفة ، وهي شجرة يصنع منها القياس ، ذكرها ابو زيد مع الأسفل

والناب وقال : والعرف أرقهما والناب أشنهما . وهذا العرف لا يدبغ به ، ولا أثبت ابو عبيد

عرفه في التنبهات : ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٤٢) زيادة من ت .

(٤٣) في م : بها .

(٤٤) في م : قدح .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[ الكثير ] (٤٥) المُتَّف ، ويقال : الأجمة ، وكذلك الأيكة . والدغتل  
والغيل [ نحوه ] (٤٥) ، والغريف (٤٦) مثله .  
والشعراء : الشجر الكثير .  
والزارة : الأجمة .

والآباءة : الأجمة ، ويقال [ ٧١ / ب ] : هي من الخلفاء خاصة ،  
والخييسُ مثله .  
والأشب : كثرة الشجر [ أيضاً ] (٤٧) .

#### باب ابتداء نبات الأشجار (٤٨) وتوريقها

[ قال ] (٤٩) الأصمعي : يقال للرمث أول ما ينظّر ليخرج ورقه :  
قد أقمّل . فاذا زاد قليلاً قيل : [ قد ] (٤٩) أدبى . فاذا ظهرت خضرته  
قيل : بقّل . فاذا ابيضّ وأدرك قيل : حنط . فاذا جاوز ذلك قيل :  
أورس ؛ فهو واريس ، ولا يقال منه مؤرس .  
وإذا تفتّر العرفج ليخرج قيل : قد أخوص .

وإذا تفتّر العضاء قيل : قد نضح ، قال أبو طالب بن عبد المطلب :  
ليت شعري مآفر بن أبي عمّ رو وليت يقولها المحزون  
يورك الميت الغريب كما يو ريك نضح الرمان والزيتون (٥٠)

(٤٥) زيادة من ت و م .

(٤٦) جاء في هامش ت مانسه : « والغريف الأجمة ، ووقع في كتاب أبي عبيد : اغريف » ،  
والرارد في المجامع الغريف يفتح الغين وكسر الراء بمعنى الأجمة ، أما الغريف - بكسر  
الغين وسكون الراء وفتح الياء - فهو شجر .

(٤٧) زيادة من م .

(٤٨) في الأصل : « الشجر » وما أثبتناه من ت و م .

(٤٩) زيادة من ت .

(٥٠) ديوان أبي طالب - صنعة أبي هفان - : ١٦ / أ وصنعة هل بن حسنة : ٥١ / ب .

كتاب الشجر والنبات والنخل

قال : والرَّبْلُ ضروبٌ (٥١) من الشجر إذا بردَ الزمانُ عنها وأدبر الصيف (٥٢) تَفَطَّرَتْ بِورقٍ أخضر من غير مطرٍ ، يقال [ منه ] (٥٣) : [ قد ] (٥٤) تَرَبَّلَتْ الأَرْضُ .

والخِلْفَةُ : نبات ورقٍ دون ورق (٥٥) .

والغَمِيرُ : النبات ينبتُ في أصل النبات حتى يغمُر الأول . [ و ] (٥٦)

قال أبو عمرو في الغمير مثله .

وقال الأصمعي : الإعبال : وقوع الورق ، يقال أعْبَلت الأشجارُ إذا

سقط ورقها ، واسم الورق : العَبَل . وقال أبو عمرو : العَبَل مثل الورق

وليس بورق . [ وقال ] (٥٦) أبو عبيدة : العَبَل كلُّ ورقٍ مفتولٍ كورق

الأرطى والأثل والطرفاء وأشباه ذلك .

[ و ] (٥٦) قال الأصمعي : وما وقع من ورق الشجر فهو سَفِير .

وقال أبو عمرو : السَّنْف (٥٧) : الورقة (٥٨) ، قال ابن مقبل :

(٥١) في الأصل : « ضرب » ، وما أثبتناه من ت و م ، وفي نبات الأصمعي : « والرَّبْلُ وجماعه رِبْلٌ وهي ضروب من النبات » .

(٥٢) في ت : إذا برد الزمان وأدبر الصيف عنها . وفي م : إذا برد الزمان عليها وأدبر عنها الصيف .

(٥٣) زيادة من ت و م .

(٥٤) زيادة من م .

(٥٥) في نبات الأصمعي : بعد ورق . وفي العباب (خلف) : ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف .

(٥٦) زيادة من ت .

(٥٧) في م : أبو عمرو قال والسنف الخ .

(٥٨) قال علي بن حمزة : « وروى أبو عبيد عن أبي عمرو : السنف الورقة ، قال ابن مقبل :

تثقل سنف المرخ في جبة صفر . وأبو عمرو بعيد من هذا التثقل المثلل ، ما هذا الشمر

لا ين مقبل ، ولا رواية الشمر : تثقل سنف المرخ ، ولا للمرخ ورقة ، ولا السنف بورقة .

ولكنه سجع ذكر ابن مقبل في جملة أشياء سمها صحيحة ، فحفظناها غير ملسع ، وصنف =

الشيخ محمد حسن آل ياسين

تَقَلَّلَ سِنْفَ المَرِّخِ فِي جَمْعِيَّةِ صِفْرِ (٥٩)

عن ابي عمرو : أَصْبَحَ الشَّمَامُ : خَرَجَتْ أَمَا صِيغُهُ ؛ وَاحِدَتُهُ  
أَمْصُوحَةٌ ، وَأُحْجِنَ : خَرَجَتْ حُجَّتُهُ ، وَكِلَاهُمَا خُوصُ الشَّمَامِ .  
عن ابي عمرو : إِذَا مَطَرَ العَرَفَجَ وَوَلَانَ عُودُهُ قَلَّتْ : قَدْ ثَقَّبَ  
عُودُهُ . فَإِذَا اسْوَدَّ شَيْئًا قِيلَ : قَدْ قَمِيلَ [ ٧٢ / أ ] ، لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ مَا يَخْرُجُ  
مِنَهُ بِالقَمِيلِ . فَإِذَا ازْدَادَ [ شَيْئًا ] (٦٠) قَلِيلًا قِيلَ : قَدْ ارْقَاطَ . فَإِذَا ازْدَادَ  
قَلِيلًا آخَرَ قِيلَ : أَدْبَى ، لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ بِالدَّبَا ، وَهُوَ حِينَئِذٍ يَصْلُحُ أَنْ يُؤْكَلَ .  
فَإِذَا تَمَّتْ خُوصَتُهُ قِيلَ : قَدْ أَخْوَصَ .

بَابُ نَعْمَاتِ الأشْجَارِ فِي وَرْقِهَا وَالثَّمَانِهَا

[ قَالَ ] (٦٠) أَبُو عمرو : شَجَرَةٌ قَسْوَاءٌ : ذَاتُ أَفْئَانٍ . قَالَ أَبُو عبيدٍ :  
كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَسْوَاءً - مِنَ القَسْوَانِ - عَلَى القِيَّاسِ ، وَلكِنْ هَكَذَا قَالَ (٦١)  
وَشَجَرَةٌ قَسْوَاءٌ : طَوِيلَةٌ .

- عَلَى حِفْظِ القَسَاءِ ، وَشَرَى مِنْ أَيْنَ أَتَى فِيمَا أَذْكَرُهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللهُ : قَالَ أَبُو زيَادٍ : مِنَ  
القَسْوَاءِ المَرِّخِ ، وَهُوَ يَتَفَرِّشُ وَيَطُولُ فِي السَّمَاءِ حَتَّى يَسْتَقْبِلَ بِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ وَرَقٌ وَلَا شَوْكٌ ،  
وَعِيدَانُهُ حَلِيَّةٌ قُضِيَانٌ دَقَاقٌ . . . وَهُوَ يَكُونُ الزَّنَادُ الَّتِي يَقْتَدِحُ بِهَا ، وَتَخْرُجُ فِي المَرِّخَةِ ثَمَرَةٌ  
كَأَنَّهَا هَذَا البَاتِلِيُّ ، إِلا أَنَّهُا أَعْرَضَ مَحْدَدَةُ العُرْفِ ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ يَقُولُ أَبُو مَقِيلٍ :  
يُرْخِي العَذَارُ وَوَلَوْ طَالَتْ قِيَامُهُ  
عَنْ حَشْرَةٍ مِثْلَ سِنْفِ المَرِّخَةِ الصَّفْرِ  
فَهَذَا لِأَبِي مَقِيلٍ لِأَمَارُوي . ثُمَّ قَالَ أَبُو زيَادٍ : وَالسِّنْفُ وَعَاءٌ ثَمَرِ المَرِّخَةِ يَخْرُجُ  
فِيهَا ، فَإِذَا بَيَسَ سَقَطَ حَبُّهُ وَبَقِيَ فِي المَرِّخَةِ قَشْرُهُ ذَلِكَ وَهُوَ سِنْفُهُ . وَقَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ :  
أَخْبَرَنِي بَعْضُ أَعْرَابِ عِمَّانَ فَذَكَرَ كَلِمًا قَالَ فِيهِ : وَالمَرِّخُ خِوَارٌ خَفِيفُ العُودِ ، لَخَفَتْ  
قَالَ الجَمْعِيُّ فِي وَصْفِ الفَرَسِ :

تَقَلَّلَ عَنِ فَأْسِ الجِجَامِ لِسَانَهُ

فَهَذِهِ الرِّوَايَةُ « عُودِ المَرِّخِ » ، وَالشَّاعِرُ الجَمْعِيُّ ، وَالسِّنْفُ وَعَاءٌ الثَّمَرَةُ ، وَالمَرِّخُ لِأَوَّلِ لُحْيَةٍ لَهُ ،  
وَأَبِي مَقِيلٍ عِمَّانُ بَيْتٌ لَمْ يَأْتِ بِهِ « التَّنْبِيْهَاتُ » : ٢٢٨ - ٢٢٩ .  
(٥٩) الشُّرَى فِي دِيْوَانِ ابْنِ مَقِيلٍ : ١٠٨ ، وَصَدْرُهُ فِيهِ (تَقَلَّلَ عَنِ فَأْسِ الجِجَامِ لِسَانَهُ) وَفِيهِ  
أَيْضًا « فِي الجِمَّةِ الصَّفْرِ » .

(٦٠) زِيَادَةٌ مِنْ ت .

(٦١) فِي م : « أَنْ تَكُونَ قَسْوَاءً فِي القِيَّاسِ ، وَلَكِنْ كَذَا قَالَ » وَقد سَقَطَتْ هَذِهِ الجُمْلَةُ مِنْ ت .

كتاب الشجر والنبات والنخل

- [ و ] (٦٢) قال الكسائي : شجرة مرّداء وغصن أمرد : لا ورق عليهما .  
 وشجرة [ ورقّة و ] (٦٣) وريقة : كثيرة الورق .  
 وقال ابو عمرو : الزمخّر : الكثير (٦٤) الملتف من الشجر .  
 [ وقال ] (٦٢) غيره : الخوط : القضيبي :  
 والشكير من الشجر : ما ثبت حول الشجر (٦٥) .  
 والربوض : الشجرة العظيمة ، قال ذو الرمة :  
 تمجّوف كل أرطاة ربوض (٦٦)  
 [ قال ] (٦٢) : والدوحة : العظيمة .  
 والوراقة (٦٧) : الخضراء الورق الحسنّة .  
 وأمّا الوراق (٦٨) فخضرة الأرض من الخيش ، وليس هو من  
 الورق ، قال أوس بن حجر :  
 كأنّ جبادهنّ برعن زُم . جرّاد قد أطاع له الوراق (٦٩)  
 [ زمّ : أرض ] (٦٢) .  
 [ قال ] (٦٢) : والخُرص كل قضيبي من شجرة ، قال قيس بن  
 الخطيم :

- (٦٢) زيادة من ت .  
 (٦٣) زيادة من ت و م .  
 (٦٤) كذا في الأصل وم ، وفي ت : الكيف .  
 (٦٥) في ت وم : الشجرة .  
 (٦٦) ديوان ذي الرمة : ١٥١٢/٣ ، وعجز البيت : من الهدى تفرعت الجبالا .  
 (٦٧) في ت : والوراقة ، بالفاء .  
 (٦٨) في ت : وقال غيره وأمّا الوراق الخ .  
 (٦٩) ديوان أوس : ٧٩ ، وفيه : كأن جبادنا في زمن .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

تَرَى قِصَدَ الْمَرَّانِ يُتَقَمَّى كَأَنَّهُ تَدْرَعُ خِرْصَانَ بِأَيْدِي الشَّرَاطِبِ (٧٠)  
واحدتها شاطِبِيَّة ؛ وهي التي تَقْشُر عَسِيْب النخلة لِتُعْمَلَ منه الحَصِيْر ،  
ثم تُلْقِيه الشاطِبِيَّة الى المُنْقِيَّة .

باب أثمار الشجر وما يبقى من الشجر

[ قال ] (٧١) الأصمعي : البَرِير ثمر الأراك ، فالغضُّ منه : المرْد ،  
والنَضِيح : الكَبَاث (٧٢) .

وَالْعَلْف : ثمر الطلح ، واحدته عُلْفَةٌ .

[ قال ] (٧١) : والحَبَلَةُ : ثمر العِضَاه . قال أبو عمرو في الحَبَلَة مثله .

قال أبو عمرو : البَرَم : ثمر الطلح ، واحدته بَرَمَةٌ .

[ وقال ] (٧١) الفراء : المُصَمَّة : ثمر العَمُوسَج ، وجمعها مُصَمَع (٧٣) .

[ وقال ] (٧١) الأصمعي : العُرُوَّة من الشجر : الشيء الذي [ ٧٢ / ب ]

لا يزال باقياً في الأرض لا يذهب ، وجمعه عُرَى ، وهو قول مُهَلْهَل :

شَجَرُ العُرَى وَعُرَا عِرُ (٧٤) الأَقْوَامِ (٧٥)

[ وقال ] (٧٦) أبو عبيدة في العُرُوَّة مثله أو نحوه ؛ إلا أنه قال : هذا

(٧٠) ديوان قيس : ٣٣ ، وفيه : ترى قصد المران تهوي كأنها تذرع خرسان .  
(٧١) زيادة من ت .

(٧٢) في نبات الأسمي المطبوع : والغض من الكباث ، والمدرك من المرْد .

(٧٣) ورد قول أبي عمرو في البرم وقول الفراء في المصمة ، في الأصل ، بعد قول الأسمي في  
[ العروة وتبل قول أبي عبيدة ، وقد وضعناه ما هناكما في ت وم . وهو الأصل في سياق الكلام .

(٧٤) جاء في هاشم ت ما لفظه : ه يروي عرابر وعراعر على الواحد والجمع . أي يفتح العين وضما .

(٧٥) البيت لمهلهل في الجمهرة : ٣٩٠/٢ والتهذيب : ١٠٣/١ و ١٥٩/٣ والمقاييس : ٣٧/٤  
[ و ٢٩٥٥ ] والمنخصص : ١٦٤/٢ و ١٧٧/١٥ وتركيب (عرو) في المسحاح والعياب واللسان .

[ وعزاء في الأساس (عري) لبيد ، ويراجع في التعليل على هذا الغزو : ديوان لبيد ٣٥٨ ،  
ومدره : ٢ (خلع الملوك وسار تحت لوائه) .

(٧٦) زيادة من ت وم .

كتاب الشجر والنبات والنخل

البيت لشرحبيل رجل من بني تغليب (٧٧) . [ وقال ] (٧٨) ابو عمرو مثل قولهما في العروة أو نحوه .

باب ابتداء النبات وإدباره

[ قال ابو عبيد ] (٧٨) : قال الأصمعي : العرب تقول : شهر تری [ بالياء ] (٧٨) وشهر تری [ بالياء ] (٧٨) وشهر مرعى (٧٩) . ناماً قولهم « تری » فأول (٨٠) ما يكون المطر فتبتل منه الأرض ، ثم يطلع (٨١) النبات فذلك قولهم : شهر تری (٨٢) ، ثم يطول بقدر ما يمكن النعم أن ترعاه [ فذلك المرعى ] (٨٣) .

قال : فاذا حسن نباتها قيل : قد اكتهل . فاذا اشتد (٨٤) خصاص النبات قيل : قد استك (٨٥) . فاذا خرج زهره قيل : قد جن جنونا وقد أخذ زخاريه ، قال ابن أحمر :

وجن الخازباز به جنونا (٨٦)

[ قال ] (٨٣) : وقال ابن مقبل :

زخاري النبات كان فيه جيات العبقريّة والقطوع (٨٧)

(٧٧) وكذلك عزاء ابن بري وقال : « هو الصحيح » . اللسان (عرا) .

(٧٨) زيادة من ت .

(٧٩) وفي نبات الأصمعي : شهر تری وشهر مرعى وشهر استرى « ونسب الأخير

بقوله : ثم يستوي النبات في الربيع (أر : الرابع) ويكتهل » .

(٨٠) وفي ت و م : فهو أول .

(٨١) في ت : « يطلع » بدل « ثم يطلع » .

(٨٢) في ت : فذلك قولهم تری ، وفي م : فذلك قولهم تری ، وفي نبات الأصمعي كالأصل .

(٨٣) زيادة من ت و م .

(٨٤) في نبات الأصمعي المطبوع « استد » وذكر محققه أن الأصل اشتد .

(٨٥) في ت : استد .

(٨٦) الشنلر في شعر ابن أسمر : ١٥٩ ، وصدده : تفقأ فزقه القلع السواري . ولم يرد الشاهد

وقالته في ت و م .

(٨٧) ديوان ابن مقبل : ١٦٢ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[قال] (٨٨) : فاذا كادَ ينعطي الأرضَ أو غطّاها بكثرتها قيل :  
قد استحلّست . فاذا اتّصل (٨٩) بعضُه ببعض قيل : قد وصّت  
الأرضَ فهي واصيّة . فاذا بلغ والتفّ قيل : قد استأسد .

وقال ابو عمرو : فاذا صار بعضه أطول من بعض قيل : تتناطل  
النبتُ .

وقال ابو زيد : أبشّرت الأرضُ : اذا أخرجت نباتها ، وما أحسن  
بشّرة الأرض . وأودست الأرضُ وما أحسن ودّستها : مثله .

[وقال] (٨٨) ابو عبيدة : تودّست (٩٠) الأرضُ .

[وقال] (٨٨) الكسائي : اضبأكت الأرضُ واضمأكت : اذا

خرج نباتها (٩١) .

ابو زياد [الكيلابي] (٨٨) والأحمر [قالا] (٨٨) : أمشّرت الأرضُ

وما أحسن مشّرتها (٩٢) .

وطرّ النبتُ ينطرُّ طروراً : اذا نبت ، عن الكسائي (٩٣) ، وكذلك

الشارب :

(٨٨) زيادة من ت .

(٨٩) ني ت : فاذا استحلست .

(٩٠) ني الأصل وم : تودست ، وما أثبتناه من ت .

(٩١) ني ت : نبتها .

(٩٢) جاء ني هاشم ت مانعه : « ني الأصل والسماع : مشرتها » بكون الشين ، وكلاهما صواب .

وقد ورد قول ابى زياد والأحمر ني كل من ت وم قبل قول الكسائي : اضبأكت الخ .

(٩٣) لم ترد جملة « عن الكسائي » ني ت وم لأن قوله : ( طرّ النبت الخ ) قد ورد فيهما بعد

قوله المتقدم : اضبأكت الخ .

[ وقال ] (٩٤) الأمويُّ : كَثَمَا النَّبْتُ وَالرَّيْبَرُ : إذا طلع [ ٧٣ / أ ] ،  
 عن الكسائي . فإذا طلع يقال : قد ظَنَمَر (٩٥) تظفيرا (٩٦) .  
 وقال الفراء : اللُّعَاعُ أولُ النَّبْتِ ، يقال : قد أُلْعَتِ الأرضُ ،  
 وتَلَعَّتْ أنا : أكلته (٩٧) .  
 غيره : اكْتَهَل : طال .

وقال الأصمعي (٩٧) : فإذا تهيأ النبات لليس قيل : [ قد ] (٩٨)  
 انقَطَرَّ . فإذا يبس وانشقَّ قيل : قد تَصَوَّحَ . فإذا تمَّ يبسه قيل : قد هاجت  
 الأرضُ تهيج هياجاً . فإن كان من أحرار البقول وذكرها قيل لما يبس منه :  
 اليبيس (٩٩) والجفيف والتف .

[ قال ] (٩٤) : وما كان من البهيمى خاصةً فإن شوكها هو السفا ،  
 وبيسها [ هو ] (٩٤) العيرب والصفار . وأول (١٠٠) ما يبدأ منها : البارض .  
 فإذا تحرك قليلاً فهو جميم . فإذا ارتفع وتمَّ من قبل أن يتفتقاً : فهي (١٠١)  
 الصنماء . فإذا تكثر اليبسُ فهو حطام . فإذا ركب بعضه بعضاً فذلك  
 الشنُّ (١٠٢) . فإذا اسودَّ من القيدم فهو الدثدن . وكل حطام شجرٍ أو

(٩٤) زيادة من ت .

(٩٥) في ت : قيل ظنمر ، وفي م : قيل قد ظنمر .

(٩٦) وردت هاتان الفقرتان (ظنمر) و(العاع) في م في آخر الباب .

(٩٧) وردت فوق كلمة «الأصمعي» في ت كلمة «الأموي» ، وفي م : «قال» ولم يرد اسم  
 القائل .

(٩٨) زيادة من ت وم .

(٩٩) في م : اليبس . وفي فوات الأصمعي : اليبس واليبس .

(١٠٠) في م : فأول .

(١٠١) في م : فهو .

(١٠٢) في ت وم : فهو الشن .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

حَمَضُ أو أحرار البقول أو ذكورها (١٠٣) فهو الدَّريثُ إذا قَدُمَ ؛ عن أبي عمرو . والدَّريل : الذي قد أتى عليه عام .

[ وقال ] (١٠٤) الأصمعي : فاذا يبس الكتلاً ثم أصابه مطر قبل الصيف فاخضرَ فذلك النَّشْرُ .

وقال أبو زيد : عَرَدَ النَّبْتُ يَعْرُدُ عُرُوداً : إذا طلع ونجم ، وكذلك النَّابُ وغيره .

[ وقال ] (١٠٤) غيره : الخِلْفَةُ : ما نبت في الصيف ، والأبْرِيُّ : ما يبس منه .

فاذا طال النَّبْتُ قَبِلَ : قد تَرَوَّحَ ، فهو مُتَرَوِّحٌ .  
والمَجِيرُ : ما يبس من الحَمَضِ ، قال ذو الرِّمَّةِ :

ولم يَبْقُ بِالْخَلْصَاءِ مِمَّا عَنَّتْ بِهِ مِنَ الرَّطْبِ إِلَّا يَبْسُهَا وَهَجِيرُهَا (١٠٥)  
ويُرَوَّى : « يَبْسُهَا » ، فهما (١٠٦) لُغَتَانِ ، عن أبي عمرو .  
عَنَّتْ : أَنْبَتَتْ\* .

أبو عمرو : اقْتَنَانُ النَّبْتِ اقْتِنَانًا (١٠٧) إذا حَسُنَ ، ومنه قيل للمرأة مُقَيَّنَةٌ : أي انها تُزَيَّنُ .

غيره : القَفْلُ : ما يبس منه أيضاً ، قال أبو ذؤيب يذكر أنه عرقت فاقه :

(١٠٣) في م : واحرار البقول وذكورها .

(١٠٤) زيادة من ت .

(١٠٥) ديوان ذي الرمة : ٢٢٧/١ ، وفيه : (من النبت الأبيها) .

(١٠٦) في م : « وهما » ، ولم ترد الكلمة في ت .

(١٠٧) هكذا ورد الفعل ومصدره في الأصل ، كاتشم ، ولكنه في م والمسان (تين) : اتنان اتيناً ، وقال في الناج انه السواب .

فَخَسَّرَتْ كَمَا تَتَّبَعُ الرِّيحُ بِالْقَتْلِ (١٠٨) [ ٧٣ / ب ]

### باب ضُرُوبِ النَبْتِ الْمُخْتَلِفَةِ

[ قال الأُمويّ ] (١٠٩) : الحَوَاءَةُ نَبْتٌ ، شَبِيهُ لَوْنِ الذُّبِّ :

[ وقال ] (١٠٩) الكسائي : الذَّمَّانِيْنُ نَبْتٌ وَالطَّرَائِيْثُ نَبْتٌ ، وَالرَّاحِدُ ذُو نُؤْنٍ وَطُرُوثٌ . وَيُقَالُ : خَرَجَ النَّاسُ (١١٠) يَتَدَاثَنُوْنَ وَيَطْرَثُونُ : إِذَا خَرَجُوا يَأْخُذُونَ ذَلِكَ ، وَيَسْفَرُونَ : إِذَا خَرَجُوا يَأْخُذُونَ الْمَغَائِرَ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو : الْمَغَائِرُ مِثْلُ الصَّمْعِ يَكُونُ فِي الرُّمْثِ وَغَيْرِهِ ، وَهُوَ حَلْوٌ يُؤْكَلُ ، وَاحِدُهَا مُغْنُورٌ ، يُقَالُ مِنْهُ : قَدْ أَغْمَرَ الرُّمْثَ .

قال : وَالْبُرْعُومُ : زَهْرُ النَبْتِ قَبْلَ أَنْ يَنْفَتِحَ .

[ وقال ] (١٠٩) الأصمعي : الخافور نبتٌ . وَالْحَزَاءُ - مَمْدُودٌ - : نَبْتٌ تَأْكُلُهُ النَّخْلُ فَيَطْيِبُ عَلَيْهَا عَلَيْهِ . وَالذُّبْحُ : نَبْتٌ أَحْمَرٌ تَأْكُلُهُ النَّعَامُ . وَالْحُمَاضُ وَالْقَسُورُ وَالشَّعَامُ : كَلَّمُهُ نَبْتٌ .

وَالخَلِي : الرَّطْبُ مِنَ الحَشِيشِ (١١٢) ، وَبِهِ سُمِّيَتْ المِخْلَاطَةُ ، فَإِذَا بَيَسَ فَهُوَ حَشِيشٌ ، تَقُولُ مِنْهُ (١١٣) : حَشَشْتُ نَأْنَا أَحُشُّ . وَالْمَحَشُّ : الشَّيْءُ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ الحَشِيشُ ، وَيُقَالُ : مَحَشْتُ بِكْرَ المِيمِ . وَالْأَيْهَمَانُ : الجرجير ، [ قال ليبيد :

(١٠٨) ديوان الملائين : ٣٨/١ ، صدره : (- ومفرقة عن قدرت لرجلها ) ، والرواية فيه (تتابع ) بالباء الموحدة .

(١٠٩) زيادة من ت .

(١١٠) في ت : خرج القوم .

(١١١) في ت : « والحزاء نبت ، ممدود » .

(١١٢) قال علي بن حمزة : « وقال أبو عبيد : والنخل الرطب من الحشيش . وإنما هو الرطب بالضم ، فأما الرطب فصد اليابس » التنبهات : ٢٢٩ .

(١١٣) في ت : يقال من .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

فَعَلًا فَرُوعُ الْأَيْهَتَانِ وَأَطْفَالَتْ بِالْحَلْهَتَيْنِ ظِلَاؤُهَا وَنَعَامُهَا [ (١١٤) ]  
 وَالْحُرْصُ : الْأُشْنَانُ . وَالْحَبَقُ : التُّوَذْتَجُ . وَالْبُطْمُ : الْحَبَّةُ  
 الْخَضْرَاءُ . وَالنَّصَائِصُ : الرُّطْبَةُ ، وَاحِدَتُهَا (١١٥) فِصْفِصَةٌ ، وَأَصْلُهَا  
 بِالْفَارْسِيَّةِ : أُسْبِيتُ . وَالتَّقْمُورُ : نَبْتٌ . وَالنَّاعِمَةُ : بَقْلَةٌ نَاعِمَةٌ .  
 عَنِ الْأَصْمَعِيِّ : الْعُنْصَلُ بِصَلِّ الْبَرِّ ، [ وَيُقَالُ الْعُنْصَلُ ] (١١٦) .  
 وَالرَّيَّةُ : بَقْلَةٌ ، وَجَمْعُهَا رَيْبٌ . وَالتَّنَا : عِنَبُ الثَّلَبِ ، وَيُقَالُ : نَبْتٌ .  
 وَالْمَكْوُورُ : نَبْتٌ . وَالنَّصِي (١١٧) وَالتُّدَاءُ - مَمْلُودٌ - : نَبْتٌ .  
 وَالْعَلْجَانُ : نَبْتٌ . وَالْعَرَادُ : نَبْتٌ ، وَالرَّاحِدَةُ (١١٨) عَرَادَةٌ ، وَبِهَا (١١٩)  
 سُمِّيَ الرَّجُلُ . وَالْحَاذُ : نَبْتٌ ، وَاحِدَتُهُ حَاذَةٌ . وَالتُّلُقْلَانُ : نَبْتٌ ،  
 وَكَذَلِكَ التُّلَاقِلُ . وَالتَّمَانِيُّ : نَبْتٌ (١٢٠) . وَالْبَرُوقُ : نَبْتٌ .  
 وَالخِمْحِيمُ (١٢١) نَبْتٌ . وَالْعِظْلِيمُ نَبْتٌ ، وَيُقَالُ : أَنَّهُ الوَسْمَةُ . [ وَ ] (١٢٢)

(١١٤) زيادة من ت ، والبيت في ديوان لبيد : ٢٩٨ .

(١١٥) في ت : واحدها .

(١١٦) زيادة من م .

(١١٧) كذا في الأصل ، ولعل كلمة ( النسي ) زائدة ، ولم ترد في ت وم .

(١١٨) في ت وم : : واحده .

(١١٩) في م : وبه .

(١٢٠) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل وت والشان والقاموس . وقال علي بن حمزة متعباً على

ذلك : « وقال : الشان نبت . وليس في النبت شيء يقال له الشان ، ولولا أنه أتى بالأشاني

لفظت أنه قلبه . . . فلت أدري من أي شيء سحفت هذا الحرف ، إلا أن يكون سح

بيت ذي الرمة :

ولم يبق ألواء الشان بقية من الرطب إلا يظن واد وحاسر

فظن أن الشان نبت ، لما سح ذكر الرطب وقرأه بالقسم ، فأخطأ في القراءة والتفسير ، وأنا

الشان هاتنا حبات ، والألواء جمع لوى . فأكبر ظني أنه من هذا قلبه و التنيهات : ٢٢٩ -

٢٣٠ .

(١٢١) وردت الكلمة في الأصل وت بالغاء المجمة ، وفي م بالهملة ، وجاء في هامش ت :

« والمسم أيضاً ، وكلاهما وارد .

(١٢٢) زيادة من ت وم .

كتاب الشجر والنبات والنخل

العندم : دمّ الأَخْوَيْن ، ويقال : هو الأَيْدَع [ ٧٤/أ ] أيضاً ،  
 ويقال : هو البَعْم . والعشريق : نبت . والقضب : الرطبة . والحقأ  
 - مقصور مهموز - : البردي . والجدر : نبت . والآء - على وزن المعاء ،  
 واحده آءة - والتثوم - واحده ( ١٢٣ ) تنؤمة - : نبتان ( ١٢٤ ) ،  
 قال زهير :

أجنى له بالسي تنؤم وآء ( ١٢٥ )

والحلي : نبت . والمكثنان : نبت . والشقير : شقائق النعمان ،  
 ويقال : نبت أحمر ، واحده شقيرة ، [ وبها سمي الرجل ] ( ١٢٦ ) ،  
 قال طرفة :

وعلا الخبيل دماء كالشقير ( ١٢٧ )

[ وقال الآخر :

قد أحمل الرمح الطويل كعوبه به من دماء القوم كالشقيات ] ( ١٢٨ )

( ١٢٣ ) في الأصل : « واحد » ، وما أثبتناه من ت وم .  
 ( ١٢٤ ) في الأصل : . . والتثوم نبت واحد تنؤمة ، وفي ت وم : والآء والتثوم نبتان ،  
 واحده آءة وتنؤمة ، وما أثبتناه ملفق من مجموع ذلك .  
 وقال عل بن حنزة معلقاً على ذلك : « ليس الأمر كذلك ، وإنما الآء ثمر السرح . قال أبو  
 عمرو : والسرح يشبه الزيتون ، وثمره الآء واحده آءة . وقال أبو زياد : والسرح عنب يسمي الآء  
 واحده آءة ، يأكلها الناس ، أبيض ، ويربون منه الرب . ولكن أبا عبيد لما سمع قول الشاعر :

أصك مسلم الاذنين أجنى له بالسي تنؤم وآء

ظن أن الآء شجر كالتنؤم ، النبيهات : ٢٣٥ .

( ١٢٥ ) ديوان زهير : ٦٤ ، وبقيته كما تقدم في الحاشية السابقة .

( ١٢٦ ) زيادة من ت وم .

( ١٢٧ ) ديوان طرفة : ٦٤ ، وصدوره فيه : ( وتساى القوم كأساً مرة ) .

( ١٢٨ ) زيادة من م . وقد ورد البيت في الجمهرة : ٣٤٦/٢ ( وفيه : الريح الأصم ) وعزاه  
 للحارث بن مازن بن عمرو بن تميم ، وهو في التكملة ( شقر ) معزواً لشقرة أبي قبيلة من  
 العرب ، وورد في التاج ( شقر ) أيضاً وعزاه لشقرة وقال : هو لقب معارية بن الحارث  
 ابن تميم أبي قبيلة من قبة بن أد بن أدد .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

والأفاني : نبت ، واحده أفانيّة ، وهو نبت أحمر وأصفر (١٢٩) .  
 قال : والمرار : نبت أو شجر إذا أكلته الأبل قلصت عنه مشافيرها ،  
 ومنه قيل لحجر : أكيل المرار . قال أبو عبيد : أخبرني ابن السكلي  
 أن حجراً انما سمي أكيل المرار : أن ابنة له كان سبأها ملك من  
 ملوك سكيج يقال له ابن هبولة ، فقالت له ابنة حجر : كأنك بأبي قد  
 جاءك (١٣٠) كأنه جمل أكيل مرار ، تعني (١٣١) كاشراً عن أبيه .  
 وواحدة (١٣٢) المرار مرارة ، وبها (١٣٣) سمي الرجّل .

والغذم : نبت ، قال القطامي :

في عثعث يثبت الخوذان والغدما (١٣٤)

والعيشوم : نبت .

وقال أبو عمرو : الذرق : الحندقوقى (١٣٥) ، قال رؤبة :

حتى إذا ما حاج حيران الذرق (١٣٦)

والحيران : جمع حير (١٣٧) .

(١٢٩) في ت وم : والأفاني نبت أحمر وأصفر ، واحده أفانية .

(١٣٠) في ت : قد أنك ، وفي م : بأبي جاء .

(١٣١) في الأصل : يعني ، وما أبتناه من ت وم .

(١٣٢) في الأصل : وواحد ، وما أبتناه من ت وم .

(١٣٣) في ت : وبه .

(١٣٤) ديوان القطامي : ٩٨ ، صدره فيه : كأنها بيضة صفراء خد لها . وعزاه الديهوري

في نيته : ١٠٩/٥ للأخطل ، ولم يرد في ديوانه . وقيل : أن الصواب في البيت المذكور

هو الميم المهملة وأن المعجزة تصحيف كما في اللسان .

(١٣٥) في م : الحندقوق . وكلاهما وارد .

(١٣٦) ديوان رؤبة : ١٠٥ ، ونصه فيه : حتى إذا ما أصفر حيران الذرق .

(١٣٧) جاء في اللسان (حير) : « ولا يقال حير ، إلا أن أبا عبيد قال في تفسير قول رؤبة :

حتى إذا ما حاج حيران الذرق : الحيران جمع حير ، لم يقلها أحد غيره ، ولا قالها هو إلا

في تفسير هذا البيت . قال ابن سيده : وليس كذلك أيضاً في كل نسخته . وجاء في هاش

ت : وقال أبو محمد : الصواب جمع حابر .

والجَرْجَار : نبت . والحُلْب : نبت .  
 وقال الفراء : الأَصْف : شيءٌ يَنْبُت في أصل الكَبَر كأنه خِيَارٌ (١٣٨)  
 [وقال] (١٣٩) أبو عمرو : الذَّيْبَان : نبت . والعرَّار نبت .  
 والحَنِيَّة : نبت طيب الريح . والخزَّامى والجشجاش : نباتان طيبا الريح .  
 [والبرُّعوم : الثَّورُ قبل أن يَتَشَقَّق] (١٤٠) .  
 [والعِشْرِيْق : نبت] (١٤١) .

### باب الكَمَّاءِ

قال الأصمعي : من الكَمَّاءِ الجِيَاءُ - تقديره جِيَعَةٌ - . وبنات  
 أُوبَر ، واحدها ابن أُوبَر . والعَاقِل . والنَّقَع . والغِرْدَة . والمَغْرُودَة (١٤٢)  
 [و] (١٣٩) قال أبو زيد : الجِيَاءُ - مَقْصُورٌ - منها : الحُتْرُ .  
 والفَقَعَة : البيض ، واحدها فَقَع . وواحد الجِيَاءِ جِيَاءٌ ، وثلاثة  
 أَجِيؤُ ، وكَمَّاءٌ وأَكْمؤُ . قال : وبنات أُوبَر [ ٧٤ / ب ] هي (١٤٣)  
 المَرْغَبَةُ .

(١٣٨) في ت خيارة .

(١٣٩) زيادة من ت .

(١٤٠) زيادة من م .

(١٤١) زيادة من ت وم .

(١٤٢) في الأصل : « والمغرود » ، وما أثبتناه من ت وم والمان نقلا عن أبي عبيد ، وقال  
 في المان بعد إيراد الكلمة : « وفرد ذلك عليه » . وقال علي بن حمزة : « وقال في باب الكماء :  
 والفقع والغردة والمغرودة . فأما الغردة فقد رويت عن الأصمعي ، وأكثر الرواة  
 حل فتحها . وأما المغرودة فلم يقلها قط أحد ، وإنما هو المنرود - بلاهه والميم مضمومة -  
 والجمع المنرايد ، وهذه الكلمة مشروطة في كتب أهل اللغة ، قالت الرواة : ليس في  
 كلام العرب فلول مكان الفاء ميم الاخرة أحرف : منخور - زهو المنخر -  
 وملوق ومنثور ومنفور ومنرود . ففتح ميمها أبو عبيد وأرجد من عنده هاء  
 التشبيهاً : ٢٣٠ .

(١٤٣) في ت : وهي .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وقال الأحمر : الكَمَاة : هي التي الى العُبيرة والسواد ، والجبأة : التي الى الحمرة ، والنقعة : البيض ، وبنات أوبَر : الصغار ، وأنشد (١٤٤) :  
ولقد جتيتك أكرمُ أوعاقلاً ولقد نهيتك عن بنات الأوبَر (١٤٥)  
[ وقال ] (١٤٦) الأموي : الجَمَاميس : الكَمَاة أيضاً .

وقال الفراء (١٤٧) : القُلَاعَة [ بالتخفيف ] (١٤٨) والقُلَاعَة [ بالتشديد ] (١٤٨) : هما قِشْر الأرض الذي يرتفع عن الكَمَاة فيدلّ عليها . وهي القِلْفَة أيضاً .

[ وقال ] (١٤٦) ابو عمرو : الغَرَاد : الكَمَاة الصغار ، واحداً غَرَادَة ، ويقال أيضاً : هي الغِرَاد ؛ واحداً غَرْدَة .

باب قطع الشجر وقشر لحائه وكسره والكرم

[ قال ] (١٤٩) الأصمعي : الشَّدَب قِطْعُ الشجر ، واحداً شَدَبَة .  
والقُطْلُ : المقطوع من الشجر ، قال المنخل المَدَلِي :  
كما تَقَطَّرَ جِذْعُ الدَّوْمَةِ القُطْلُ (١٥٠)

فاذا قُطِعَت الشجرة ثم نبتت قيل : قد أُنْشَعَت ، وكذلك الكرم .  
قال : والجَفْنَة : الأصل من أصول الكرم ؛ وجمعه الجَفَن ، وهي الحَبْلَة .

(١٤٤) في ت : وأنشدنا .

(١٤٥) البيت - بلا عزو - في الجمهرة : ٢٧٨/١ والنهذيب : ٢٨٠/٣ و ١٩٥/١١ و ٢٦٥/١٥  
والصباح (وبر) والمخصص : ١٦٨/١ و ١٢٦/١١ (وفيه : ولقد نجوتك) و ٢٢٠  
و ٢١٥/١٣ و ١٢٠/١٤ وتركيب (وبر) في العباب واللسان والناج .

(١٤٦) زيادة من ت .

(١٤٧) في الأصل : « الفراء قال » ، وما أثبتناه من ت .

(١٤٨) زيادة من م .

(١٤٩) زيادة من ت وم .

(١٥٠) ورد الشطر في هاشم الأصل مع الإشارة الى مكانه فيه ، ولم يرد في ت وم ، وهو في ديوان المذليين : ٣٤/٢ ، صدره فيه : مجدلاً ينلقى جلده منه كما يقطر الخ .

[ وقال ] (١٥١) أبو عمرو : الزَّرَجُونُ : الكَرْمُ .  
 قال (١٥٢) : والتَّجَبُّ : لحَياء الشجر ، يقال منه : نَجَبْتُ الشجرةَ  
 أَنْجَبْتُهَا [ وَأَنْجَبْتُهَا ] (١٥١) : إذا قَشَرْتَهَا (١٥٣) . [ وقال ] (١٥١)  
 أبو زيد : أَنْجَبْتُ قَصِيماً من الشجرة : قَطَعْتَهُ (١٥٤) .  
 والدَّغْلُ : الشجر الكثير المُلْتَف . [ وقال ] (١٥١) الأصمعي في  
 النِيلِ مثله .

[ باب عطف العود وكسره ] (١٥١)

أبو زيد : انْخَضَّ العود انْخِضاداً وانْعَطَّ انْعِطاطاً (١٥٥) : إذا  
 تثنى من غير كسر بَيْن . فإنَّ عطفته قلتَ (١٥٦) : حَفَضْتَهُ  
 أَحْفِضُهُ حَفْضاً وحَفَوْتَهُ أَحْفَوْتَهُ حَفْواً وأَطْرْتَهُ أَطْرَهُ (١٥٧) أَطْراً .  
 [ قال ] (١٥٨) : والأَجْدالُ أصول الحطب المعطع (١٥٩) ،  
 الواحد (١٦٠) جِدْل .

[ قال ] (١٥١) : والجَزَلُ : اليابس من الحطب .  
 وقال غيره : الأُبْنُ : العُقْدُ في العود ، واحدها أُبْنَةٌ . والقادح :

- (١٥١) زيادة من ت .  
 (١٥٢) في الأصل : أبو عمرو التجب . وما أثبتناه من ت .  
 (١٥٣) في م : إذا أفدتها .  
 (١٥٤) ورد قول أبي زيد هذا في ت وم في آخر الباب بعد قول الأصمعي في النيل .  
 (١٥٥) في الأصل وت : « انظ انظلاماً » بالعين المعجمة ، وما أثبتناه من م ، وهو العواب .  
 (١٥٦) في م : قيل .  
 (١٥٧) هكذا ضبط الفعل المضارع في الأصل ، و ضبط بضم الطاء في ت ، وكلاهما وارد .  
 (١٥٨) زيادة من ت وم .  
 (١٥٩) وردت كلمة « المتلع » في هامش الأصل ، ولم ترد في ت وم .  
 (١٦٠) في ت وم : واحدها .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

الصدع في العُود. والأستن (١٦١) : اصول الشجر ، واحده (١٦٢) أستنة .

والوصم (١٦٣) : الكثر .

باب الشجر المرّ [ ١٧٥ / ]

[ قال ] (١٦٤) الأصمعي : الصّاب والسّلع : ضربان من الشجر مرّان . قال : فأما المتقير فانه (١٦٥) الصبير نفسه . [ وقال ] (١٦٤) الأُموي في المتقير مثله . قال أبو عمرو : هو شجر مرّ . وقال أبو الحسن (١٦٦) الأعرابي : المتقير : الحامض ، وهو المتقير أيضاً ، بيّن المتقير (١٦٧) .

[ وقال ] (١٦٤) غيره : القار شجر مرّ ، قال بشر [ بن أبي خازم ] (١٦٤) : يسومون الصّلاح بذات كهفٍ وما فيها لم سلعٍ وقارٍ (١٦٨)

باب الحنظل ونباته

[ قال ] (١٦٤) الأصمعي (١٦٩) : الحنظل هو الشري ، واحده شريّة . فاذا خرج الحنظل فصغاره الجيراء - ممدود - ، واحدها جيرؤ ، ويقال لشجرته : قد أجرت . فاذا اشتدّ الحنظل وصاب فهو (١٧٠) الحدج ،

(١٦١) قال علي بن حمزة : « وقال أبو عبيد : الأستن اصول الشجر واحده أستنة . وانا الأستن شجر معروف يشبه الناظر اليه من بعد شخص الناس » التنبهات : ٢٣١ .

(١٦٢) في م : واحدها .

(١٦٣) في الأصل : « الوصم » بالفساد المعجمة ، وما أثبتناه من ت و م ، وهو الصواب .

(١٦٤) زيادة من ت .

(١٦٥) في ت : فهو .

(١٦٦) في ت : أبو الحسين .

(١٦٧) جاء في حاشية ت ما لفظه : « وحكى النطوسي عن أبي عمرو : هذا أمقر من هذا أي أمر منه . وحكى عن أبي عمرو : يقال لئبين يار ، وقصره هو : لأن العمل بها أيسر من الأخرى » .

(١٦٨) ديوان بشر : ٦٩ .

(١٦٩) في م : الأصمعي قال .

(١٧٠) في ت : فهي .

كتاب الشجر والنبات والنخل

واحدتها حَدَجَة ، وقد أَحَدَجَتِ الشجرة . فاذا صار للحنظل خُطُوطٌ فهو الخُطْبَان ، وقد أَخْطَبَ الحنظل . فاذا اصْتَرَّ فهو الصَّرَاء - ممدود ، على مثال قَبَاء - ، واحدته صَرَاية ، وجمعه صَرَايا .

[ وقال ] (١٧١) أبو الوليد الأعرابي مثل قول الأصمعي في الجِرَاء والحَدَج والخُطْبَان ، وزاد فيه بعد الجِرَاء قال : فاذا امتدَّت أغصانه قيل : قد أُرْشَتِ الشجرة ؛ يعني صارت كالأرْشِيَّة وهي الحِيَال (١٧٢) .

وقال غيرهما : المَيْيْد : الحنظل ، ويقال : حَبُّ الحنظل . ويقال للظلميم هو يَتَهَبَّد : اذا استخرج ذلك ليأكله .

[ قال ] (١٧١) : والصَّيْصَاء : قِشْر حَبِّ الحنظل .

★ ★ ★

(١٧١) زيادة من ت .

(١٧٢) في الأصل : « الجبال » ، والتصويب من ت وم .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

## كتاب النخل

باب ابتداء نبات النخل وصغارِهِ

[ قال ابو عبيد ] (١) : سمعتُ الأصمعي يقول في صغار النخل : أول ما يُقْلَعُ شيء منها من أمِّه فهو الجثيث . وهو الرديُّ (٢) ، والميراء ، والفسيل .

ناذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مُستأرِضة - والمشارضة : التي تَكُنُّ في الأصل - فهي (٣) من خسيس النخل ، والعرب تسميها الرَّاكِب .

ناذا قُلِعَت الرديَّة من أمها بكرِّبها (٤) وليفها (٥) قيل : ودِّيَّة مُنْعَلَةٌ .

ناذا غَوَسَهَا حَفَرَ لها بئراً فغرسها ، ثم كبس حولها بئرُثوق المسيل والدَّمَن ، فتلك البئر هي الفقير ، يقال : فقَّرْنَا للرديَّة تفقيراً .

(١) زيادة من ت .

(٢) جاء في هامش الأصل ما نصه : « وأشد في الردي :

نخن بنرس الردي أعلنا منا بركض الجياد في السلف (في السلف) »

ولم يثبت أن ذلك من الأصل ، والبيت لسد القرقرة كما في العباب (سلف) و (سلف) .

(٣) في ت : فهو .

(٤) قال علي بن حنزة : « قال الطوسي : غلط ابو عبيد في قوله : ( بكرِّبها ) ، انما هو بكرية .

والقول قول الطوسي « التنبيهات : ٢٣٩ ، يريد : تقطع بكرية من الأم ، أي مع كرية

منها « اللسان ( نمل ) .

(٥) وردت كلمة ( وليفها ) في هامش الأصل مع الإشارة في داخل الأصل إليها ، ولم ترد في ت وم .

[ وقال ] (٦) غيره : الأشاء : الصغار (٧) من النخل ، واحدها أشاء .

[ غيره : الجعلل : التصار ] (٨) .

باب نُعُوتِ سَعَفِ النَّخْلِ وَكَدْرَبِهِ وَقَلْبِهِ (٩)

[ قال ] (٦) الأصمعي : يقال للفيلة إذا أخرجت قلبها : قد أنسغت . ويقال للسعات اللواتي (١٠) يَلِينَنَّ الْقَلْبَةَ : العوامين ؛ في لغة أهل الحجاز ، وأما أهل نجد فيسمونها الخوافي . وأصول السعف الغلاظ هي : الكرايف ، الواحدة (١١) كيرناة . [ قال ] (٦) : والعريضة التي تيس فتصير مثل الكتيف هي : الكربة . وشحمة النخلة (١٢) هي : الجمارة . فاذا صار للفيلة جذع قيل : قد قعدت ، وفي أرض فلان من القاعد كذا وكذا .

فاذا حملت وهي صغيرة فهي : المبهتجينة .

قال : والسعف هو الجريد عند أهل الحجاز ، واحده جريدة . وهو الخرص ، وجمعه خرصان ، ومنه قول قيس بن الخطيم :  
تَدْرَعُ خِرْصَانَ بِأَيْدِي الشَّوْاطِبِ (١٣)

(٦) زيادة من ت .

(٧) في ت : التصار .

(٨) زيادة من ت وم .

(٩) في ت : باب نموت السف والكرب وانقلب .

(١٠) في ت : التي .

(١١) في ت وم : الواحدة .

(١٢) في ت : النخل .

(١٣) تقدم الاستهاد بالبيت في باب نموت الأشجار في ورقها وانقلابها .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[ و ] (١٤) عن الأصمعي : الخُلْب : اللَّيْف ، واحدته خُلْبَةٌ .

باب حمل النخل وسقوط حملة

[ قال ] (١٥) الأصمعي : اذا حملت النخلة صغيرة [ ٨٥ / ب ] فهي

المُهْتَجِجَةُ .

فإن حملت سنة ولم تحمل سنة قيل : قد عاومت وسانته .

فاذا كثر حملها قيل : قد حَشَكْتَ .

فإن (١٦) نَقَضَتْه بعدما يكثر (١٧) حملها قيل : قد مَرَقَتْ (١٨) ،

وقد أصاب النخل مَرَقٌ .

[ قال ] (١٥) : فاذا كثر نَقَضَ النخلة (١٩) وعظم ما بقي من بُسْرِها

قيل : قد خردلت وهي (٢٠) مُخْرَدِلٌ .

فاذا انتفض قبل أن يصير بَلَحًا قيل : قد أصابه القُشَامُ .

فاذا وقع البلح وقد استرخت ثماريقه [ وهي الثماريق ] (٢١) وتدي

قيل : بلح سَدٍ ، وقد أسدى النخلُ (٢٢) - والثُفْرُوقُ بالثاء : قِمَعٌ

(١٤) زيادة من م .

(١٥) زيادة من ت .

(١٦) في ت : فاذا .

(١٧) قال علي بن حمزة : « وقد غلط . الوجه : بعدما يكبر » التنبيهات : ٢٣٩ .

(١٨) هكذا ضبط الفعل في الأصول ، وقال في اللسان : « مرقت النخلة [ أي يكسر الراء ] وأمرقت

وهي مرقق . . . والاسم المرقق » وذكر بعد ذلك : « والمرق أيضاً : آلة تمسيب الزرع » .

(١٩) في الأصل : « النخل » وما أثبتناه من ت و م .

(٢٠) في ت : فهي .

(٢١) زيادة من م وهامش ت ، ومن المحتمل أن لا تكون من صلب الكتاب لاختلاف تفسيرها

لثماريق عن التفسير الآتي .

(٢٢) في ت : وقد أسدت النخلة .

البُسْرَة والتمرّة - . [ وقال ] (٢٣) أبو عمرو أو غيره : هو السّدي ، مثل عمى ، والواحدة سدّية ، وهو السّداء - ممدود - ، والواحدة سدّاة .  
وقال العَدَبَسُ الكِنَانِي : الثَّفْرُوق : هو ما يلترق به القِمَع من التمرّة ، كأنه يقول : هو ما تحت القمع [ من التمر ] (٢٣) .

باب طَلْع النخل وإدراك لمره

[ قال ] (٢٣) أبو عمرو : الطَّلَع هو الكافور ، وكذلك الذي يُجَعَل في الطَّيِّب . [ وقال ] (٢٣) الفَرَّاء : هو الكافور والضَّحْك - جميعاً - حين ينشق .

[ وقال ] (٢٣) الأصمعي : إذا بدا الطَّلَع فهو الغَضِيض ، فإذا اخضرَّ قيل : قد خَضِبَ النخل ، ثم هو البَلَح .

[ قال ] (٢٣) الأصمعي : الكافور : وعاء طَلَع النخل ، قال : ويقال له أيضاً قَمُور .

فإذا انمقد الطَّلَع (٢٤) حتى يصير بلحاً فهو السِّيَاب (٢٥) [ مخفف ] (٢٦) والواحدة سِيَابَة ، وبها سُمِّي الرَّجُل .

فإذا اخضرَّ واستدار قبل أن يشتدَّ فإن أهل نجدٍ يسمونه الجَدَّال ، قال بعض أهل البادية :

سارت\* إلى يَبْرِينِ خمّاً فأصبحت  
يَخِرُّ على أيدي البثاقة جدالها\* (٢٧)  
فإذا عظم فهو البُسْر .

( ٢٣ ) زيادة من ت .

( ٢٤ ) في الأصل : الطَّلَع ، وما أثبتناه من ت وم .

( ٢٥ ) جاء في حاشيات ما لفظه : السِّيَاب في كتاب أبي عبيد بالتخفيف ، وهو السياب بالقسم والتشديد ، ومنه قول الأعشى :

نخال نكبتها بالليل سيابا

( ٢٦ ) زيادة من ت وم .

( ٢٧ ) البيت للشبل السدي في البهجة : ٦٧/٢ واللسان والناج ( جدل ) ، وبلا عزو في التهذيب :

٦٥٠/١٠ ، وبعض أهل البادية في المختص : ١٢١/١١ ، وعجزه بلا عزو في المقاييس ٤٣٤/١ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

فاذا صارت فيه خَطُوطٌ وطرائقُ فهو المَخْطَمُ .  
فاذا تغيَّرت البُسرة الى الحُمْرة قيل : هذه شُقْحَة ، وقد [ ٨٦ / أ ]  
أشْفَح النخلُ .

فاذا ظهرت فيه الحمرة قيل : أزْهَى النخل يُزْهِي ، وهو الزَّهْوُ ، وفي  
لغة أهل الحجاز : الزَّهْوُ .

فاذا بدتُ فيه نُقْطٌ من الإِرطاب قيل : قد وَكَّتْ ، وهي بُسرة  
مَوْكَّتَة .

فاذا أتاها التَّرْكيت (٢٨) من قَيْل ذَتَبها قيل : ذَتَبْتُ ، فهي  
مُدْتَبَة ، والرُّطَب : التَّدْنُوب .

فاذا دخلها كلتا الإِرطاب وهي صُلْبَة لم تنهضم بعدُ فهي جُمْتَة ،  
وجمعها جُمُسُ .

فاذا لانتُ فهي تُعْدَة ، وجمعها تُعْد .

فاذا بلغ الإِرطابُ نصفها فذلك المُجْرَع والمُجْرَع أيضاً (٢٩) .

فاذا بلغ ثلثيها فهي حُلْفَانَة ، وهو مُحَلْفَيْن .

فاذا جرى الإِرطاب فيها كلَّها فهي المُشْبِيتَة ، وهو رُطَب مُشْبِيت .

فاذا أرطب النخل كله فذلك المَعْرُ . قال أبو عبيد : وقياسه أن تكون  
الواحدة مَعْرَة ولم أسمعه . وقال اليزيدي : يقال منه : أمَعَت النخلةُ (٣٠) .

(٢٨) نِي م : واذا أتاها الرطب .

(٢٩) نِي ت : « فذلك المجرع ، ويقال المجرع بالفتح » ، وفي حاشيت : « المجرع - بالكسر -  
أنيس حلا على أعواته » وفي م : « فذلك المجرع ويقال المجرع » .

(٣٠) ورد في الأصل بعد هذه الجملة ما منه : « الأسمعي : فاذا بلغ الطلع فهو النقيض ، واذا اخضر  
قيل قد خضب أنخل ثم هو البلح » وقد تقدم ذلك في صدر الباب ، فنكراره سهو من الناسخ .

[ قال ] (٣١) ابو عمرو : فاذا (٣٢) أدرك حمل النخلة فهو الإناض ،

قال لييد :

[ فاخيرات ضروعها في ذراها ] (٣١) وإناض العيدان والجبار (٣٣)

[ قال ] (٣١) الأصمعي : فاذا ضرب العيذق بشوكة فأرطب فذلك

المتشوش ، والفعل منه التمشش .

فاذا بلغ الرطب اليبس فذلك التصليب ، وقد صلب .

فإن وُضِعَ في الجرار وقد يبس فصُبَّ عليه الماء فذلك الربيط .

فإن صبَّ عليه الدبس فذلك المصتبر ، والدبس عند أهل المدينة يقال

له الصفر .

فإن غُمَّ (٣٤) ليُدرك فهو مغمون ومغول . وكذلك الرجل

يُلغى (٣٥) عليه الثياب ليغمرق فهو (٣٦) مغمول .

[ وقال ] (٣١) الاموي : في لغة بكحارث بن كعب : القالب البُر

الأحمر ، يقال منه : قَلَبَتِ البُرَّةُ تَقْلِبُ : اذا احمرَّت .

فاذا أبصرتَ فيها الرطب قلتَ (٣٧) : قد أضهلتَ إضهالا .

والتشمُّ : البُرُّ الأبيض الذي يؤكل قبل أن يُدرك ، وهو حلو .

(٣١) زيادة من ت (٣٢) في م : اذا .

(٣٣) جاء في هامش ت ما نعه : والرواية : وأنيض العيدان ، يريد النض الطري المدرك .

والبيت في ديوان لييد : ٤٢ .

(٣٤) في هامش ت : « فان غمن » . (٣٥) في م : تلقى .

(٣٦) في م : وهو .

(٣٧) في الأصل : « قيل » ، وما أثبتناه من ت وم .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

[ وقال ] (٣٨) غيره : اذا كثر حمل النخلة قيل : أوسنت ، يعني

انها قد حملت وسقاً ، وهو الرقير ، قال لييد :

موسقاتٌ وحفَلٌ أبكارُ (٣٩)

[ ٨٦ / ب ] أي تُبكر في الحمل .

ويقال : أنضج النخل : اذا احمرَّ أو اصفرَّ ، قال ابو ذؤيب :

ياهلُّ أريك حُمول الحَيِّ غاديةٌ (٤٠) كأنه نخل زيتها ينبع وإفصاح (٤١)

باب تغيير حمل النخل (٤٢) وفساده

[ قال ] (٣٨) الأصمعي : اذا أنسقت النخلة عن عمن وسواد قيل :

قد أصابه الدمان ، قال : وقال ابن أبي الزناد : هو الأدمان .

وإذا لم تقبل النخلة الاتحاح ولم يكن للبسر نوى قيل : قد صا صأت

النخلة .

فإن غلظت التمرة وصار فيها (٤٣) مثل أجنحة الجراد فذلك الفنا

[ مقصور ] (٤٤) ، وقد أنفت النخلة .

قال : [ و ] (٤٥) يقال للتمر العنين : الدمال .

وقال الامري : في لغة بلكحارث بن كعب : الصييص والخشور -

جميعاً - : الحشَف (٤٦) ، وقد خشت [ النخلة ] (٤٥) تخشوخشواً .

وقال الفراء : يقال للتمر الذي لا يشتد نواه : الشيشاء ، قال : وأنشدنا :

(٣٨) زيادة من ت .

(٣٩) ديوان لييد : ٤١ ، و صدر البيت : ( يوم أرزاق من يفضل عم ) .

(٤٠) أشار في الأصل ال رواية اخرى في البيت هي : «الحي صاحبة» .

(٤١) ديوان الهذليين : ٤٥/١ ، وفيه : « زينه ينح » .

(٤٢) في ت وم : تغير ثمر النخل .

(٤٣) في ت : فيه ، وفي م : فان غلظ الثمر وصار فيه .

(٤٤) زيادة من م .

(٤٥) زيادة من ت وم .

(٤٦) في الأصل ر ت : الحشف ، والتصويب من م .

يالك من تمرٍ ومن شيشاء ينثب في المسعل والأنهاء (٤٧)  
 قال : احتاج اليه فمدّه ، ويروى : اللها - مقصور (٤٨) - وهو  
 جمع لها ، مثل الإضا وهو جمع أضاً ، والأضا : جمع أضاة . وهو الذي  
 يقال له الشيص (٤٩) ، قال : وأهل المدينة يسمونه النخل ، وقد سخلت  
 النخلة .

### باب صيرام النخل وليقاحه

[ وقال ] (٥٠) الأصمعي : فاذا لقح الناس النخل قيل : قد جبّوا ،  
 وقد أنانا (٥١) زمن الجيباب .  
 غيره : أبرت النخل آبره أبراً وأبرته ، ومنه قول طرفة :  
 ولي الأصل الذي في مثله يصلح الأبر زرع المؤتير (٥٢)

(٤٧) المشطوران بلاعزوي في تركيب (شيش) في الصحاح والعياب واللسان والتاج ، والمخصص :  
 ١٥٧/١ و ١٣١/١١ و ١٥٢/١٥٢ و تركيب (شا) في اللسان والتاج ، وثانيتها في التهذيب :  
 ٤٣٠/٦ .

وقال في اللسان (لها) تليقاً على هذا الشاهد : « روي بكسر اللام وفتحها ، فمن فتحها ثم مد نعل  
 اعتقاد الضرورة ، وقد رآه بعض النحويين ، والمجتمع عليه عكسه . وزعم أبو عبيد أنه جمع لها  
 على لها . قال ابن سيده وهذا قول لا يرجح عليه ، ولكنه جمع شاة كما بينا ، لأن فلة  
 يكسر على ذمال » .

(٤٨) كذا في الأصل ، ولم ترد كلمة « مقصور » في ت ، والسياق يقتضي أن تكون العبارة  
 هكذا : « ويروى : الهاء - مدود - وهو جمع لها ، مثل الإضاء الخ » .

(٤٩) هذا هو نص الأصل تليقاً على الشاهد المتقدم ، وفي ت بعد الشاهد : « احتاج ال مدده فده ،  
 وهو مفتوح ، فاذا كسر فهو مدود لاغير ، مثل أناسة وأضاً وإنساء . الشيشاء : هو الشيص .  
 في م بعد الشاهد : « وهو الذي يقال له الشيص ، ويروى : واقها مدود ، قاله وأهل المدينة يسمونه  
 النخل ، وقد سخلت النخلة . الهاء مقصور ، فاحتاج اليه فده ، ويقال لها ولها ولها مثل  
 أناسة وأنساء وإنساء » .

(٥٠) زيادة من ت .

(٥١) في م : وقد أنى .

(٥٢) ديوان طرفة : ٦٣ .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وأهل المدينة يقولون : كُنَّا فِي الْعَقَار ، إِذَا كَانُوا فِي إِصْلَاحِ النَّخْلِ وَتَلْقِيحِهَا .

[ قال ] (٥٣) الأصمعي : فَأَذَا صُرِمَ النَّخْلُ فذلِكَ الْقَطَاعُ وَالْجِزَازُ وَالْجِزَازُ وَالْجِرَامُ (٥٤) [ وَالْجِرَامُ ] (٥٥) . [ وقال ] (٥٣) الكسائي فِي هَذَا كَلَّمَهُ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ .

[ وقال ] (٥٣) أبو عبيدة : جَزِمْتُ النَّخْلَ وَجَرَمْتُهُ : كَلَّمْتُ هَذَا مَعْنَاهُ إِذَا حَرَصْتَهُ وَحَزَرْتَهُ (٥٦) .

### بَابُ نَعُوتِ النَّخْلِ فِي طَوَّهَا

[ قال ] (٥٣) الأصمعي : إِذَا صَارَ [ ٨٧ / أ ] لِلنَّخْلَةِ جِدْعٌ يَتَنَاوَلُ مِنْهُ الْمُتَنَاوِلُ فَتلكِ النَّخْلَةُ : الْعَضِيدُ ، وَجَمْعُهُ (٥٧) عِضْدَانٌ . فَأَذَا (٥٨) فَانَتْ الْيَدُ فِيهِ جَبَّارَةٌ . فَأَذَا (٥٨) ارْتَضَعَتْ عَنْ ذلِكَ فِيهِ الرَّقْلَةُ ، وَجَمْعُهَا رَقْلٌ وَرِقَالٌ ، [ قال ] (٥٣) : وَهِيَ عِنْدَ أَهْلِ نَجْدٍ : الْعَيْدَانَةُ . فَأَذَا طَالَتْ - قَالَ : وَلَا أُدْرِي لَعَلَّ ذلِكَ مَعَ (٥٩) أَنْجِرَادٍ - فِيهِ : مَسْحُوقٌ وَهُنَّ سَحُوقٌ .

[ قال ] (٥٣) : وَالصَّوْرُ : النَّخْلُ الْمُجْتَمِعُ الصَّغَارُ .  
غیره : الصَّوَادِي : الطَّوَالُ ، قَالَ ذُو الرِّمَّةِ [ بِصِفِّ الْأَحْمَالِ ] (٦٠) :  
مِثْلُ صَوَادِي النَّخْلِ وَالسَّيَالِ (٦١)

- (٥٣) زيادة من ت .  
(٥٤) في ت : « الجزام » ، وقال في الماش تمليقاً على ذلك : « جيباً بالزاي والراء » ، والمعروف في المعجمات بالراء المهمله .  
(٥٥) زيادة من م .  
(٥٦) في الأصل : « وجزرته » ، وفي م : « وخررته » ، والتصويب من ت .  
(٥٧) في ت وم : وجمها .  
(٥٨) في م : فان - في الموضمين - .  
(٥٩) في ت : « من » وكتب الناسخ تحتها كلمة « مع » .  
(٦٠) زيادة من م .  
(٦١) ديوان ذي الرمة : ٢٧٤/١ .

قال ابو عبيد : وقد تكون الصّرادي : التي لا تشرب الماء .  
والطّراتق (٦٢) : الطّوال ، واحدها (٦٣) طريقة .  
غيره : الجعّئل : القِصار (٦٤) .

باب نعوت النخل في حملها

[ قال ] (٦٥) الفراء (٦٦) : اذا كانت النخلة تُدرِك في أول النخل فهي  
البكُور ، وهُنَّ البُكُورُ ، وأنشدنا للمُتَنخِل :  
ذلك مادِينُكَ إِذْ جُنِبَتْ      أحمالها كالبُكُورِ المُبْتَلِ (٦٧)  
قال : والمُبتَلِ : الأُمُّ يكون (٦٨) لها فِيلة قد انفردت واستغنت  
عن أمها ، فيقال لتلك الفِيلة : البتُول .  
وقال الفراء : البكيرة مثل البكُور .  
قال : والميسلّاخ : التي (٦٩) ينثر حملها اذا صار يُسراً (٧٠) .  
والخضيرة (٧١) : التي ينثر برها [ وهو ] (٧٢) أخضر .  
[ وقال ] (٦٥) الأصمعي : المِثْخار ، التي (٧٣) يبقى حملها الى آخر  
الصّرام ، وأنشدنا :

- (٦٢) في الأصل وم : الطريق ، وما أثبتناه من ت .  
(٦٣) في ت وم : واحده .  
(٦٤) في ت : الصغار .  
(٦٥) زيادة من ت .  
(٦٦) كذا في الأصل ، وفي ت وم : الأصمعي .  
(٦٧) ديوان المذليين : ٣/٢ .  
(٦٨) في ت وم : تكون .  
(٦٩) في الأصل : الذي ، وما أثبتناه من ت وم .  
(٧٠) في م : والسلاخ التي ينثر برها .  
(٧١) في الأصل : والخفير ، ، وما أثبتناه من ت وم .  
(٧٢) زيادة من ت وم .  
(٧٣) في ت : المِثْخار النخلة التي ، وفي م : المِثْخار النخلة يبقى .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

ترى الغضيبُصَّ الموقر المِثْخارا من وقعه ينثر انثارا (٧٤)  
[ ويروى : العصيد ] (٧٥) .

باب أجناس النخل

[ قال ] (٧٦) القراء : الخِصَاب : نخل الدَّقَل ، والواحدة خَصْبَةٌ .  
[ وقال ] (٧٦) الأصمعي : يقال للدَّقَل : الألوان ، واحدها لَوْن .  
ويقال لفلحها : الراعي . والرَّعَال : الدَّقَل ، الواحدة (٧٧) رَعْلَةٌ .  
قال : وكلُّ لَوْنٍ من النخل لا يُعرَف اسمه فهو جَمْعٌ ، ويقال (٧٨) :  
ما أكثر الجمع في أرض فلان ، لنخلٍ خرَج من التوى .  
غيره : الطَّريق : ضَرَب من النخل ، قال الأعشى :  
وكلُّ كُمَيْتٍ كجذع الطَّريقِ يجري على سَكِطَاتٍ لُثْمٍ\* (٧٩)

باب عيوب النخل

[ قال ] (٧٦) الأصمعي : اذا صغر رأسُ النخلة وقلَّ سعفها فهي  
عَشَّة ، وهنَّ عِشَاش .  
فاذا دَقَّت من أسفلها وانجرد كثرَبُها قيل : قد صَنَبَرَت .  
فاذا مالت فبُني تحتها دُكَّانٌ تعتمد عليه فذلك : الرُّجْبِيَّة ، والنخلة  
رُجْبِيَّة (٨٠) ، ومنه قال الجُبَّاب بن المُنْذِر : أنا جُدَيْلُها المُحَكَّك

(٧٤) المشطوران - بلاعزرو - في التهذيب : ٥٥٨/٧ والمخصص : ٨/١١ و ١١٨ و ١٣٧/١٦  
( و في بعضها : المنفرد ) وتركيب ( اخر ) في اللسان والناج .

(٧٥) زيادة من م .

(٧٦) زيادة من ت .

(٧٧) في ت : واحدها .

(٧٨) في ت وم : يقال .

(٧٩) ديوان الأعشى : ٣٢ ، وفيه : يردي عل .

(٨٠) هكذا ضبطت الكلمة في الأصل هنا وفي الشاهد ، وضبطت في ت بفتح الجيم بلا تشديد ،  
وكلاهما وارد .

وعُدِّيَقَها المُرَّجَب . وأنشدنا غيره (٨١) :  
 لَيْتَ بَسْنَهَاءَ وَلَا رُجْبِيَّةَ . ولكن عَرَابِيَا فِي السَّنِينِ الْجَوَائِحِ (٨٢)  
 [ ويروى : بسناهء ولا رُجْبِيَّةَ ] (٨٣) .  
 [ قال ] (٨٤) الأحرر : فاذا يَسْتُ قِيلَ : صَوَّتْ تَصْوِي ، فهي صاويَّة .

باب عُدُّوقِ النَّخْلِ وَنَعْوَتِهَا

[ قال ] (٨٤) الأصمعي : العُدُّوقُ — عند أهل الحجاز — : النخلة  
 نفسها . والعِدُّوقُ : القِشْرُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الكِبَاسَةُ . وهو القَنَا — أيضاً —  
 مَقْصُورٌ . قال أبو عبيد : فَمَنْ قَالَ قِشْرًا قَالَ لِلأَثِينِ قِشْرَانٍ [ بكسر  
 النون ] (٨٥) : وللجميع (٨٦) قِشْرَانٌ ، وهما صِنُوٌّ وَصِنْرَانٌ وَصِنْرَانٌ  
 للجمع . وَمَنْ قَالَ قَنَا [ مقصور ] (٨٤) قال لجمعه أَقْنَاءٌ بِمَمْدُودٍ .  
 ويقال لعُودِ العِدِّوقِ وهو عُودُ الكِبَاسَةِ : المُرَّجُونَ وَالإِهْكَانُ .  
 والشَّمْرَاخُ : هو الَّذِي عَلَيْهِ البُسْرُ وَأصلُهُ فِي العِدِّوقِ ، ويقال له  
 الشَّمْرُوخُ — أيضاً — وَالإِنْكَالُ وَالأُنْكَوْلُ وَالعِشْكَالُ وَالعُشْكَوْلُ .  
 [ و ] (٨٤) قال الامري : في لغة بَكْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ : المِطْوُ :

(٨١) في ت : وأنشدنا غيره للحباب بن المنذر .  
 (٨٢) البيت — بلاعزو — في التهذيب : ١٢٩/٦ والمختصر : ٥٤/١٦ واللسان (جرح) ،  
 ولشاعر من الأنصار في المتايس : ٢٩٩/٤ ، ولسويد بن الصامت في الجمهرة : ٢٠٨/١  
 واللسان (رجب) و(سنه) و(عرا) والنتاج (سنه) و(عري) ، وفي بعض هذه الروايات :  
 « نليت بسناهء » .

(٨٣) زيادة من ت ، وفيها ما لفظه : « بالشديد على الجيم والياء ، وهذا هو الصحيح النصح  
 ورجية : من الرجبة من طريق النسب ، وهي لفظ على حياها » .

(٨٤) زيادة من ت .

(٨٥) زيادة من ت وم .

(٨٦) في ت : وللجميع .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

- الشُّرَاخ (٨٧) ، وجمعه مِطَاء (٨٨) .  
 والكِتَاب : [ هو ] (٨٩) الشُّرَاخ ، ويقال له - أيضاً - : العاسي .  
 قال : والعِرْدَام : العِذْق الذي يكون فيه الشُّمَارِيخ .  
 وقال أبو عمرو في الإحان مثله (٩٠) .  
 غيره : الْمُتَعَتِّكِل : العِذْق ذو العتاكيل ، واحدا عَتَكُول (٩١) .  
 وقال العَدَّيْس : والذَّيْبُخ (٩٢) : القَيْثُ ، وجمعه ذَيْبَخَةٌ ، مثال  
 دَيْكٍ وِدَيْكَةٍ وقرود وقِرْدَةٍ (٩٣) .

### باب إعراء النخل ورفع ثمره (٩٤) بعد الصَّرام

- [ قال ] (٩٥) الأصمعي : يقال [ ٨٨ / أ ] : قد استعرى الناسُ في  
 كل وجه : اذا أكلوا الرُّطْبَ ، أخذ (٩٦) من العَرَايَا . وقد استنجى  
 الناسُ في كل وجه : اذا أصابوا الرُّطْبَ .

- (٨٧) قال علي بن حمزة : « وقال : المطو الشراخ . وإنما المطو العذق ، وأشد أبو زياد وغيره :  
 وهنقوا وصرحوا بالأجلح وكان هسي كل مطو أملح »  
 وقال أبو عمرو وغيره : يقال لعذق المطو والمطو ، والجمع مطاء « الشبهات : ٢٤٠ .  
 (٨٨) في الأصل : « أمطاء » ، وما أثبتناه من ت وم ، وهو العواب في جمع المطو ، وفي اللسان :  
 « والملا - متصور - لغة فيه » وجمعه أمطاء .  
 (٨٩) زيادة من م .  
 (٩٠) ورد قول أبي عمرو في ت بعد قوله : ( العرجون والإحان ) ووضعها الناسخ بين الطور ،  
 ثم وردت مرة أخرى كالأصل ووضع الناسخ خطأً عليها تنبيهاً على زيادتها هنا .  
 (٩١) في ت : « ذو العتاكيل جمع العتاكول » ، وفي م : « ذو العتاكيل ، والعتاكيل جمع العتاكول » .  
 (٩٢) في ت : « الذبيخ » بلا حرف عطف ، وفي م « الذبيخ » بالذال المهملة ، وكلاهما وارد  
 في المعجمات ، وفي اللسان : « والذال أعل » .  
 (٩٣) جملة ( مثال ديك . الخ ) مضافة ال الأصل ، ولم ترد في ت وم .  
 (٩٤) في ت : وجمع ثمره .  
 (٩٥) زيادة من ت .  
 (٩٦) في ت رم : أخذه .

قال : ويقال للمرضع الذي يُجعل فيه التمر إذا صُرِم : المِرْبَد . وربما خشوا عليه المطر فيجعل في المِرْبَد جُحْر يسيل (٩٧) منه ماء المطر ، واسم ذلك الجُحْر : الثعلب .

[ قال ] (٩٨) : وأهل نجد يُسمون المِرْبَدَ : الجَرِين . ويسميه بعض من يلى اليمامة : المِسْطَح .

#### باب نعوت النخل في شربها ونباتها

[ قال : سمعتُ ] (٩٨) غير واحدٍ [ يقول ] (٩٨) : الكارِعَات والمُكَرِعَات : التي على الماء .

[ قال ] (٩٨) : والنادِيَات : البعيدة من الماء (٩٩) .

عن الأصمعي : النخل المُتَبَق (١٠٠) : المُصْطَفُ على سَطْر [ واحد ] (٩٨) مُسْتَوٍ ، ومنه قول امرئ القيس (١٠١) :

كَنخَلٍ من الأعراض غير مُتَبَقٍ (١٠٢)

أي : غير مستوٍ .

#### باب جِماع النخل

[ قال : و ] (٩٨) الصَّوْرُ : جِماع النخل . والحائش : جِماع النخل ، قال الأختل :

(٩٧) كذا في الأصل ، وثبت وم : ليل .

(٩٨) زيادة من ت .

(٩٩) في ت : عن الماء ، وفي م : البعيدات من الماء .

(١٠٠) أشار في الأصل إلى جواز فتح الباء وكسرها ، وكلاهما مخصوص في المنجسات ، وجاء في هامش ت « متبق » حاشية - عن الطوسي عن أبي عبيد المتبق بكسر الباء ، ومن غيره المتبق بفتح الباء .

(١٠١) في ت وم : امرئ القيس أو غيره .

(١٠٢) ديوان امرئ القيس : ١٦٨ ، صدره : « وحدثت بأن زالت ليل حوالم » .

الشيخ محمد حسن آل ياسين

وكانَ ظُعنَ الحَيِّ حائشُ قسريةٍ داني الجَنَاةِ وطيب الأثمارِ (١٠٣)  
 [ قال أبو عبيد ] (١٠٤): لا واحد للحائش ولا للصَّور ، كما قالوا لجماعة  
 البئر : الرِّبْرَب ؛ ولجماعة الأباغر : الإبل (١٠٥) .

باب أسماء ما يُزرَع فيه ويُعْرَس

[ ٨٨ / ب ] أبو عبيد عن أبي عبيدة : الجِرْبَة : المزرعة ، ومنه قول  
 بشر [ بن أبي خازم ] (١٠٦) :

عل جِرْبَة تَعْلُو الدِّبَارَ غُرُوبُهَا (١٠٧)

[ وقال ] (١٠٤) أبو عمرو : الدِّبَار : المشار ، واحدها دِبْرَة .

[ وقال ] (١٠٤) غيره : الحَقْل . مثله .

وقال أبو عمرو : المَحَاجِر : الحدائق ، واحدها مَحَجِير ، قال

ليد :

تُرْوِي المَحَاجِرَ بِأَزِلٍ عُلُكُومٌ (١٠٨)

[ وقال ] (١٠٤) غيره : سَبَلُ الزَّرْعِ وَسُنْبُلُهُ واحد ، وقد سَنَبِلَ

الزَّرْعَ وَأَسْبَلُ (١٠٩) .

والمَسَارِبُ : المراعِي .

(١٠٣) ديوان الأخطل : ٧٧ وفيه : « داني الجناة موضع الأثمار » .

(١٠٤) زيادة من ت .

(١٠٥) في ت : « ويرب والأباعرابل » ، وفي م : « ويرب ويلمع الأباعرابل » : وورد  
 يد ذلك في الأصل باب عنوانه ( باب حجارة المن ) ، وهو مقحم هنا لا علاقة له بالنخل ،  
 ولم يرد في ت وم .

(١٠٦) زيادة من ت وم .

(١٠٧) ديوان بشر : ١٤ ، صدره : « تحدر ماء البئر عن جرشية » .

(١٠٨) ديوان ليد : ١٢٢ ، صدره : « بكرت به جرشية مقطوعة » .

(١٠٩) في م : وقد سبل وسنبل وأسبل .

# الإستقراء في النحو

الكتور

عبدان محمد سلمان

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية

كلية الآداب - جامعة بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد اعتمد النحاة المنهج الاستقرائي في وضعهم أصول النحو العربي وقواعده ، وهو منهج قويم يعتمد على تتبع كلام العرب من منابعه الأصيلية ، وتسجيل القوانين النحوية التي يخضع لها نظام العربية في تراكيبها المختلفة . وكان للجهد العظيم الذي بذله العلماء ، وهم يدونون اللغة ويجمعون نصوصها ، أثر كبير في تدليل سبل استقراءهم اللغة ، ومن ثم تيسر لهم استنباط أحكامها ، وضبط قواعدها ، واستخلاص أوضاع نظمها ، وبيان العلاقة القائمة بين مفرداتها في تراكيبها المختلفة ، وسمات تلك المفردات وأنواعها وخصائص كل نوع منها ، وما يطرأ عليها من تغيير بسبب المعاني المختلفة التي تتورثها في الكلام .

ولعظيم اعتماد النحاة على الاستقراء في ذلك كله ، وجدناهم قد نصروا عليه في وصفهم النحو وحدته . فهذا أبو بكر بن السراج المتوفى سنة (٣١٦هـ) يصفه بأنه : « علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب » (١) ،

(١) كتاب الأصول في النحو ٢٧/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وهذا أبو عليّ الفارسيّ المتوفى سنة (٣٧٧ هـ) يحدّثه بأنه : « علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب » (٢) ، وحدّده ابن عصفور المتوفى سنة (٦٦٩ هـ) بأنه : « علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي تأتلف منها » (٣) .

وغرضي في هذا البحث هو أن أضع بين يديّ الباحثين نماذج من استقراءات النحاة ، لأثبت خطأ كثير من الباحثين المحدثين ، ممن يشعرون على النحاة القدامى ، فيزعمون أنهم لم يستقروا اللغة استقراء تاماً ، حينما أصدروا أحكامهم النحوية (٤) ، وأنهم كانوا يرومون في عملهم النحويّ اخضاع اللغة العربية لقواعد المنطق والفلسفة والعلوم الكلامية الأخرى التي تأثروا بها (٥) ، بعد اطلاعهم على ثقافات الأمم المختلفة ، وإنتني لا أزعج أن النحاة لم يتأثروا بالمنطق أو الفلسفة أو العلوم الأخرى ، فجاءت أحكامهم بعيدة عن ذلك ؛ لأن كتب النحو زاخرة بما يدلّ على ذلك التأثير ، ولكن هذا التأثير لا يتصل بوضع القواعد والأحكام النحوية ، بل يتصل بتنظيم تلك الأحكام على وفق منهج قائم على تفكير عقليّ يسعى إلى ضم الأحكام المتشابهة في أبواب مترابطة ، ويتصل أيضاً بالكشف عن أسرار العربية ، وحكمة نظمها ، أما وضع الأحكام فقد كان اعتمادهم فيه على الاستقراء وحده .

ويستطيع الباحث أن يقرر . أنّ علوم العربية - ومنها النحو - قد مرت بثلاث مراحل ، فالتجّهت جهود العلماء في المرحلة الأولى صوب جمع النصوص وتدوينها على وفق ضوابط الترميز بها ، تتصل بجوهر النص ، وسلامة

(٢) كتاب الشكلمة ١٦٣ .

(٣) المقرب ٤٥/١ .

(٤) اللغة والنحو بين القديم والحديث / عباس حسن ، ٦٨ .

(٥) مدرسة الكوفة للدكتور مهدي الخزرجي / المقدمة (٥) .

عربية من يأخذون عنه اللغة (٦) ، وفي المرحلة الثانية انصرف العلماء إلى استقراء تلك النصوص لاستخلاص الأحكام والقواعد منها ، أما المرحلة الثالثة فقد كانت جهودهم فيها منصبة على تعرف أسرار اللغة ، وتعليل أحكامها لمعرفة حكمة العرب في كلامها (٧) . وقد كان للمنطق والعلوم الكلامية الأخرى أثر كبير في هذه المرحلة . أما المرحلتان الأولى والثانية ، فليس للعلوم الكلامية أثر فيهما إلاّ فيما يتصل بتنظيم المعلومات وتبويبها .

ولابدّ من التأكيد هنا أنّ هذه المراحل الثلاث كثيراً ما تكون متداخلة تجري في آن واحد ، إلاّ أن لكل مرحلة غرضاً متميزاً عن غرض المرحلة الأخرى ، فكان غرض المرحلة الأولى هو جمع اللغة والمحافظة عليها من الدخيل ، وغرض المرحلة الثانية هو وضع القواعد النحوية واللغوية ليتجنب الناطقون بالعربية اللحن ، وغرض المرحلة الثالثة هو بيان عظمة هذه اللغة ، ومعرفة أسرارها .

ولعل أول استقراء في النحو يقع بين أيدينا هو ذلك الاستقراء الذي ينسب للإمام عليّ ( رضي الله عنه ) فيما رواه عنه أبو الأسود الدؤليّ المتوفى سنة (٦٩ هـ) حيث قال : « دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، فرأيتته مطرقاً متضكراً ، فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنني سمعت ببلدكم لحنناً ، فأردت أن أصنع كتاباً في أصول العربية . فقلت : إن فعلت ذلك أحييتنا ، وبقيت فينا هذه اللغة ، ثمّ أتيت بعد ثلاث ، فأتمى إليّ صحيفة ، فيها : « بسم الله الرَّحْمَن الرَّحِيم . الكلام كَلَاهُ : اسم وفعل وحرف ، فالاسم ما أنبأ عن المُسَمَّى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المُسَمَّى ، والحرف

(٦) الكتاب ( لسيويه ) ١١٧، ٧٧، ٢٦/١ .

(٧) كتاب الأصول في النحو لأبي بكر بن السراج ، ٣٧/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

ما أنبأ عن معنى ليس باسم ، ولا فعل ، ، ثم قال لي : تتبعه وزيدٌ فيه ما وقع لك (٨) .

وفي قول الإمام عليّ لأبي الأسود : (تبعه) إشارة لطيفة إلى المنهج الاستراتيجي الذي ينبغي أن يسلكه النحوي ؛ لأن الاستقراء إنما هو التبع (٩) .

وكان لهذا الاستقراء الذي نقله أبو الأسود عن الإمام عليّ أثر واضح في جُلِّ المصنفات النحوية ، فقد افتتحت فصولها بتسجيل هذه النتيجة الاستقرائية المتصلة بأنواع الكلم العربي . فسيبويه مثلاً بدأ كتابه التميم بقوله : « هذا باب علم ما الكلم من العربية ، فالكلم : اسم وفعل وحرف ، جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل » (١٠) . ثمّ تحدّث عن هذه الأنواع الثلاثة حديثاً اعتمد فيه على الوصف والتمثيل فقال : « فالاسم : رجل وفرس وحائط ، وأما الفعل : فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء ، وبُنِيَتْ لما مضى ولما يكون ولم يقع ، وما هو كائن لم ينقطع . فأمّا بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث ، وحمد ، وأمّا بناء ما لم يقع ، فانه قولك أميراً : إذْهَبْ ، واقتُلْ ، واضْرِبْ . ومخبراً : يقتُلْ ، ويذهبْ ، ويضربْ ، ويقتلْ ، ويضربْ . وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن ، اذا أخبرت ، ... ، وأمّا ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل ، فنحو : ثمّ ، وسوّفَ ، وواو القسم ، ولام الإضافة ، ونحو هذا » (١١) .

(٨) الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٧ / ١ ، وأمالٍ الزجاجي ٢٧٨ ، وانظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ .

(٩) لسان العرب (١٢١) .

(١٠) الكتاب ٢/١ وانظر المنتخب للبرد ٣/١ ، وكتاب الأصول في النحو ٣٨/١ ، واللمع في العربية لابن جني ٥١ وشرح المفصل لابن يعيش ١٨/١ ، وشرح الكافية للرسي ٦/١ .

(١١) الكتاب ٢/١ .

ولم يكتب النحاة الذين جاؤوا بعد سيبويه باستقراء أنواع الكلم ، بل تجاوزوا ذلك إلى استقراء علامات كل نوع من أنواع تلكم الكلم ، اضعوا بين يدي الدارسين مقاييس وضوابط يستطيعون بها التفريق بين تلك الأنواع . وقد دعاهم ذلك إلى تتبع كلام العرب في مظانته المختلفة ، ورصد سمات كل نوع من أنواعه ، فوضعوا ضوابط في غاية السداد ، يرت للدارسين معرفة كل صنف من أصناف المفردات العربية ، فرسموا للاسم علامات تميزه عن قسيميه : الفعل والحرف ، وتبعوا علامات الفعل التي تفرق بينه وبين الاسم والحرف ، وحصروا علامة الحرف بكرنه لا يقبل أية علامة من علامات الأسماء أو الأفعال (١٢) .

وإن تتبع النحاة علامات الاسم يمثل جانباً واضحاً في عملهم القائم على الاستقراء . وإذا كان ابن مالك قد حصرها في ألفيته بخمس علامات حين قال :

بالجر والتنوين والندا وأل ومسنَد الاسم تمييز حصل (١٣)

فإنما أراد أن يشير بذلك إلى أهم تلك العلامات ، فقد تتبع غيره من النحاة هذه العلامات فأوصلها إلى أكثر من ثلاثين علامة ، قال السيوطي :

تبعنا جميع ما ذكره الناس من علامات الاسم ، فوجدناها فوق ثلاثين علامة (١٤) .

وهذا التبع كله قائم على استقراء أوضاع الاسم في الكلام ، ومن ثم الكشف عن سماته ، وما يميزه عن غيره من الكلم ، بعيداً عن التأثر بالمنطق أو غيره من العلوم ، لانه قائم على الرصف والملاحظة .

(١٢) المسع في العربية ٥٤ ، وشرح عدة الحانظ وعدة اللانظ لابن مالك ١٠٦ ، وارشح المسالك لابن هشام ٢٠/١ ومع الهواص السيوطي ٩/١ .

(١٣) شرح ابن عقيل .

(١٤) الأشباه والنظائر في النحو ٤/٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وقد أدرك النحاة قيمة الاستقراء ، وهم يسجلون ضوابط اللغة وقواعدها ،  
فنصوا عليه ، وجعلوه دليلاً قاطعاً على إثبات تلك القواعد والضوابط .  
وخير مثال على ذلك ، ما أورده السيوطي ، وهو يتحدث عن أدلة النحاة  
التي عولوا عليها في حصرهم أنواع الكلم بالاسم والفعل والحرف ، فذكر :  
أن الاستقراء من أئمة النحاة واللغة كأبي عمرو والخليل وسيبويه ومن جاء  
بعدهم ؛ قد دلّ على أن كلام العرب منحصر في هذه الأنواع  
الثلاثة (١٥) .

ولا يخدش هذا الاستقراء زعم من زعم أن الكلم العربي يقسم أربعة  
أقسام : اسم وفعل وحرف وخالفة ، ويعني بالخالفة اسم الفعل . وقد نسب  
هذا التقسيم إلى نحوي مغرور ، لم تررد له كتب النحو إلا هذا الرأي ،  
وهو أبو جعفر أحمد بن صابر (١٦) ، وليس له ترجمة ذات بال ، فيما  
وصل إلينا من كتب التراجم (١٧) .

والنحاة لم يغفلوا هذا النوع من الكلم الذي سماه ابن صابر بالخالفة ،  
بل تنبهوا له ، ولكنهم اختلفوا فيه ، فعده البصريون ضمن الأسماء (١٨) ،  
وأدرجه الكوفيون ضمن الأفعال (١٩) ، واكتل منهم حجته التي عول عليها  
في ذلك .

(١٥) الأشياء والفظائر في النحو ٢/٢ ، ومع الهوامع ٤/١ .

(١٦) الأشياء والفظائر في النحو ٢/٢ ، ومع الهوامع ١٠٥/٢ ، وساشية الصبان ٢٣/١ .

(١٧) بنية الوعاة ٣١١/١ .

(١٨) الكتاب ١/١٢٢ ، ١٢٣ ، وكتاب الأصول في النحو ١/١٦٧ .

(١٩) التصريح على التوضيح ٢/١٩٥ وانظر مدرسة الكوفة قمخزومي ٣٠٨ وأقسام الكلام

العربي للدكتور فاضل الساتي ٩٣ .

## الاستقراء في النحو

وذهب باحث معاصر إلى وضع تقسيم جديد لأنواع الكلم العربيّ فجعلها سبعة أقسام ، هي :

- ١ - الاسم ، ٢ - الفعل ، ٣ - الصفة ، ٤ - المخالفة ، ٥ - الضمير ،
- ٦ - الظرف ، ٧ - الأداة (٢٠) .

وكان غرض هذا الباحث نقض استقراء النحاة لأنواع الكلم العربيّ ، وقد حاكى في ذلك مذهب بعض الباحثين المحدثين ، ممن تأثروا بالدراسات اللغوية الغربية (٢١) . ومهما كانت حجته مقبولة أو غير مقبولة ، فإنه لن يستطيع هو أو غيره أن يمحو من أذهان الدارسين التقسيم الثلاثيّ للكلم العربيّ ، الذي وضعه النحاة منذ النشأة الأولى للدراسات النحوية ، لأنه تقسيم سديد ، حصر فيه النحاة جميع المفردات العربية في إطار ذلك التقسيم .

وإن المصطلحات التي وردت في تقسيم هذا الباحث ، لم يغفل عنها علماء العربية ، فقد تنبهوا لها منذ البداية الأولى للبحث النحوي ، ونصوا عليها في كتبهم ، واكتنهم أدركوا منذ الرحلة الأولى أن هناك علاقة وثيقة بين كثير من هذه الأقسام . فالصفة والضمير والظرف ، إنما هي أنداط مختلفة الاسم ، فهي لا تخرج عن نطاقه ومضمونه ، فالضمير مثلاً كناية عن متكلم أو مخاطب (٢١) أو غائب (٢٢) ، وكلٌّ من المتكلم والمخاطب والغائب اسم ، وقد جيء بهذه الكنايات ايجازاً واختصاراً ، ودفعاً للتكرار ، ورفعاً للائتياس (٢٣) ، فقولنا مثلاً : جاء محمد فأكرمه ، وردت فيه

(٢٠) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ٢٦ .

(٢١) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ٢٦ .

(٢٢) شرح المقدمة المحسبة لابن بابشاذ ١٤٢/١ .

(٢٣) شرح الكافية ٣/٢ ، والمرتجل لابن الغشاب ٢٧٨ - ٢٧٩ ، وكتاب المقصد في شرح

الايضاح ١٢٠/٢ - ١٢١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

كنايتان ، الأولى : ( التاء ) وهي كناية عن التكلم ، والمتكلم ذات ، والذات اسم ، والكناية الثانية : هي ( الهاء ) ، وقد جاءت كناية عن ( محمد ) المذكور دفماً للتكرار ، ورفماً للالتباس الذي قد يحصل من الاشتراك العائق في الأعلام ، إذ لو قلنا : « جاء محمد فأكرمت محمداً » ، يحتمل أن يكون المقصود بمحمد الثاني غير محمد الأول ، بسبب الاشتراك الوارد في الأعلام ، فلما عبرنا بالضمير كناية عنه ، زال ذلك اللبس ( ٢٤ ) ، ولما كان ( محمد ) اسماً بلا خلاف ، فكل ما كُنِّيَ به عنه اسم مثله ( ٥٥ ) ، وهذا يسري على جميع الضمائر في صورها المختلفة .

والصفة اسم ، لأنها تدل على معنى غير مرتبط بزمن محصل ، ويسوغ أن تدخل عليها علامات الاسم ، مثل الجر والتنوين وأل ، وتضاف إلى غيرها كما تضاف الأسماء .

وكذلك الظرف اسم ، لأنه يدل على معنى غير مرتبط بزمن محصل ، ويقبل علامات الاسم ، ومنها ما يتصرف في الكلام تصرف الأسماء ، مثل : يوم وستة وحين ( ٢٦ ) .

والنحاة القدامى حينما صفوا المفردات العربية إلى ثلاثة أقسام : اسم وفعل وحرف ، نظروا إليها من جهتين ، جهة تتعلق باللفظ ، وجهة تتعلق بالمعنى ، وكانوا كثيراً ما يغلبون اللفظ على المعنى في تقسيمهم المفردات العربية ( ٢٧ ) ، فربما اشتركت كلمتان في الدلالة على معنى واحد ، وكنههم يدرجون إحدى هاتين الكلمتين في الأفعال ، ويدرجون الأخرى في الحروف

( ٢٤ ) المرتجل في شرح الجبل ، لابن الخشاب ، ٢٧٨ .

( ٢٥ ) المسائل المنكريات ٧٣ ، وكتاب المتعبد في شرح الإيضاح ٩٢٢/٢ .

( ٢٦ ) المرجز في النحو لابن السراج ٣٦ ، والمرتجل في شرح الجبل ، ١٥٨ ، والتسهيل لابن مالك ٩١ .

( ٢٧ ) شرح الكافية للرشي ٦٦/٢ .

لسبب يتعلق باللفظ (٢٨) . فمثلا كلّ من ( ليس ) و ( ما ) تفيضان نفي الحال (٢٩) ، والنفي فيهما يتسلط على خبر الجملة الاسمية ، ولكنهم جعلوا ( ما ) ضمن الحروف ، وجعلوا (ليس) ضمن الأفعال . والذي دعاهم إلى هذا التفريق أمر يتعلق باللفظ ، فقد وجدوا ( ليس ) قد أشبهت الأفعال في قبولها علامات لا تتصل إلاّ بالأفعال ، مثل : ضمائر الرفع المتصلة (٣٠) . أما لفظه (ما) فقد وجدوها لا تقبل أيّ علامة من علامات الأفعال أو الأسماء ، ومن هنا حكم جمهور النحاة على ( ليس ) بأنها فعل ، وعلى ( ما ) بأنها حرف . والذي جعلهم يصدرون هذا الحكم أمر قائم على استقراء علامات الفعل ، وهذه العلامات جعلها متعلقة باللفظ (٣١) . ولولا هذا الفرق في اللفظ بين ( ليس ) و ( ما ) ، لو وضعوا ( ليس ) في الحروف لأنها أشبهت ( ما ) من جهة المعنى ، فهي تفيدي نفي خبر الجملة الاسمية . كما أنّ ( ما ) تفيدي ذلك (٣٢) ، والأصل في النفي أن يكون بالحروف ، لأنه معنى من المعاني التي تعبر عنها العرب بالحروف (٣٣) ، مثل : النهي والايجاب والتمني والترجي والعرش والتحفيز ، والتعبير عن هذه المعاني إنما جاء في العربية بالحروف ، ومن هنا سموا هذه الحروف «حروف المعاني» (٣٤) . ومما يقوي هذا أن ( ليس ) قد جاءت قليلاً في بعض كلام العرب في معنى ( ما ) ، فدخلت على الجملة الفعلية التي كان حقها أن تنفي بالحرف ( ما ) ،

(٢٨) الفوائد الفيائية لجامي ١١٢/٢ .

(٢٩) أسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٤٢ ، وكتاب الخلل في اصلاح الخلل

من كتاب الجمل لابن السيد البطليوسي ١٦٢ .

(٣٠) المرتجل ١٢٦ ، ومع المواع ١٠/١ .

(٣١) أسرار العربية ١١ ، والمرتجل ١٥ - ٢٠ .

(٣٢) أسرار العربية ١٤٢ ومع المواع ١٠/١ .

(٣٣) شرح الكافية لرضي ٢٩/٢ ، والمرتجل ٢٣ .

(٣٤) الايضاح في حلل النحو ٥٤ ، والاشياء والتظائر في النحو ١٠/٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

قال سيويه : « وقد زعموا أنّ بعضهم يجعل ( ليس ) كـ ( ما ) ، وذلك قليل ، لا يكاد يُعرف ، فقد يجوز أن يكون منه : ليس خلق الله مثله أشعر منه ، وليس قالها زيد » ( ٣٥ ) .

وربما اختلف النحاة في تحديد نوع المفرد العربيّ ، فذهب فريق منهم إلى أنه فعل ، وذهب فريق آخر إلى أنه اسم ، وكانوا كثيراً ما يعتمدون على الاستقراء في اثبات صحة رأيهم ، فقد اختلفوا مثلاً في تحديد نوع كل من ( نعم ) و ( بش ) ، فذهب البصريون إلى أنهما : فعلان ، وذهب الكوفيون إلى أنهما : اسمان ، وكان دليل كلّ منهم في ذلك هو استقراؤهم العلامات التي تميز الفعل والاسم ، والتي ثبت اتصالها بهذين اللفظين ، فقد وجد الكوفيون حرف الجر قد دخل على هذين اللفظين ، إذ جاء في بعض كلام العرب أنهم قالوا : « نعم السير على بش العير » ( ٣٧ ) ، ونقل عن أحدهم أنه قال : « ما هي بنعم الولد » ، وذلك بعد ما بُشّر بمولود أنثى ( ٣٨ ) ، فلو كانت ( نعم ) و ( بش ) فعلين ، لما صح دخول حرف الجر عليهما ( ٣٩ ) ، فقد ثبت بالاستقراء أنها لا تلحق إلاّ على الأسماء .

ولم ينكر البصريون رواية مثل هذه الأقوال التي ورد فيها حرف الجر داخلاً على ( نعم ) و ( بش ) ، إلاّ أنهم لم يعتمدوها في تقرير اسمية هذين اللفظين ، وذلك لأنهم وجدوا بانتبغ والاستقراء أن حرف الجر قد دخل على لفظ لم يختلف أحد في فعليته ، وذلك اللفظ هو : ( نام ) في قول الشاعر :

والله ما لي لي بنامٍ صاحبُهُ ولا مخالطٍ الليانِ جانبه\* ( ٤٠ )

( ٣٥ ) الكتاب ٧٣/١

( ٣٦ ) أسرار العربية ٩٦ ، وشرح الكافية لرضي ٣١٢/٢ وضع الهوامع ٨٤/٢ .

( ٣٧ ) شرح جبل الزجاجي لابن عصفور ٥٩٨/١ .

( ٣٨ ) شرح جبل الزجاجي لابن عصفور وشرح المفصل ١٢٨/٧ .

( ٣٩ ) الإنصاف في مسائل الخلاف ٩٧/١ .

( ٤٠ ) أسرار العربية ٩٩ ، وشرح الجبل لابن عصفور ٥٩٩/١ .

وإذا كان الكوفيون يقولون باسمية ( نعم وبشس ) للدخول حرف الجر عليهما ، فالقياس يقضي عليهم بأن يقولوا أيضاً باسمية ( نام ) للدخول حرف الجر عليها ، وأنتى لم أن يقولوا ذلك ، وكلُّ المقاييس اللغوية تقرر فعلية هذا للفظ ؟ ومن هنا تكون حجة الكوفيين ساقطة ؛ لأنها اعتمدت على استقراء ناقص . أمّا البصريون ، فقد استدلوا على فعلية هذين اللفظين بدخول تاء التأنيث الساكنة عليهما (٤١) ، في مثل قولنا : « نعمت الفتاة هند » ، و « بثت الخصلة الكذب » . وقد ثبت بالاستقراء أن هذه التاء لا تدخل على الأسماء ، وإنما تدخل على الأفعال المسندة الى مؤنث (٤٢) .

وأما تفسير دخول حروف الجر على هذه الأفعال ، فهو أن هذه الحروف لم تدخل عليها في الحقيقة ، وإن جاءت متصلة بالفاظها (٤٣) ، فهي في حقيقة الأمر وأصله داخلة على أسماء جاءت هذه الأفعال أوصافاً لها ، فلما حُدِّفَتْ تلك الأسماء ، دخلت حروف الجر على هذه الأفعال (٤٤) ، والعرب قد تحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه ، وهذا ثابت بالاستقراء ، وعليه جاء قوله تعالى « أن تعمل سابقات وقدّر في السرد » (٤٤) . والمعنى ان عمل دروعاً سابقات ، فتحذف الموصوف ، واقامت الصفة مقامه . وعلى هذا يكون الأصل في : « نعم السير على بشس العير » هو : « نعم السير على عيرٍ مقول فيها : بشس العير » ، والأصل في : « البلي بنام صاحبه »

(٤١) الانصاف في مسائل الخلاف ١٠٤/١ وشرح المقدمة المحبة ٢٨٢/٢ وشرح الكافية لرضي ٣١٢/٢

(٤٢) الفوائد النسيانية للجامي ٢٣٠/٢ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/٧

(٤٣) اسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٠١

(٤٣) شرح الجمل لابن مسعود ٥٩٩/١ .

(٤٤) سبأ / ١١ ، وانظر امراء القرآن لمنعاس ٦٥٨/٢ وكتاب اسرار العربية لأبي البركات الانباري ١٠٠ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

هو : « ما ليلي بليلٍ نامَ صاحبه » (٤٥) ، فلما حذف الاسم الموصوف ، دخل حرف الجر على لفظ الفعل (٤٦) .

ورُبَّ قائلٍ يقول : إن بعضاً مما استقراه النحاة ، قد جاء في كلام العرب ما يتقضه ، فمثلاً جعل النحاة أداة التعريف ( أل ) علامة خاصة بالأسماء ، ومعنى هذا أنه لا يجوز أن تدخل هذه العلامة على غير الاسماء ، ولكن ما جاء في كلام العرب قد يتقضى قولهم هذا ، فقد وردت ( أل ) داخلة على الفعل في قول الفرزدق :

ما أنت بالحكم الترضى حكومتُهُ

ولا الأصيل ولا ذي الرأي والمجدل (٤٧)

فقد أدخل الشاعر ( أل ) على الفعل ( ترضى ) ، وظاهر هذا أنه يخدش في استقراء النحاة علامات الاسم .

والنحاة لم يغفلوا ذلك ، ولهذا نص كثير منهم عند تعرضهم للأداة ( أل ) في علامات الاسم على أن المقصود بها ( أل ) التي تفيد التعريف (٤٨) ، وهناك من النحاة من لم ينص على ( أل ) في علامات الاسم ، واستعاض عن ذلك بالنص على التعريف على أنه علامة من علامات الأسماء (٤٩) ، إذ لا يُعرَّفُ غيره (٥٠) . وهناك من النحاة من نصوا على حرف التعريف على أنه علامة من علامات الاسم ، ولم يصريحوا بذكر ( أل ) ، ومن فعل ذلك الزمخشري في المفصل (٥١) .

(٤٥) شرح الجمل لابن عصفور ١/٤٩٩ والانصاف في سائل الخلاف ١/١١٣ .

(٤٦) كتاب أسرار العربية ١٠١ .

(٤٧) خزائن الأدب للبغدادي ١/١٤٤ .

(٤٨) كتاب الأصول في النحو ١/٣٩ ، وشرح الكافية للرضي ١/١٣ .

(٤٩) شرح عمدة الحافظ وعدة الألفاظ لابن مالك ٩٦ - ٩٧ .

(٥٠) شرح المفصل لابن يعيش ١/٢٥ .

(٥١) انظر شرح المفصل لابن يعيش ١/٢٤ .

وأما (أل) التي جاءت متصلة بالفعل (تُرَضَى) في قول الفرزدق ، فهي (أل) الموصولة ، ولم يكتسب منها الفعل أي تعريف ، وتختلف من حيث الوظيفة النحوية عن (أل) التي تدخل على الأسماء النكرات ، لنتاها من التنكير إلى التعريف . وعلى هذا يلم استقراء النحاة من أي خدش أو نقض ، لأنهم خصوا (أل) في علامات الأسماء بتلك التي تفيد التعريف (٥٢) .

وقد تتبع النحاة نظائر هذا الفعل مما دخلت عليه (أل) نالوها أنعلا قليلا ، هي : اليجدع ، واليتقصع ، واليتبع ، واليروح ، والينذر ، واليري ، واليتعمل (٥٣) . وإن حصرهم هذه المواضع يشهد لهم بقوة الاستقراء ، والحرص على التبع ، ومن الواضح أن (أل) هنا في معنى الذي (٥٤) ، فكأنهم أرادوا : الذي ترضى حكومته ، والذي يُجدع ، ويتقصع ، ويتبع . و يروح ، وينذر ، ويرى ، ويتعمل (٥٥) .

ومما يسر دخول (أل) على الفعل هنا هو كون الفعل مضارعاً ، وهذا مما يعزز قول النحاة : إن الفعل المضارع فيه شبه بالاسم ، وهذا الشبه هو الذي سوغ لابن مالك أن يجيز دخول (أل) الموصولة على الفعل المضارع قليلاً في غير الضرورة ، ولكن جمهور النحاة لم يجوزوا ذلك ، وعدوا ما ورد منه خاصاً بالشعر ، أباحت الضرورة (٥٧) ، بل ذهب بعضهم الى أنه من من أقيح الضرورات (٥٨) .

(٥٢) كتاب الأصول في النحو ٣٩/١ .

(٥٣) ليس في كلام العرب لابن خالويه ٧٠ ، والمائل المكريات ٧٣ ، وخزانة الأذب

١٤/١ .

(٥٤) كتاب الأصول في النحو ٢٧٥/٢ ، وشرح المفصل ٢٥/١ .

(٥٥) ليس في كلام العرب ٧٠ ، وشرح الكافية للرضي ١٣/١ .

(٥٦) التسهيل ٣٤ ، وشرح عدة الحانظ وعدة الألفظ ٩٩ .

(٥٧) شرح الكافية للرضي ١٣/١ .

(٥٨) المقرب لابن عصفور ٦٠/١ ، ومع الموامع ٨٥/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

ولم تدخل (أل) في كلام العرب على الفعل المضارع في غير الشعر ، كما لم ترد داخلة على غير المضارع في الشعر أو غيره .

لقد بذل النحاة جهداً عظيماً في تتبعهم كلام العرب ، وكان غرضهم حماية العربية ، والسعي الى استقرارها ، ففزعوا الى ضبطها بالقوانين المستقرة من كلام العرب (٥٩) . ولما كان شيوخ اللحن المتمثل في ضعف قدرة الناطقين بالعربية على ضبط أواخر الكلم هو الذي دعاهم الى وضع علم النحو (٦٠) ، رأيتهم يسارعون إلى حصر مجاري أواخر الكلم في ثانيا التراكيب المختلفة ، ولم يكفوا بحصر هذه المجاري ، بل عمدوا الى استقرار أنواعها ، ومعرفة ما هو متغير منها وما هو ثابت . وقد هداهم منهجهم الرصني القائم على التسج والاستقصاء الى أن الكلم العربي يأتي في ثانيا التراكيب على نمطين : نمط ثابت آخره لا يتغير وإن تغيرت وظيفته في التركيب ، ونمط آخر يتغير آخره بتغير وظيفته في التركيب . وسماوا الأول : مبنياً ، والثاني : مُعرباً . ثم عمدوا الى معرفة هذا التغير والثبوت وأنواع كل منهما ، وبنوا مقدمات كتبهم على الكشف عن هذه المسألة ، وكان سببوه في مقدمة النحاة الذين قاموا بهذا الاستقراء ، فوضع باباً في مقدمة سفره العظيم ، تناول فيه مجاري أواخر الكلم ، فقال : « هذا باب مجاري أواخر الكلم من العربية ، وهي تجري على ثمانية مجار ، على النصب والجر والرفع والجزم والفتح والكسر والضم والوقف (٦١) ، وهذه المجاري الثمانية يجمعهن في اللفظ أربعة أضرب ، فالنصب والفتح في اللفظ ضرب واحد ، والجر والكسر ضرب واحد ، وكذلك ثمانية مجارٍ لا فرق بين ما يدخله ضرب من هذه

(٥٩) أنظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٧ .

(٦٠) مراتب التحريين لأبي الطيب المنوي / ٥ ، وانظر إنباء الرواة على أنباء النحاة للنفطي

٤/١ - ٦ ، وطبقات التحريين والنفريين للزبيدي / ١١ ، ٢١ .

(٦١) يعني بالوقف البناء على السكون .

الأربعة لما يُحدثُ فيه العامل ، وليس شيء منها إلاّ وهو يزول عنه ، وبين ما بينى عليه الحرف (٦٢) بناء لا يزول عنه ، (٦٣) .

ونفهم مما أورده سيبويه في هذا الباب أن للاعراب أربع حالات ، هي : الرفع والنصب والجر والجزم ، وأن للبناء أربع حالات أيضاً ، هي : الضم والفتح والسكون والكسر . وهذه الحقيقة النحوية هي حصيلة استقراء عام للكلم العربي في التراكيب المختلفة ، وهي حقيقة ثابتة مستقرة لم يطرأ عليها أيُّ تغيير ، ولم يستطع أحد من العلماء الذين جاؤوا بعد سيبويه أن يستدرك على ذلك شيئاً .

ولقد كانت البحوث المتصلة بالاعراب والبناء مدار الدراسة في كتب النحاة ، وعليها تمّ بناء أبواب الكتب النحوية المختلفة ، وكان للاستقراء أكبر الأثر في استخلاص النتائج التي توصلوا إليها فيما يتعلق بهذه القضية النحوية ، فقد تبعوا مواطن الإعراب والبناء ، وبينوا ما يجيء من الكلم مُعْرَباً ، وما يجيء منه مبنياً .

ولما كان الثابت بالاستقراء أن الغالب في الأسماء هو الاعراب ، قام النحاة بحصر الأسماء المبنية ، فثبت عندهم أنها لا تعلق هذه الأنواع السبعة (٦٤) ، ١ - الضمائر ، ٢ - أسماء الإشارة ، ٣ - الأسماء الموصولة ، ٤ - أسماء الاستنهام ، ٥ - أسماء الشرط ، ٦ - أسماء الأفعال والأصوات ، ٧ - قسم من الظروف ، مثل : إذ ، وإذا ، وحيث ، وأمس ، وقطّ ، وعروض .

(٦٢) يعني بالحرف هنا الكلمة سواء كانت اسماً أم فعلاً أم حرفاً .

(٦٣) الكتاب ٢/١ - ٣ .

(٦٤) شرح الكافية لرضي ٣/٢ - ١٢٦ وأوضح المالك ٢٢/١ - ٢٤ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وتبين لهم عن طريق الاستقراء أن بعضاً من فروع هذه الأنواع يأتي  
 معرباً مثل صيغة الثنية في أسماء الإشارة (٦٥) والأسماء الموصولة (٦٦) ،  
 ومثل ( أي ) شرطية واستفهامية وموصولة (٦٧) إلا في حالة واحدة من  
 حالات أي الموصولة ، تكون فيها مبنية ، وذلك إذا جاءت مضافة لفظاً ،  
 وحذف صدر صلتها (٦٨) ، ومنه قوله تعالى ( ثُمَّ لَتَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ  
 شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ) (٦٩) بضم (أي) ، وهي مفعول  
 به للفعل « نزع » .

وهذا هو الاستقراء الى أن بعض القبائل العربية تُجري بعض الأسماء  
 المبنية عند عامة العرب مجرى الأسماء المعربة ، فمثلاً الاسم الموصول (الذين)  
 مبني عند عامة العرب ، إلا أن هذَّيلاً دون سائر العرب تُعربه إعراباً  
 جمع المذكر السالم (٧٠) ، وعلى هذه اللغة جاء قول الشاعر :  
 نحن الذَّوْنُ صَبَحُوا الصَّبَاحَا  
 يومَ التَّخْيِيلِ غَارَةً مِلْحَاحَا (٧١)  
 وثبت عندهم بالاستقراء أيضاً أن قسماً من الأسماء المعربة قد يطرأ عليه  
 طاري فيبني ، فاذا زال ذلك الطاري أعرب (٧٢) ، وسما هذا النوع من

- (٦٥) أوضح المسالك لابن هشام ٢٣/١ وشرح الأشونمي ٥٥/١ ومع المواع ١٧/١ .  
 (٦٦) أوضح المسالك لابن هشام ٢٤/١ ، ومع المواع ٨٣/١ .  
 (٦٧) الكتاب ٣٩٧/١ - ٣٩٨ ، وشرح المفصل ١٤٥/٣ ، و٢١/٤ ومع المواع ١٦/١ .  
 (٦٨) شرح الكافية لرضي ٥٦/٢ ، الكتاب ٣٩٨/١ ، ومع المواع ٩١/١ .  
 (٦٩) مريم ٦٩ وانظر خلاف الخليل ويونس وسيبويه في توجيه ( أي ) الكتاب ٣٩٧/١ -  
 ٣٩٨ . والأشباه والنظائر للسيوطي ١٦/٢ - ١٧ وكتاب أسرار العربية لأبي البركات  
 الانباري ٣٨٣ .  
 (٧٠) شرح الكافية لرضي ٤٠/٢ ومع المواع ٨٣/١ .  
 (٧١) مع المواع ٨٣/١ ، وانظر الدرر التوامع شوح شواهد مع المواع ٣٦/١ ، ونسب لأبي  
 حرب الأعلم ، وقيل ليل الاخيلية . وغزاة الأدب ٥٠٦/٢ . ونسب البندادي لأبي حرب  
 الأعلم وهو شاعر جاهلي .  
 (٧٢) كتاب شرح المتصد ١٥١/١ .

البناء البناء العارض أو الطارئ (٧٣) . وقد تتبع النحاة هذا النوع من الأسماء ، فحصروها في المنادى المفرد المعرفة ، مثل يا زيد ، ويا رجل (٧٤) ، والظروف المركبة نحو « صباح مساء » و « بَيْنَ بَيْنَ » (٧٥) ، والأعداد المركبة من « أحد عشر » إلى « تسعة عشر » (٧٦) عدا صيغة « اثني عشر » فإنها معربة (٧٧) ، والظروف المقطوعة الإضافة ، مثل : « قبلُ وبعْدُ » ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : ( لِيَلْبَسُوا مِنْ تَلْبَسُوا ) (٧٨) ، وبعض الأسماء المبهمة المقطوعة عن الإضافة ، مثل « غيرِ رَحْسَبِ » (٧٩) ، والأحوال المركبة ، نحو : « شَدَرَ مَدَرَ » و « بَيْتَ بَيْتَ » ، في مثل قولنا : « تَفَرَّقُوا شَدَرَ مَدَرَ » ، و « هو جاري بَيْتَ بَيْتَ » (٨٠) ، واسم ( لا ) النافية للجنس في مثل قولنا : « لا رجل في الدار » (٨١) .

وثبت عندهم بالتبع والاستقراء أيضاً أن بعض الأسماء المعربة إذا أضيف إلى الجملة جاز فيه البناء والإعراب ، مثل « يوم ، وحين » ، وعلى هذا جاء قول الشاعر :

على حين عاتبته المشيب على الصبا قلت : ألما أصح والشيب أزرع (٨٢)

- (٧٣) الجمل لعبدالقاهر الجرجاني ١١ ، والمرنجل ١٠٦ - ١٠٧ .  
 (٧٤) أسرار العربية ٢٢٦ ، والمقتصد في شرح الأيضاح ١٢٧/١ .  
 (٧٥) شرح المنفصل ١١٨/٢ .  
 (٧٦) شرح الكافية ٨٧/٢ .  
 (٧٧) شرح المنفصل ١١٧/٤ وشرح الكافية ٨٨/٢ شرح الجمل ٣٣/٢ .  
 (٧٨) الروم / ٤ وانظر شرح الكافية للرضي ٢٩٢/١ .  
 (٧٩) شرح الكافية ٢٩٢/١ ، ١٠٢/٢ - ١٠٣ .  
 (٨٠) معجم المفاتيح ٢٤٩/١ .  
 (٨١) الكتاب ٣٤٥/١ وشرح المقدمة ٢٧٧/١ ، شرح الجمل ٩٤/٢ .  
 (٨٢) شرح المنفصل لابن يعيش ٩١/١٤ والبيت للثابتة الديباني انظر الكتاب ٣٦٩/١ ومعجم المفاتيح ١١٨/١ شرح الكافية ١٠٦/٢ - ١٠٧ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

فقد جاءت الرواية بفتح نون ( حين ) على البناء ، وبجرها على الإعراب الذي هو الأصل فيها ( ٨٣ ) .

واستقروا الأسماء العربية ، فبين لهم أن قسماً منها يقبل التنوين ، إذا كان مجرداً من ( أل ) والإضافة ، ويجر بالكسرة سواء أكان مضافاً أو محلى بال ، أم كان مجرداً من ( أل ) والإضافة ، وأن قسماً آخر لا يقبل التنوين في اختيار الكلام ، ولا يُجرّ بالكسرة ، ما لم يكن مضافاً ، أو محلى بال ( ٨٤ ) ، وسَمُوا القسم الأول : المنصرف ، وسَمُوا القسم الثاني : المنوع من الصرف ( ٨٥ ) .

وتبين لهم عن طريق الاستقراء أنّ الغالب في الأسماء الصرف ، فقرروا أن الأصل في الأسماء هو الصرف ( ٨٦ ) ، ثمّ طفقوا يتبعون الأسماء المنوعة من الصرف ، فوضعوا لها ضوابط استقروها من كلام العرب ، واستطاعوا أن يحصروا أسباب المنع من الصرف ، وسَمُوا كل سبب علة ، واجتمعت عندهم تسع علل ، وهي : ١ - تعريف العلمية ، ٢ - التأنيث ، ٣ - وزن الفعل ، ٤ - العدل ، ٥ - العجمة ، ٦ - التركيب المزجي ، ٧ - زيادة الألف والنون ، ٨ - الوصفية ، ٩ - صيغة منتهى الجموع ( ٨٧ ) .

وثبت عندهم بالتبج والاستقصاء أن الاسم لا يمنع من الصرف إلا إذا كانت فيه عللان من هذه العلال التسع ، أو فيه علة واحدة تقوم مقام علتين ، وحددوا العلة التي تقوم مقام علتين بألف التأنيث الممدودة أو المقصورة ، وبصيغة منتهى الجموع ( ٨٨ ) ، أما في غير هاتين الحالتين ، فلا يمنع الاسم من

( ٨٣ ) الدور الواحد ١ / ١٨٧ .

( ٨٤ ) أسرار العربية ٣١٣ ، شرح الجمل ٢ / ٢٠٥ الفوائد الضيائية ١ / ٢٥٠ .

( ٨٥ ) شرح المقدمة المحبة ١ / ١٠٧ شرح الجمل لابن عصفور ٢ / ٢٢١ .

( ٨٦ ) أسرار العربية ٣٠٨ وشرح الكافية ١ / ٦١ ، والفوائد الضيائية ١ / ٢٥٠ .

( ٨٧ ) المقصد ٢ / ٩٦٣ .

( ٨٨ ) الفوائد الضيائية لجامي ١ / ٢٠٨ ، و ٢١٣ و أسرار العربية ٣١١ - ٣١٢ .

## الاستقراء في النحو

الصرف إلا إذا اجتمعت فيه علتان من العلل التسع المذكورة ، فمثلاً تعريف العلمية وحده لا يمنع الاسم من الصرف إلا إذا انضمت إليه علة أخرى ، مثل : التأنيث ، أو وزن الفعل ، أو العدل ، أو العجمة ، أو التركيب المزجي ، أو زيادة الألف والنون ( ٨٩ ) ، ولذا صرف مثل « محمد ، وزيد ، وخالد ، وسعيد » ومنع من الصرف مثل : « فاطمة ، وأحمد ، وعمر ، وإبراهيم ، ومعد ، يكرم ، وعثمان » .

وعلى هدى من هذا الاستقراء الذي أجره في الأسماء ، قسمها ثلاثة أقسام ، وهي :

١ - أسماء عربية منصرفة ، وسموا الاسم الذي يقع ضمن هذا النوع بـ ( المتمكن الأمكن ) . وقد ثبت عندهم بالاستقراء أن هذا النوع يضم الجمهرة الكبيرة من الأسماء ، لذا لم يقوموا بحصره أو إحصائه ، وجعلوا له المرتبة الأولى بين الأسماء .

٢ - أسماء عربية غير منصرفة ، وسموا هذا النوع بـ ( المتمكن غير الأمكن ) ، وجعلوا له المرتبة الثانية بين الأسماء . ولما كان هذا النوع من الأسماء يقع تحت الحصر ، قام النحاة بوضع ضوابط له ، استقروها من كلام العرب ، يستطيع أي ناطق بالعربية أن يُلِمَّ بها ، ويجعلها مقياساً يضبط به هذا النوع ، وعقدوا لذلك باب المنوع من الصرف ، أبانوا فيه أسباب المنع من الصرف ، وجاؤوا بأحكام استقرائية في غاية الصدق والسداد .

٣ - أسماء مبنية ، لا يدخلها الإعراب ، ولا التنوين ، وسموا هذا النوع بـ ( غير المتمكن ) ( ٩٠ ) ، ويأتي هذا النمط من الأسماء في المرتبة

( ٨٩ ) شرح المقدمة المحببة ١٠٧/١ .

( ٩٠ ) التمام ١١٣/١ - ١١٧ وشرح الفصل لابن عيش ٥٦/١ - ٥٧ . أوضح المسالك

٢٢/١ ، الكتاب ٣/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

الثالثة ، لأن نسبه في الأسماء قليلة ، إذا ما قيست بالأسماء العربية ، المنصرفه وغير المنصرفه ، ولهذا قام النحاة بحصر هذا النوع ، وعقدوا له ( باب المني ) ، وحصروا فيه أنواع الأسماء المبنية وأحوال بنائها .

إن جميع هذه الأحكام التي تتصل بالأسماء العربية المنصرفه وغير المنصرفه ، وبالأسماء المبنية سواء أكان بناؤها لازماً أم عارضاً ، واجباً أم جائزاً ، قد توصل إليها النحاة عن طريق الاستقراء ، بعيداً عن التأثر بالفلسفة أو المنطق أو العلوم الكلامية الأخرى . وقد جاءت أحكام هذه الأبواب في غاية السداد ، ولم يستطع أحد من الباحثين المحدثين أن يستدرك عليها شيئاً .

وتتبع النحاة مواضع الاسم في الكلام ، فحصروا المواضع التي يرفع فيها ، والمواضع التي ينصب فيها أو يجز . وعقدوا لذلك مختلف الأبواب النحوية ، مثل : باب المبتدأ والخبر ، ونواسح الابتداء . والفاعل ونائب الفاعل ، وأبواب المنصوبات مثل : المنعولات الخمسة ، وباب الاستثناء ، والحال ، والتمييز ، والنداء ، والاستغاثة والتدبة ، والاختصاص والتحذير والإغراء . ثم عرجوا إلى مجرورات الأسماء ، فحصروها في باب الجر بالحروف والجر بالإضافة . ووجدوا أن قسماً من الأسماء يكون تابعاً لغيره في إعرابه ، فعقدوا لذلك باب التوابع . وكان رائدهم في ذلك كاه الاستقراء ، وتتبع كلام العرب في مظاهره المختلفة من قرآن وأحاديث نبوية وأمثال وحكم وشعر ونثر .

وقادوا باستقراء الأفعال : أنواعها ، وأحوالها ، فثبت عندهم أنها تأتي في العربية على ثلاث صيغ ، ومثلوا لهذه الصيغ بـ ( نعل ) ( يفعل ) ( انعل ) ، وسموا الأولى ( الفعل الماضي ) ، والثانية ( الفعل المضارع ) ، أو فعل الحال والاستقبال ) والثالثة ( فعل الأمر ) ( ٩١ ) ، ووجدوا أن الجمهرة الكبيرة من

## الاستقراء في النحو

الأفعال يجري تصرفها على هذه الأمثلة الثلاثة ، فلم يقوموا بحصرها ، وسموها الأفعال المتصرفة (٩٢) ، ووجدوا أن قسماً من هذه الأفعال المتصرفة لا تتصرف تصرفاً تاماً ، بل يأتي تصرفها ناقصاً ، فقاموا بحصرها ، مثل : مازال ، ولأزال ، وما برح وما يبرح ، وما انفك وما ينفك ، وما تئى وما يئى ، ووجدوا أن هناك نوعاً ثالثاً من الأفعال يلزم صنيعه واحدة ، وسموا هذا النوع بالأفعال الجامدة ، وقاموا بحصرها ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : بس ونعم وحيداً ، رعى ، وفعلني التعجب « ما أفعلته وأفعل به » ، وقولم : تبارك الله ، وما ينبغي لك أن تفعل كذا ، وتعلمت ، بمعنى اعلم ، وهلم في لغة بني تميم (٩٣) .

وقاموا باستقراء الأفعال من حيث الاعراب والبناء ، فبين لهم أن قسماً منها معرب ، وقسماً منها مبني ، فالماضي مبني بالاتفاق ، والمضارع معرب بالاتفاق ايضاً ، أما الأمر فقد اختلفوا فيه ، فذهب البصريون الى أنه مبني ، وذهب الكوفيون الى أنه معرب (٩٤) ، ولا أريد أن اعرض لخلافهم هذا ، لأن أداتهم فيه لا تنحصر بالاستقراء فقط . وسأقف عند ما اتفقوا عليه في باب المعرب من الأفعال ، وهو : المضارع ، واعرابه ثابت بالاستقراء ، لأن آخره يتغير بتغير العوامل المؤثرة فيه ، فيأتي مرفوعاً ، نحو : هو يضرب ، ومنصوباً ، نحو : لن يضرب ، ويجزوماً ، نحو : لم يضرب . فتجعل له ثلاثة أوجه من الاختلاف ، كما كان ذلك في الأسماء المعرفة ، نحو : جاءني زيد ، ورأيت زيدا ، ومررت بزيد (٩٥) .

(٩٢) شرح المقدمة المحببة ٢٠٥/١ ومع المواضع ٨٣/٢ .

(٩٣) مع المواضع ٨٣/٢ - ٨٤ ، المتنص ٣٥٥/١ .

(٩٤) الانصاف في مسائل الخلاف ٥٢٤/٢ وأسرار العربية ، وسائل خلافية في النحو

المكبري ١٢٤ .

(٩٥) المتنص ١٠٨/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

والنحاة كلهم مجمعون على إعراب الفعل المضارع (٩٦) ، على اختلاف مذاهبهم وأصقاعهم وعصورهم ، إلا أن باحثاً معاصراً ذهب مذهباً خالف فيه إجماع النحاة ، المستند إلى الاستغناء ، فحكّم على المضارع بأنه مبني . وحصر الإعراب بالأسماء فقال : « أما المعرب : فهو الاسم ، وأما المبني : فهو الفعل بجميع أقسامه » (٩٧) .

وقد شبه هذا الباحث تَغْيِرَ حركات آخر الفعل المضارع بتغير حركات آخر الماضي ، فقال : « وأكبر الظن أن اختلاف أواخر الأفعال المضارعة ... لا يعني إعرابه ، لأن هذه الأوجه المختلفة إنما جاءت لتشير إلى معانٍ غير إعرابية تعاقبت عليه ، وتعاقبُ الحركات على آخر الفعل المضارع كتعاقبها على آخر الفعل الماضي ، فإنه يفتح آخره ، نحو : كتب ، ويضم نحو : كتبوا ، ويسكن نحو : كتبتُ ، ولم يقل أحد من النحاة إنه معرب ، وكتعاقبها في ( حيث ) وأشباهها ، وحيث هذه تبني على الضم والفتح والكسر ، وقد رويت الأوجه الثلاثة كلها ، رواها الكسائي وغيره ، ولم يقل أحد إنها معربة (٩٨) .

وأعتقد أن قياس تغير حركات آخر الفعل المضارع على تغير حركات آخر الماضي ، وآخر الظرف ( حيثُ ) أمر بعيد ، فتغير آخر الظرف ( حيث ) لا يسكن أن يقاس على تغير آخر الفعل المضارع ، فحيث ظرف مبني على الضم هذا هو الذي عليه أكثر كلام العرب ، وقد وردت في القرآن الكريم مبنية على الضم في المواضع التي وردت فيها كلها (٩٩) ، ولم ترد فيها أي قراءة

(٩٦) في النحو العربي نقد وتوجيه ، للدكتور مهدي المخزومي ١٢٩ .

(٩٧) في النحو العربي قواعد وتطبيق للدكتور مهدي المخزومي ٧٩٦ ، وانظر بحثي الموسوم بـ الفعل المضارع صيغه وأعرابه ، المنشور في مجلة آداب التنصيرية الجزء الأول سنة ٩٧٥ - ٩٧٦ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٩٨) في النحو العربي نقد وتوجيه للدكتور مهدي المخزومي ١٣٣ .

(٩٩) المعجم المفهرس ٢٢١ - ٢٢٢ ، وانظر بحثي الموسوم بـ ( الفعل المضارع صيغه وأعرابه =

بالمفتح ، ولكن وردت قراءة واحدة بالكسر ، وذلك في قوله تعالى :  
(سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (١٠٠) ، وقد أجمع النحاة على  
أن فتح ( حيث ) وكسرها ، مسألة تتصل باختلاف لغات العرب ، قال  
السيوطي : « من الظروف المبنية حيث ... وبُنيت على الضم ... ومن العرب  
من بناها على التفتح طلباً للتخفيف ، ومنهم من بناها على الكسر على أصل  
النقاء الساكنين » (١٠١) .

فتغير آخر ( حيث ) إذن مرتبط باختلاف لغات العرب ، فالقبيلة التي  
تضمها غير القبيلة التي تكسرها أو تفتحها ، والقبيلة التي تفتحها غير القبيلة  
التي تكسرها أو تضمها . أما تغير آخر المضارع بتغير العوامل الداخلة عليه ،  
فأمر تشترك فيه عامة العرب ، وليس لغة خاصة بقوم منهم ، وعلى هذا  
يسقط حمل تغير آخر الفعل المضارع على تغير آخر ( حيث ) .

أما قياس تغير حركات آخر الفعل المضارع على تغير حركات آخر  
الماضي ، فأمر في غاية البعد أيضاً ؛ وذلك لأن تغير آخره مرتبط بأمور صوتية ،  
فانصائه مثلاً بواو الجماعة أوجب له الضم ، لينسجم آخره مع الواو (١٠٢) ،  
ولئلا يحدث نقور صوتي يؤدي إلى الثقل في النطق (١٠٣) ، فمثلاً الفعل  
الماضي ( كتب ) مفتوح الآخر ، فإذا اتصلت به واو الجماعة ، أصبح  
( كتبوا ) بضم آخره ، وهو الباء ، ولو لم يحرك آخره بالضم لحدث تنافر  
في الأصوات ، وهذا التنافر يؤدي إلى الثقل ، والعرب تفر من الثقل . أما

« المشور في مجلة آداب المنصيرية العدد الأول سنة ٧٥ - ٧٦ ص ١٤٨ - ١٦٣ .

(١٠٠) انتم / ٤٤ ، وانظر مع المراجع ٢١٢/١ ، والمقتصد ١٣٥/١ .

(١٠١) مع المراجع ٢١٢ / ١ .

(١٠٢) أوضح المسالك ٢٧/١ ، وشرح الأشونسي ٥٨/١ .

(١٠٣) انظر ( الفعل المضارع صينه واعرابه ) مجلة آداب المنصيرية العدد الاول سنة ٧٥-٧٦

الدكتور عدنان محمد سلمان

تسكينه مع ( تاء ) الفاعل ، ونون النسوة ، في « كَتَبْتُ ، وكتبتن » ، فهو أمر يتصل بالأصوات لا بالأعراب ، ولهذا لم يقل أحد من النحاة بإعرابه . وقد تنبهوا الى سبب هذا التغير ، وهو الفرار من توالي الأمثال وتماقب الحركات ( ١٠٤ ) ، فلو بقي الفعل ( كتب ) المتصل بتاء الفاعل أو نون النسوة مفتوح الآخر ، لتعاقبت فيه أربع حركات ، والتعلق بهذه الحركات الأربع المتوالية بسبب ثقلاً ، ولهذا فرت العرب منه ، فسكنت آخر الفعل .

ويتضح لنا مما ذكرنا أن هناك فرقاً كبيراً بين تغير آخر الفعل الماضي وتغير آخر الفعل المضارع . فالأول سببه اتصال آخر الماضي بلواحق يقتضي الانسجام الصوتي وطلب الخفة أن يحدث ذلك التغير . أما تغير آخر المضارع ، فليس سببه اتصاله بلواحق معينة ، وإنما سببه كون المضارع مسبوقاً بأدوات معينة ، ثبت بالاستقراء أن دخولها عليه يوجب هذا التغير ( ١٠٥ ) . ولو رجعنا إلى حدّ النحاة للأعراب ، لوجدناه ينطبق تمام الانطباق على ما يطرأ على آخر المضارع من تغيير ، قال النحاة : « الإعراب لغة » : البيان ، واصطلاحاً : تغيير في أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها ( ١٠٦ ) .

وحكم النحاة على الفعل المضارع بأنه معرب ، حكم قائم على الاستقراء والتبعية ، ويُعدّ هذا الحكم من المبادئ النحوية الأولية التي ترسخت في أذهان الدارسين منذ نشأة الدرس النحوي إلى يومنا هذا ، ولا أرى أية فائدة في نقض مثل هذا الحكم ، باسم تيسير النحو أو تجديده ، أو باسم أيّ شعار آخر ، لأن هذا يؤدي الى اضطراب التعليم ، وزعزعة ثقة الدارسين في كثير من الأحكام النحوية المستقرة في أذهانهم .

( ١٠٤ ) الأشرفي ٥٨/١ ، ورويح المالك ٢٧/١ ، والأشباه وانتظار ١٨/١ .

( ١٠٥ ) الفعل المضارع سينه وامراه ١٥٥ .

( ١٠٦ ) الفوائد الفيائية ١/١٩٠ ، وامرار العربية ١٩ ، وشرح الأشرفي ١٨/١ المنتصد

١/٩٨ ، ١/١٢٠ ، ومسائل خلافية في النحو ١١٠ ، والأشباه وانتظار ٧٣/١ .

وبعد أن ثبت عند النحاة أن المضارع معرب راحوا يتبعون أوجه إعرابه ،  
وهو واضح تلك الأوجه ، فتبين لهم عن طريق الاستقراء أنه يأتي في الكلام  
« رفوعاً أو منصوباً أو مجزوماً » ، وتوصلوا الى أنه إنما ينصب اذا سبقته أدوات  
سواها أدوات نصب المضارع ، ويجزم اذا سبقته أدوات سموها الجوازم ،  
ويرفع اذا لم يسبق بأي من أدوات النصب أو الجزم ( ١٠٧ ) .

والأحكام المتصلة باعراب المضارع أحكام استقرائية قائمة على تتبع  
المحض ، وليس فيها أي خلل ، إلا أن باحثاً معاصراً أراد أن يهدم هذا  
الاستقراء الوصفي ، القائم على تتبع مواقع الفعل المضارع في كلام العرب ،  
ومعرفة عوامل تغير آخره في تلكم المواقع ، فجاء هذا الباحث برأي جديد  
خالف فيه إجماع النحاة البصريين والكوفيين فيما يتعلق باعراب الفعل المضارع ،  
فذهب الى أن المضارع لا ينصب بأدوات النصب ، ولا يجزم بأدوات الجزم ،  
إذ ليس للأدوات في الكلام ما ينسب اليها من عمل أو تأثير ( ١٠٨ ) وفسر  
نصب المضارع وجزوه ورفعه بأنه أثر من آثار تغير دلالة الزمنية ، ويتلخص  
لهذه هذا في أن المضارع يرفع إذا دلَّ على الحال ، وينصب إذا امتحض  
للاستقبال ، ويجزم اذا صرف للماضي ، وهذا واضح في صريح قوله الذي  
جاء فيه أن : « يفعل وما على مثاله يرفع اذا تجرد مما يدل على الماضي أو  
المستقبل ... وينصب اذا اتمرن به ما يخلص به للمستقبل ... ويجزم اذا سبقه  
ما يخلص به للماضي » ( ١٠٩ ) . وقال عند حديثه عن الأفعال الخمسة :  
« واذا لحقت يفعل علامة التثنية ، نحو : يفعلان أو تفعلان ، أو علامة الجمع ،  
نحو : يفعلون وتفعلون ، أو ياء المخاطبة ، نحو : تفعلين ، فان كان للحاضر

( ١٠٧ ) شرح قطر الندى وبل الصدى ٧٨ .

( ١٠٨ ) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٥ .

( ١٠٩ ) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٥ .



إن قواعد اللغة لا توضع بالاستقراء الناقص ، وإن ثبوت قاعدة نحوية لا يمكن أن يركن إليها ، ما لم تكن شاملة لجميع الجزئيات التي تندرج تحتها تلك القاعدة ، وإن الحكم الفاصل في إقرار أي رأي في النحو إنما هو الاستقراء ، فكما كان الرأي موافقاً للاستقراء كان مقبولاً ، وكما كان الرأي بعيداً عن الاستقراء كان مرفوضاً وهدوداً .

ولو كان استقراء هذا الباحث صحيحاً لوجب أن تتوفر ثلاث قواعد ، تنحصر فيها أوضاع اعراب المضارع ، وهي :

١ - لا يرتفع المضارع إلا إذا دلّ على الحال . وينبغي على هذا الأمر أن كل فعل مضارع مرفوع فدلالته الزمنية منحصرة بالحال .

٢ - لا ينصب المضارع إلا إذا دلّ على الاستقبال ، وينبغي على هذا الأمر أن كل فعل مضارع دالّ على الاستقبال يجب أن ينصب .

٣ - لا يجزم المضارع إلا إذا دلّ على الماضي ، وينبغي على هذا الأمر أن كل فعل مضارع مجزوم يكون منصرفاً للمضي .

ولعلني لا أعدر الحقيقة إذا قلت : إن استقراء أحوال الفعل المضارع ، وموازنته بدلالته الزمنية في ضوء القواعد الثلاث المذكورة آنفاً يجعلنا نقرر أن ما أصّله لا يرسم صورة صادقة لارتباط تغير آخر الفعل المضارع بتغير دلالاته الزمنية .

أقد مثل هذا الباحث الفاضل لارتفاع الفعل المضارع بقولهم : « الرجلان يذهبان ، والبنتان تذهبان ، وأنتم تذهبون ، وأنت تذهبين » (١١٥) ، وليس في هذه الأمثلة دليل قاطع على أن الفعل المضارع هنا للحاضر فقط ، بل هو محتمل للحاضر والمستقبل ، لأن المضارع إذا تجرد مما يحدد زمنه كان محتملاً

(١١٥) في النحو العربي قواعد وتطبيق ٢٦ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

للحال والاستقبال ، وان كان الحال فيه هو الراجع (١١٦) ، ولا ينصرف للحال إلا بقرينة ، كأن يكون مقترناً بالظرف الآن ، وما في معناه ، كالحين ، والساعة ، أو كان مثنياً بـ ( ليس ) ، أو ( ما ) ، لأن هذين اللفظين موضوعان لنفي الحال (١١٧) .

والأمثلة التي أوردتها الباحثة الفاضلة ليستدل بها على أن المضارع ارتفع لدلالته على الحال ، ليس فيها أي قرينة تصرف الفعل الى الحال ، والفعل فيها يحتمل الحال والاستقبال ، والدليل اذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال . وعلى هدى من هذا نستطيع أن نقرر بكل اطمئنان : أن ارتفاع المضارع لا يرتبط بدلالته على الحال ، وما يقوي رأينا هذا ويعززه أننا نجد المضارع مرفوعاً وهو دالٌّ على غير الحال ، كأن يكون دالاً على الاستقبال أو الماضي ، ودليلنا في ذلك الاستقراء ، فقد ثبت باجماع الكوفيين والبصريين ، والمتقدمين والمتأخرين ، أن حرفي التنفيس (السين) و (سوف) تمحضان المضارع للاستقبال ، لأنهما موضوعان لتخليص المضارع من ضيق الحال إلى سعة الاستقبال ، والفعل المضارع معهما مرفوع باجماع العرب والنحاة ، فلو كان المضارع مرتبلاً بدلالته على الحال لتغيرت حركة آخره بتغير دلالته الزمنية ، وذلك يتمحضه للاستقبال دون الحال .

وربما جاء المضارع دالاً على الماضي ، ولكنه يبقى مرفوعاً ، وذلك إذا دخلت عليه ( قد ) التي تفيد التحقيق ، قال سيويه : « وقد تقع ( تفعل ) في موضع ( فعلاً ) في بعض المواضع » (١١٩) ، ومثل ذلك بقول الشاعر :

(١١٦) مع المواضع ٧/١ .

(١١٧) مع المواضع ٨/١ .

(١١٨) مع المواضع ٨/١ .

(١١٩) الكتاب ٤١٦/١ .

ولقد أمر على اللئيم يَسْبِي فمضيتُ نُمْتُ قلتُ: لا يَعْنِينِي (١٢٠)  
وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة على ذلك منها قوله تعالى: ( قد نَرَى  
تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ) (١٢١) ، وقوله تعالى: ( قد يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ  
عَلَيْهِ ) (١٢٢) ، قال القُرْطُبِيُّ : « ويعلم هنا بمعنى علم » (١٢٣) ، ومثل  
ذلك قوله تعالى: ( قد نَعْلَمُ أَنَّهُ لَيَحْزُنُنكَ الَّذِي يَقُولُونَ ) (١٢٤) :  
قال العُكْبَرِيُّ : « قوله تعالى: ( قد نعلم ) أي: قد علمنا ، فالمستقبل بمعنى  
الماضي » (١٢٥) . والفعل المضارع في هذه المواضع كلها مرفوع ، وهو  
منصرف للماضي ، ومن هنا نقرر بأن رفعه لا علاقة له بالدلالة الزمنية ، فقد  
يرْفَع وهو دال على الحال ، كما يَرْفَع وهو دال على غير الحال من مضي أو  
استقبال .

وأما ربط نصب المضارع بتمحضه للدلالة على الاستقبال ، فأمر في  
غاية الوهن والخطأ . وقد مر بنا الحديث عن رفعه ، وهو دال على الاستقبال ،  
وذلك عند اتصاله بحرفي التنفيس ( السين ) و ( سوف ) ، وهذا وحده  
كاف لتقص ما أصله الباحث الفاضل ، فضلاً عن أننا نجد المضارع خالفاً  
للاستقبال وهو مجزوم ، وذلك إذا دخلت عليه (لام) الطلب ، أو (لا) الناهية ،  
أو أدوات الشرط الجازمة ، والنحاة يجمعون على أن هذه الأدوات تصرف  
المضارع للاستقبال (١٢٦) : ولم نجد أحداً من العرب قد نصب المضارع بعدها .

(١٢٠) الكتاب ٤١٦/١ .

(١٢١) البقرة / ١٤٤ ، وانظر املاء ما من به الرحمن للمكبري ٦٧/١ ، وروح المعاني

للألويسي ٨/٢ .

(١٢٢) النور / ٦٤ .

(١٢٣) الجامع لاحكام القرآن ٣٢٣/١٢ ، والجنى الداني للرازي ٢٧٠ .

(١٢٤) الانعام / ٣٣ .

(١٢٥) املاء ما من به الرحمن ٢٤٠/١ .

(١٢٦) التسهيل ٥ ، وفتح الموانع ٨/١ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وأما جعله جزم المضارع مرتبطاً بانصرافه للمضي فهو متقوض أيضاً ، وقد مر بنا أنه يصرف للمضي مع ( قام ) التحقيقية ، ولكنه يبقى مرفوعاً ، وأنه يصرف للاستقبال مع كثير من الأدوات التي تجزمه مثل : ( لام ) الطلب و ( لا ) الناهية ، وأدوات الشرط ، فهو إذن قد يجزم إذا كان دالاً على المضي ، كما يجزم وهو دالٌّ على الاستقبال ، وقد يرفع وهو منصرف المضي فجزمه ليس مرتبطاً بدلالته على المضي فقط .

ونخلص بعد هذا كله الى أنه لا علاقة لإعراب المضارع بدلالته الزمنية ، وأن استقراء النحاة لمواضع إعراب المضارع استقراء صحيح ، إذ حكموا بأنه ينصب إذا سبق بأدوات معينة ، ويجزم إذا سبق بأدوات أخرى ، استقروها وأحصوها . ويرفع إذا لم يسبق بأي أداة من أدوات النصب أو الجزم .

ولا بد لي من أن أشير هنا إلى حقيقة يتجاهلها كثير من الباحثين المحدثين ، وهم يتحدثون عن نظرية العامل والمعمول في النحو العربي ، وهي أن النحاة القدماء الذين عولوا على مسألة العامل والمعمول في درسهم النحو ، قد تنبهوا إلى أن هذه العوامل ، ومنها أدوات نصب المضارع وجزءه ، ليست هي التي تعمل ، فنصب ، أو تجزم ، أو ترفع ، أو تجر ، وإنما المتكلم هو الذي يفعل ذلك ، وهذا ابن جنى المتوفى ( سنة ٣٩٢ ) ، وهو من رواد تلك المدرسة يقول : « وإنما قال النحويون » « عامل لفظي » ، « و « عامل معنوي » ، ليسرُوك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه ، كررت يزيد ، وليت عمراً قائم ، وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه مرفوع الاسم . هذا ظاهر الأمر ، وعابه صفحة القول . فأمّا في الحقيقة ومحصول الحديث ، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره ، وإنما قالوا :

« لفظي » و « معنوي » لما ظهرت آثار فعل المتكلم بمضامة اللفظ للفظ ،  
أو باشتغال المعنى على اللفظ » ( ١٢٧ ) .

ويتضح لنا من نصّ ابن جنّي أن غرضهم من التأكيد على مسألة العمل  
والعامل والمعمول إنما هو غرض تعليمي محض ( ١٢٨ ) ، ولا يقلل  
من قيمة هذا الغرض «بالغة النحاة المتأخرين في الاعتداد بتلك المسألة وتعمرهم  
فيها ، لأن أصل الفكرة سليم ، وهو قائم على وضع أسس مدروسة مسترة  
من كلام العرب ، يستطيع المتعلم أن يضبط بها أواخر الكلم في التراكيب  
المختلفة ، إذا ما وضحت في ذهنه العوامل اللفظية والمعنوية التي تؤثر في  
الأسماء والأفعال ، فتجلب لها حركات الإعراب المختلفة .

ولم يكتفِ النحاة باستقراء وظيفة الأسماء والأفعال في الكلام ، بل استقروا  
أيضاً الحروف ، فقاموا بإحصائها ، ومعرفة معانيها ، وهو واضح ورودها في  
الكلام ، وربما أفردوا لها كتباً خاصة ، ان فعل الرّماني المتوفى سنة ( ٣٨٤ هـ )  
في كتابه الحروف ، والمروزي المتوفى سنة ( ٤١٥ هـ ) في كتابه ( الأزهية ) ،  
والمرادي المتوفى سنة ( ٧٤٩ هـ ) في كتابه ( الجتنى الداني ) .

ولا يخلو كتاب من كتب النحو من التعرض لهذه الحروف ، فقد تناولوها  
في أبواب شتى ، مثل باب العطف ، والاستفهام ، والجر ، وإعراب الفعل  
المضارع والنواسخ ، والنداء ، والعرض والتحضيض ، ونصوصهم في هذا  
الباب كثيرة ، فمثلاً لما عرضوا لحروف النفي وجدوا أن قسماً منها يدخل  
على الجمل الاسمية ، مثل : لات ، ولا النافية للجنس ، ولا المشبهة بليس ،  
وقسماً آخر يدخل على الجمل الفعلية فقط ، مثل : لم ، ولما ، وان ، وأن  
قسماً ثالثاً يدخل على الجمل الاسمية والفعلية مثل : ما ، وإن ، ووجدوا

( ١٢٧ ) الخصائص ١٠٩/١ - ١١٠ ، ومفتاح العلوم ٢٠٥ .

( ١٢٨ ) انظر مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

عن طريق الاستقراء أن حروف النفي التي تدخل على الأفعال لما ارتباط بالآلة الزمنية للفعل ، ولعل سيويه هو أول من أشار الى ذلك حيث قال : « لن أضربُ نفي لقوله : سأضرب ، كما أن : لا تضربُ ، نفي لقوله : اضربُ ، ولم أضرب نفي : لضربت » (١٢٩) . وقال في موضع آخر : « هذا باب الفعل ، اذا قال : فعل ، فإن نفيه لم يفعل ، واذا قال : قد فعل ، فإن نفيه ، لما يفعلُ ، واذا قال : لقد فعل ، فإن نفيه : ما فعل ، لأنه كأنه قال : والله لقد فعل ، فقال : والله ما فعل ، واذا قال : هو يفعل ، أي : هو في حال فعل ، فإن نفيه : ما يفعل ، واذا قال : هو يفعل ، ولم يكن الفعل واقعاً ، فنفيه : لا يفعل ، واذا قال : ليفعلن ، فنفيه : لا يفعل ، كأنه قال : والله ليفعلن ، قلت : والله لا يفعلُ ، واذا قال : سوف يفعل ، فإن نفيه لن يفعل » (١٣٠) .

وقد أحصى النحاة الحروف التي تنفي الفعل ، فوجدوا أنها ستة أحرف ، هي : لم ، ولما ، وما ، وإن ، ولا ، ولن ؛ وتبين لهم أن هذه تنقسم ثلاثة أقسام ، أحدها : ينفي الماضي ، والثاني : ينفي الحال ، والثالث : ينفي الاستقبال ، قال السيوطي المتوفى سنة (٩١١ هـ) : « حروف النفي ستة ، إثنان لنفي الماضي ، وهما : لم ، ولما ، وإثنان لنفي الحال ، وهما : إن ، وما ، وإثنان لنفي المستقبل ، وهما : لا ، ولن » (١٣١) .

وفي كتاب سيويه وحده نصوص كثيرة تتصل بالحروف والادوات التي تقوم مقامها ، أضع بين يدي البحث نصين منها : أحدهما يتصل بقسم من الحروف المختصة بالأفعال ، ويتصل الآخر بالفرق بين (إن) و (إذا)

(١٢٩) الكتاب ١/٦٨ .

(١٣٠) الكتاب ١/٤٦٠ .

(١٣١) الاشياء والظواهر في النحو ٢/١١٥ ، وقد نقل السيوطي هذا النص عن الاندلسي ( المتوفى سنة ٦٦١ هـ ) صاحب شرح الفصل انظر ترجمته في بنية الرواة ٢/٢٥٠ .

الشرطيتين ، قال في الأول : « هذا باب الحروف التي لا يليها إلاّ الفعل ... فمن تلك الحروف ( قد ) ، لا يفصل بينها وبين الفعل بغيره ، وهو جواب لقوله : ( أفعلّ ؟ ) كما كانت ( ما فعل ) ، جواباً لـ ( هل فعل ) ؟ ، إذا أخبرت أنه لم يقع ، ولما يفعل ، وقد فعل إنما هما لقوم ينتظرون شيئاً ، فمن ثمّ أشبهت ( قد ) ( لما ) ، في أنها لا يفصل بينها وبين الفعل . ومن تلك الحروف أيضاً سوف يفعل ، لأنها بمنزلة السين ، التي في قولك : سيفعل ، وإنما تدخل هذه السين على الأفعال ، وإنما هي إثبات اقترانه : ان يفعل ، ... ومن تلك الحروف ربّما ، ... جعلوا ( ربّ ) مع ( ما ) بمنزلة كلمة واحدة هيئوها ليذكر بعدها الفعل ، لأنه لم يكن لهم سبيل الى : ربّ يقول ... فالحقوها ما ، ... ومثل ذلك : هلاّ ، ولا ، وآلآ ، الزمونهن ( لا ) وجعلوا كل واحدة مع ( لا ) بمنزلة حرف واحد ، وأخلصوهن للفعل حيث دخل فيهن معنى التحضيض » ( ١٣٢ ) .

وقال في النص الثاني : « ( إذا ) تجيء وقتاً معلوماً ، ألا ترى أنك لو قلت : آتيك إذا احمرّ البُسْرُ ، كان حسناً ، واوقات : آتيك إن احمرّ البُسْرُ ، كان قبيحاً . فإنّ أبدأ مبهمّة » ( ١٣٣ ) وعلى هدى من نصّ سيويه هذا قرر النحاة أنّ ( إذا ) تأتي للأمر المقطوع به ، وأنّ ( إنّ ) تأتي للأمر المظنون والمتوقع ( ١٣٤ ) .

وهناك أمر يتصل بالحروف شغل النحاة أنفسهم به كثيراً ، وهو معرفة الأثر الاعرابي لهذه الحروف ، فيما بعدها من أسماء وأفعال . فقد تتبعوا ذلك وجازوا بأحكام نحوية سديدة قائمة على الاستقراء ، فبين لهم مثلاً أنّ الحروف

( ١٣٢ ) الكتاب ٤٥٨/١ - ٤٥٩ .

( ١٣٣ ) الكتاب ٤٣٢/١ .

( ١٣٤ ) المنتجب ٥٦/٢ ، والفوائد الضيائية ٢٥٦/٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

تقسم قسمين ، حروف عاملة ، وحروف غير عاملة (١٣٥) ، ووجدوا بالتبع والاستقراء أن الحروف غير العاملة لا تختص بأحد القبيلين ، الأسماء والأفعال ، بل تكون مشتركة ، فتدخل على كل منهما ، فمثلاً حرف الاستهزام ( هل يدخل على الأفعال ، نحو : هل أتى زيد ؟ ، ويدخل على الأسماء ، نحو : هل أخوك منطلق ؟ ولكنه لا يؤثر في أي منهما (١٣٧) .

ووجدوا بالاستقراء أن الحروف العاملة تكون مختصة بأحد النوعين : الأسماء والأفعال ، وأن الحروف التي تعمل في الأسماء لا تعمل في الأفعال ، وأن الحروف التي تعمل في الأفعال لا تعمل في الأسماء ، فمثلاً حروف الجر عملها خاص بالأسماء ، وهي لا تعمل في الأفعال شيئاً ، وحروف الجزم ينحصر عملها في الأفعال وهي لا تعمل في الأسماء شيئاً ، قال سيوييه : « واعلم أن حروف الجزم لا تجزم إلا الأفعال ، ولا يكون الجزم إلا في هذه الأفعال المضارعة للأسماء ، كما أن الجر لا يكون إلا في الأسماء ، والجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء ، فليس للاسم في الجزم نصيب ، وليس للفعل في الجر نصيب » (١٣٨) .

وإذا كان النحاة قد قرروا أنه لا يعمل من الحروف إلا الحروف المختصة فانهم لم يقصدوا أن كل حرف مختص يجب أن يكون عاملاً بالضرورة ، لأنهم تنبهوا إلى أن هناك حروفاً مختصة ولكنها لا تكون عاملة ، فمثلاً أداة التعريف (أل) حرف مختص بالأسماء ، ولكنه غير عامل فيها شيئاً (١٣٩) ، وأداة التحضيض (هتلا) حرف مختص بالأفعال ، ولكنه غير عامل فيها شيئاً (١٤٠) .

(١٣٥) المرتجل في شرح الجمل ٢٤ . كتاب الأصول في النحو ١/٥٩ .

(١٣٧) سر صناعة الاعراب ١/١٤٥ ، والمرتجل ٢٤ . الكتاب ١/٤٠٩ .

(١٣٩) كتاب الأصول في النحو ١/٦٠ ، وسر صناعة الاعراب ١/١٤٥ .

(١٤٠) الكتاب ١/٤٥٩ .

وما استقراء النحاة مما يتصل بالحروف عمل واسع ومتشعب ، ولم يكن غرضي أن أعرض لذلك كله ، بل كان غرضي هو أن ألتقط منه نماذج أضعتها بين يدي الباحثين المعاصرين لأبين لهم أن النحاة قد أفادوا من المنهج الاستقرائي الوصفي إيساً إفادة ، وأنهم أسدوا للعربية في ذلك فضلاً كبيراً ، إذ قدّموا لنا دراسة قيّمة ، ستبقى منار الكل من يريد أن يفهم قوانين العربية وأحكامها .

★ ★ ★

وإذا كان النحاة قد شغلوا أنفسهم باستقراء أحوال الكلم في التراكيب وما يطرأ على المفردات من إعراب وبناء حتى سموا النحو : « إعراباً » (١٤١) ، فإن ذلك لم يحلّ دون تتبعهم المعاني المختلفة التي تتظمها التراكيب ، ولم يحل كذلك دون استقراءهم أساليب الكلام ، فجاءت كتبهم حافلة في دراسة موضوعات تتصل بتلك المعاني والأساليب ، مثل : الأعراف والنهي ، والائبات والنفي ، والاستفهام ، والخبر ، والطلب ، والدعاء ، والنداء والاستثناء ، والحصر ، والتوكيد ، والتقسيم ، والتخصيص ، والعرض ، والاعراض ، والتحذير ، والاختصاص ، والمدح ، والذم ، والتعجب ، والشرط ، والجزاء ، والحذف ، والذكر ، والتقديم ، والتأخير ، والايجاز ، والانساع .

وأعتقد أن النحويين كانوا أسبق من علماء البلاغة في استقراء تلك المعاني الأساليب ، بل هم الذين مهدوا لهم سبيل ذلك ، ولا أريد هنا أن أضع بين يدي البحث جميع ما قدّمه النحاة في هذا الباب ، بل سأكتفي بعرض نماذج من ذلك ، أستقيها من كتاب سيويه الذي يعد رائد هذا النوع من الدراسة .

فقد تحدث مثلاً عن التقديم والتأخير في باب الفاعل والمفعول به ، فذكر أن الأصل هو تقديم الفاعل ، نحو : قولك : ضرب عبدالله زيداً ، « وإن قدمت المفعول وأخرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول ،

الدكتور عدنان محمد سلمان

وذلك قولك : ضرب زيداً عبدُ الله ، لأنك إنما أردت به مؤخرأ ما أردت به مقدماً .. فمن ثمَّ كان حد اللفظ فيه أن يكون الفاعل مقدماً ، وهو عربيّ جيد كثير ، كأنهم انما يقسمون الذي بيانه أعنى ، وإن كانا جميعاً يهمنهم ويعنيانهم » (١٤٢) .

وفي باب الأمر والنهي ذكر أن هذين الأسلوبين إنما هما خاصان بالأفعال ، وشبههما بالاستفهام ، إلا أن صلة الأمر والنهي بالفعل أقوى من صلة حروف الاستفهام به ، فقال : « ... الأمر والنهي إنما هما بالفعل ، كما أن حروف الاستفهام بالفعل أولى ، وكان الأصل فيها أن يُبدأ بالفعل قبل الاسم ، فكلا الأمر والنهي ، لأنهما لا يتعان إلاّ بالفعل ، مظهرأ أو مضمرأ ، وهما أقوى في هذا من الاستفهام ، لأن حروف الاستفهام قد تستعمل وليس بعدها إلاّ الأسماء ، كقولك : أزيدُ أخوك ، رمتي زيد منطلق ، وهل عمرو وظريف . والأمر والنهي لا يكرنان إلاّ بفعل ، وذلك قولك : زيداً اضربه ، وعمراً أمر به ، ... وقد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم ، وذلك قولك : عبدُ الله اضربه ، ابتدأت عبد الله ، ورفعته بالابتداء ، ونهيت المخاطب له ليعرفه باسمه ، ثم بنيت الفعل عليه ، كما فعلت ذلك في الخير » (١٤٣) .

وتحدث سيويه عن الدعاء فقال : « واعلم أن الدعاء بمتزلة الأمر والنهي ، وإنما قيل دعاء ، لأنه استعظم أن يقال : أمر ونهي ، وذلك قولك : اللهم زيداً فاغفر ذنبه » (١٤٤) .

وتحدث عن الاتّساع والاختصار والايجاز في مواضع متفرقة من الكتاب ، منها قوله : « وما جاء على اتّساع الكلام والاختصار قوله تعالى

(١٤١) الايضاح في علل النحر للزجاجي ٩١ .

(١٤٢) الكتاب ١٤/١ - ١٥ .

(١٤٣) الكتاب ٦٩/١ .

(١٤٤) الكتاب ٧١/١ .

( واسأل القرية التي كنا فيها ، والعرير التي أقبلنا فيها ) ( ١٤٥ ) ، إنما يريد : أهل القرية ، فاختصر ... ومثله : ( بل مكر الليل والنهار ) ( ١٤٦ ) ، وإنما المعنى : بل مكرهم في الليل والنهار ، وقال تعالى : ( واكنن البر من آمن بالله ) ( ١٤٧ ) ، إنما هو : واكنن البر من آمن بالله ، ومثله في الاتساع قوله عز وجل : ( ومثل الذين كفروا كمثل الذي يَسْتَحِقُّ بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ) ( ١٤٨ ) ، فلم يشبهوا بما ينعق ، وإنما شبهوا بالمنعوق به ، وإنما المعنى : مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذي لا يسمع ، واكنه جاء على سعة الكلام والايجاز اعلم المخاطب بالمعنى ، ومثل ذلك من كلامهم : بنو فلان يطؤون الطريق ، وإنما يطؤون أهل الطريق ( ١٤٩ ) . وأعتقد أن في هذه النصوص دليلاً كافياً على عظيم اهتمام النحاة باستقراء معاني الكلام واماليه وأنهم لم يشغلوا أنفسهم بالشكل بل اهتموا به كما اهتموا بالمضمون والمعنى .

والم يكتف النحاة باستقراء اوضاع المفردات العربية في التراكيب ، وما يطرأ عليها من تغيير يتصل بإعرابها أو بنائها ، بل قاموا أيضاً باستقراء الجملة في العربية ، وكيف يتألف الكلام ، وعلام يعتمد ؟ وماذا ينبغي أن يتوفر في التركيب ليكون كلاماً ؟ فدلهم الاستقراء والتبعية الى ان الكلام هو التركيب الذي يحسن السكرت عايه ( ١٥٠ ) ، المشتمل على فائدة يقدمها المتكلم بين يدي المخاطب ، فليس كل تركيب يعد كلاماً ، فشرط الكلام أن تتوفر فيه الفائدة ( ١٥١ ) ، ويعد سيبويه أول من تنبه الى

( ١٤٥ ) يوسف / ٨٢ .

( ١٤٦ ) سبأ / ٣٣ .

( ١٤٧ ) البقرة / ١٧٧ .

( ١٤٨ ) البقرة / ١٧١ .

( ١٤٩ ) الكتاب / ١ - ١٠٨ - ١٠٩ .

( ١٥٠ ) الفوائد الضيائية ١٧٥/١ والمرتجل في شرح الجمل ٣٤٠ .

( ١٥١ ) المنتصد في شرح الايضاح ٩٣/١ ، ومغني اليب عن كتب الأعراب ٤٢/٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

هذه المسألة ، حيث قال : « واذا قلت كان رجل يذاهباً ، فليس في هذا شيء تُعلمُهُ كان جهله [ يعني المخاطب ] ، ولو قلت : كان رجل من آل فلان فارساً ، حَسُنَ لأنه قد يحتاج الى أن تعلمه أن ذلك في آل فلان ، وقد يجهله ، وار قلت : كان رجل في قوم فارساً ، لم يحسُنْ ؛ لأنه لا يستكر أن يكون في الدنيا فارس ، وأن يكون من قوم » (١٥٢) .

وتوصل النحاة عن طريق الاستقراء الى أن الكلام لا بُدَّ أن يبنى من ركنين هما المسند والمسند اليه ، وأن المسند اليه لا يكون الا اسماً . أما المسند ، فقد يكون اسماً ، وقد يكون غير اسم . قال سيبويه : « هذا باب المسند والمسند اليه ، وهما ما لا يستغني واحد منهما عن الآخر ولا يجده المتكلم منه بُدْءاً ، فمن ذلك : الاسم المبتدأ والمبني عليه ، وهو قولك : عبدالله أخوك ، وهذا أخوك ، ومثل ذلك قولك : يذهب زيد ، فلا بد للفعل من الاسم ، كما لم يكن للاسم الأول بُدْءاً من الآخر في الابتداء » (١٥٣) .

وثبت عند النحاة بالاستقراء أن الاسم لا يمكن أن تخلو منه الجملة ، أما الفعل فقد يُستغني عنه في الكلام (١٥٤) . وذلك أن الاسم قد يبنى منه ومن اسم آخر تركيب يؤلف كلاماً ، ولا يشترط في هذا التركيب أن يضم فعلاً ، نحو : « هذا أخوك » ، أما الفعل فلا يؤلف منه كلام إلا إذا أسند إلى اسم ، إذ لا يمكن أن يسند الفعل إلى فعل آخر (١٥٥) ، ومن هنا قرر النحاة أن الفعل لا يخاو من اسم مرفوع مسند إليه . قال سيبويه : « الفعل لا بُدَّ له من فاعل » (١٥٦) ، وقال في موضع آخر : « لا يخاو الفعل من مضمير أو مظهر مرفوع من الأسماء » (١٥٧) .

(١٥٣) الكتاب ٧/١ .

(١٥٢) الكتاب ٢٦/١ - ٢٧ .

(١٥٤) الكتاب ٦/١ .

(١٥٥) كتاب المختص في شرح الايضاح ٩٥/١ ، والمرتبج ٢١ والفوائد الضيائية ١٨٨/١ .

(١٥٧) الكتاب ٤١/١ .

(١٥٦) الكتاب ٤٠/١ .

واستقرى النحاة بعد سيبويه أنماط التراكيب التي تأتلف فتكون كلاماً تاماً ، وكان أبو علي الفارسي المتوفى سنة (٣٧٧ هـ) من أقدم الذين تعرضوا لذلك ، فقد قال في الإيضاح : « فالاسم يأتلف مع الاسم ، فيكون كلاماً مفيداً كقولنا : عمرو أخوك ، وبشر صاحبك ، ويأتلف الفعل مع الاسم فيكون كذلك ، كقولنا : كتب عبدالله ، وسرَّ بكرٌ ، ومن ذلك : زيد في الدار ، ويدخل الحرف على كل واحد من الجملتين فيكون كلاماً كقولنا : إنَّ عمراً أخوك ، وما بشر صاحبك وهل كتب عبدالله ، وما سرَّ بكر ، ولعلَّ زيداً في الدار ، وما عدما ما ذكر مما يمكن إيتلافه من هذه الكلم فمطرحٌ إلا الحرف مع الاسم في النداء (١٥٨) ، نحو : يا زيد ، ويا عبدالله ، فإن الحرف والاسم قد يأتلف منهما كلاماً مفيداً في النداء » (١٥٩) .

ويعني أبو علي بالتراكيب المطرحة هذه التراكيب الثلاثة : « الفعل مع الفعل ، والفعل مع الحرف ، والحرف مع الحرف » (١٦٠) ، فهذه الأنماط من التراكيب لم يأت منها شيء في العربية ، وذلك ثابت بالاستقراء . وهذا الذي ذكره أبو علي الفارسي يمثل أقل ما يمكن أن يأتلف منه الكلام ، وهو استقراء سليم وصادق (١٦١) .

وقد توسع النحاة المتأخرون في تتبعهم أنماط التراكيب التي يأتلف منها الكلام ، ويأتي ابن هشام المتوفى سنة (٧٦١ هـ) في مقدمة هؤلاء النحاة ، فقد ذكر أن صور تأليف الكلام ست : « وذلك لأنه يتألف من اسمين ، نحو :

- (١٥٨) جمهور النحاة ومنهم أبو علي يدعون إلى أن النداء جملة فعلية اسمية فلها انظر الكتاب ١٤٧/١ ، والمسائل المسكيات لأبي علي ٨٧ ، ومع الهوامع ١٧١/١ .  
 (١٥٩) الإيضاح القسدي ٩ وانظر المتصدي في شرح الإيضاح ٩٤/١ .  
 (١٦٠) المرتجل في شرح الجمل ٥٧ والمتصدي في شرح الإيضاح ٩٤/١ ، والفوائد الضيائية ١٧٧/١ .  
 (١٦١) شرح قطر الندى وبطل الصدى ٤٥ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

زيد قائم ، أو من فعل واسم ، نحو : قام زيد ، وضرب زيد ، أو من جملتين ، وذلك في باب الشرط والجزاء ، نحو : إن قام زيد قمت ، وباب القسم وجوابه ، نحو : أحلف بالله لزيد قائم . أو من فعل واسمين ، نحو : كان زيد قائماً ، أو من فعل وثلاثة أسماء ، نحو : علمت زيدا فاضلاً ، أو من فعل وأربعة أسماء ، نحو : علمت زيدا عمراً فاضلاً » (١٦٢) .

وهذا الذي ذكره ابن هشام إنما يخص الجمل الصغيرة التي يكون فيها المسند مفرداً ، اسماً أو فعلاً ، ولا يشمل الجمل التي يكون فيها المسند جملة ، وهي التراكيب التي يبنى فيها الكلام على اسم مبتدأ ، ثم يؤول بخبره جملة اسمية ، نحو : « زيد أبوه قائم » ، أو جملة فعلية ، نحو : « زيد يقوم » أو « زيد يقوم أبوه » ، وسمى ابن هشام هذا النوع من التراكيب « الجمل الكبرى » (١٦٣) ، لأنها تحتوي على إسنادين .

وللنحاة مباحث كثيرة تتصل بالجملة قائمة على الاستقراء ، فقد قسموا الجمل الى جمل اسمية وجمل فعلية ، وتتبعوا نواسخ الجمل الاسمية ، وتحدثوا عن الجمل التي لها عمل من الإعراب والجمل التي لا عمل لها من الإعراب ، وثبت عندهم بالاستقراء أن الجمل التي لها عمل من الإعراب لا بد أن يكون فيها رابط يربطها بما قبلها ، فتبعوا رابط جملة الخبر بالمبتدأ ، وربط جملة النعت بالمنعوت ، وربط جملة الحال بصاحبه ، قال ابن الخشاب ( المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ) : « وأعلم أن هذه الجمل التي وقعت موقع المفردات ، فحكم لها بإعرابها في الموضع ، لا تعرى من ذكر يرجع الى المذكور الذي كان ذلك المفرد الذي ثابت هذه الجملة منابه تابعاً له ، وثانياً ، كخبر المبتدأ ، فمثلاً في قولك : « زيد أبوه خارج ، فاطاء في قولك ( أبوه ) هي

(١٦٢) شرح قطر الندى وبل الصدى ٤٤ .

(١٦٣) مفتي الكليب عن كتب الأعراب ٤٥/٢ .

الذكر العائد . ولو قلت : زيد عمرو منطلق ، لم يجز ، لتعري الجملة من الذكر ، (١٦٤) .

وثبت عندهم بالاستقراء أن جملة الخبر قد تكون نفس المبتدأ في المعنى وعندئذ لا تحتاج الى رابط يربطها بالمبتدأ (١٦٥) ، نحو قولنا : ونظفني الله حسي ، لأن المراد بالنطق المنطوق به (١٦٦) ، وهو الخبر (الله حسي) .

وتبين لهم بالاستقراء أيضاً أن رابط الجملة الحالية إما أن يكون ضميراً عائداً على صاحب الحال . وإما أن يكون واواً سموها ( واو الحال ) ، وقد يجمع بين الواو والضمير في جملة الحال (١٦٧) ، نحو : خرج زيد وتحتة فرس جواد ، والواو هنا ليست لازمة ، إذ تستطيع أن تقول : خرج زيد تحتة فرس جواد ، فيكون الذكر العائد على صاحب الحال هو الضمير الهاء في جملة الحال « تحتة فرس جواد » . ولكن إذا خلت جملة الحال من ذكر يرجع الى صاحب الحال عندئذ تكون الواو لازمة لربط جملة الحال بجملة صاحب الحال ، نحو : « خرج زيد وعمرو قائم » . ولا يصح أن تسقط الواو من مثل هذا الكلام لخلو الجملة الثانية « عمرو قائم » من أي رابط يربطها بالجملة السابقة (١٦٨) ، والأصل في الكلام أن يكون آخره مرتبطاً بأوله .

والرابط لا يختص بالجملة التي لها محل من الإعراب ، بل قد يشترط وجوده في بعض الجمل التي لا محل لها من الإعراب ، مثل جملة الصلة ، إذ لا بد لها من أن تحتوي على ضمير يعود على الاسم الموصول ، وهذا الضمير

(١٦٤) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .

(١٦٥) المنتجب ١٢٨/٤ ، والمقرب لابن عصفور ٨٣/١ .

(١٦٦) أرواح المسائل الى ألفية ابن مالك ١٣٩/١ .

(١٦٧) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .

(١٦٨) المرتجل في شرح الجمل ٣٤٣ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

هو الرابط الذي يربط جملة الصلة بالاسم الموصول ، والأصل في هذا الضمير أن يكون مذكوراً ، ولكن قد يحذف (١٦٩) ، وعلى هذا جاء قوله تعالى : (فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) (١٧٠) ، أي : فاقض ما أنت قاض به .

وحذف الرابط ليس منحصراً في جملة الصلة ، فقد يقع في جملة الصفة ، وعلى هذا فر قوله تعالى : ( وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ) (١٧١) ، ومعناها : لا تجزي نفس فيه عن نفس شيئاً . وقد يقع حذف الضمير الرابط في جملة الخبر أيضاً ، نحو قولهم : « السَّمْنُ مَتَّوَانٌ يَدْرَهُمْ » ، أي « مَتَّوَانٌ مِنْهُ يَدْرَهُمْ » (١٧٢) .

إن هذه المباحث المتصلة بالجملة وما يتعلق بها كلها قائمة على الاستقراء وحده ، وليس للعلوم الكلامية أي أثر فيها ، والأحكام التي أوردتها النحاة في هذا الباب كلها أحكام صادقة وسديدة وشاملة ، ولا أظن أن هناك من الباحثين المعاصرين من يستطيع أن يستدرك عليهم فيها شيئاً .

لقد كان استقراء كلام العرب همّ النحاة ، واستطاعوا عن ذلك الطريق أن يثروا المكتبة العربية بذلك التراث الضخم من المؤلفات التي سطروا فيها قواعد العربية وأحكامها ، وكانت كل طبقة منهم تكمل عمل الطبقة السابقة لما ، فجاء استقراؤهم كلام العرب مكماً بعضه بعضاً . فاذا فات أحد النحاة شيء ما ، نرى نحويّاً آخر أو أكثر من نحويّ يستدركون عليه ما فات ، والنّاظر في كتب النحو كثيراً ما يرى أن بعض النحاة يستدرك على بعض آخر ، إذ من المتعذر على أيّ عالم أن يتروعب اللغة كلّها ، ولهذا لم يسلم نحويّ من

(١٦٩) الكتاب ٤٤/١ - ٤٥ .

(١٧٠) طه/٧٢ وانظر اوضح المسالك ال ألفية ابن مالك ١٢٣/١ .

(١٧١) البقرة/٤٨ وانظر الكتاب ١٩٣/١ والبيان في غريب اعراب القرآن ٨٠/١ .

(١٧٢) الفوائد الفيائية ٢٨٣/١ ومع المراجع ٩٦/١ - ٩٧ .

الاستدراك عليه وخاصة التحاة المتقدمين ، أمثال : سيويه ، والقرآء ، والمبرد .

ولعل أول استقراء ناقص وردت الإشارة إليه ، هو ذلك الاستقراء الذي أجراه أبو الأسود الدؤلي والمتعلق بالأحرف المشبهة بالفعل ، فقد ذكرت الأخبار أنه لما أراد أن يضع صحيفة في النحو تتبع هذه الأحرف فيما تتبع من مبادئ النحو الأولية ، ثم عرضها على الإمام علي ، رضي الله عنه ، فوجد أنه ذكر خمسة من هذه الأحرف ، وهي : إن ، وأن ، وكأن ، وليت ، ولعل ، وأغفل ذكر ( لكن ) ، فقال له الإمام علي : لِمَ تركتها ؟ فقال له أبو الأسود الدؤلي : لم أحسبها منها . فقال له : إنها منها ، نزلها فيها ( ١٧٣ ) .

ومن التحاة الذين استدرِك عليهم سيويه ، فقد فاته مثلاً أن يذكر آيات ( في أدوات الشرط ، واقتصر في إيرادها ضمن أدوات الاستفهام ( ١٧٤ ) فجاء التحاة من بعده فاستدركوها عليه ، فذكروها في باب الشرط ، قال السيوطي : « ومن لم يحفظ الجزم بها سيويه ، لكن حفظه أصحابه » ( ١٧٥ ) . ولما عرض سيويه لحرف الجر ( من ) ذكر أنها تلخل على المكان ، ولم يذكر أنها تلخل على الزمان ( ١٧٦ ) ، وهذا غريب منه ، فقد جاءت في القرآن الكريم والشعر داخلة عليه ، قال تعالى : ( لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّمْوِيلِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ) ( ١٧٧ ) ، وقال النابغة :

تُخَيِّرُنْ مِنْ أَرْزَامِ يَوْمِ حَلِيمَةٍ      إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرِّبُنْ كُلَّ التَّجَارِبِ ( ١٧٨ )

- 
- ( ١٧٣ ) الأشباه والتناقض في النحو ٧/١ .  
 ( ١٧٤ ) الكتاب ٣١٢/٢ .  
 ( ١٧٥ ) مع المومع ٥٧/٢ .  
 ( ١٧٦ ) الكتاب ٣٠٨/٢ .  
 ( ١٧٧ ) التوبة / ١٠٨ .  
 ( ١٧٨ ) أبي مني القيب عن كتب الاعراب ١٤/٢ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

وقد نص كثير من النحاة غير سيويه على أنها لا تخص بالمكان فقط ، بل تدخل عليه وعلى الزمان (١٧٩) . وهو الصحيح اورودها كثيراً في كلام العرب داخلة على الزمان ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

وفات سيويه أن يذكر النصب بـ (حاشا) على الاستثناء ، فلم يشر إلا إلى الجر بها ، وجاء النحاة من بعده ، فذكروا أنها تجر الاسم بعدها كثيراً ، وتنصبه قليلاً ، وهي في كلا الحالين تفيد الاستثناء . وهي حرف جر إذا جرت الاسم بعدها ، وفعل جامد إذا نصب الاسم بعدها (١٨١) .

وفات الفراء المتوفى سنة (٢٠٧ هـ) أن يذكر لفظة (هن) ضمن الأسماء التي تعرب بالواو رفعاً ، وبالألِف نصباً ، وبالياء جرّاً (١٨٢) ، فاقصر على ذكر هذه الأسماء : « أبوك ، وأخوك وحموك ، وفوك » . فهي عنده خمسة أسماء ، ولم يحفظ في لفظة (هن) إلا الإعراب بالحركات ، فجاء النحاة من بعده ، فذكروا أن هذه الأسماء ستة (١٨٣) ، وجعلوا لفظة (هن) منها ، ومن هنا شاع في كتب المتأخرين مصطلح الأسماء الستة (١٨٤) .

وزعم المبرد المتوفى (٢٨٥ هـ) أنه لم يرد في كلام العرب مثل «لولاي ، ولولاك ، ولولاه» ، وقرّر أنه لا يأتي من الأسماء بعد (لولا) إلا ضمير الرفع المنفصل . مثل «لولا أنتم ، ولولا أنا ، ولولا هو» ، أو اسم ظاهر مرفوع ، مثل : «لولا زيد» (١٨٥) ، واعتمد المبرد في ذلك على ما استقراه

(١٧٩) الفوائد النحوية ٣٢٠/٢ ، والتسهيل ١٤٤ ، ومع المواع ٣٤/٢ .

(١٨٠) الكتاب ٣٥٩/١ .

(١٨١) مفتي اللبيب عن كتب الاعراب ١١٠/١ والتسهيل ١٠٥ .

(١٨٢) شرح الأشونسي ٦٩/١ .

(١٨٣) القح في التريفة ٦٧ .

(١٨٤) أروض المسالك ٢٨/١ ، وشرح الأشونسي ٦٨/١ ، ومع المواع ٣٨/١ .

(١٨٥) الكامل ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ ، وانظر المختص ٧٣/٢ ، و٧٧ .

في القرآن الكريم من استعمال (لولا) . إذ لم يرد فيه مجيء ضمير الجر بعد (لولا) . وما استقراء المبرد في القرآن صحيح ، إذ لم يرد فيه بعد (لولا) ضمير سوى ضمير الرفع المنفصل ، ومنه قوله تعالى : ( لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ) ( ١٨٦ ) ، ولكن عدم ورود شيء من العربية في القرآن الكريم ، لا يعني أبداً أنه غير وارد في غيره من كلام العرب ، فمثلاً لم يرد في القرآن الكريم استعمال (أَيَّان) أداة شرط ، إذ اقتصر استعمالها فيه على الاستفهام ، ومنه قوله تعالى : ( يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ) ( ١٨٧ ) ، فهل يعني هذا أنها لم تستعمل أداة شرط في العربية ؟ والصحيح أنها استعملت ( ١٨٨ ) ، ومنه قول الشاعر :

إذا النعجة العيشاء كانت بقفرة

نأَيَّان ما تعدلُ بها الريحُ تنزِلِ ( ١٨٩ )

ولم يرد في القرآن الكريم استعمال (لَدُنْ) إلا مسبوقه بحرف الجر ( من ) ، ومنه قوله تعالى : ( وَعَلَّمَآهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ) ، ولكن هذا لا يمنع استعمالها مجردة من حرف الجر ( من ) ، فقد جاءت على هذا النمط من الاستعمال في قول القطامي :

صريحُ غنوانٍ راقهنٌ ورُقنه

لَدُنْ شَبَّ حَتَّى شَابَ سَوْدُ الدَّوَابِّ ( ١٩١ )

فاحتجاج المبرد إذن قائم على استقراء ناقص ، لم يشمل أنماط كلام

( ١٨٦ ) سبأ / ٣١ .

( ١٨٧ ) الأعراف / ١٨٧ .

( ١٨٨ ) أرنج المساك / ٣ / ١٨٩ .

( ١٨٩ ) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ ٣٦٣ والبيت في ديوان المذللين برواية مقاربة ٢ / ١٩٤ .

( ١٩٠ ) الكهف / ٦٥ .

( ١٩١ ) شرح الأشونني ٣ / ٢٦٣ .

الدكتور عدنان محمد سلمان

العرب كلها ، بل اقتصر على نمط واحد وهو ما ورد في التزليل ، وما ورد فيه لا يبع استعمال جميع المفردات العربية ، ولا صيغها المختلفة مع أنه بلا ريب ، يعد نموذجاً فريداً لأساليب العربية وصيغها وتراكيبها ، فضلاً عن أنه أوثق نص صيغت ألفاظه بلغة العرب الخالدة . ومن هنا أثبت غير الميرد من النحاة صحة استعمال مثل ( لولاك ، ولولاي ، ولولاه ) ، فجاؤوا بشواهد من كلام العرب تصحح مذهبهم ، ومنها قول يزيد بن أم الحكم :

وكم موطن لولاي طحت كما هوى

بأجرامه من قُلَّةِ التَّيِّبِ مُنْهَوِي (١٩٢)

فاذا كان سيويه والفراء والميرد وغيرهم من النحاة قد فاتهم شيء من كلام العرب ، فأصدروا أحكاماً ناقصة أو غير سديدة ، فإن الله تعالى قد قَيَّضَ للعربية من استطاع أن يكمل ما فات أولئك الأعلام على سعة حفظهم وكثرة تبهمهم ، فجاءت أحكام العربية في غاية السداد والكمال والشمول .

★ ★ ★

ويتضح مما أوردته في ثنايا هذا البحث أن النحاة قد اعتمدوا المنهج الوصفي القائم على الاستقراء ، فبنوا أحكامهم النحوية على ما استخلصوه من ذلك الاستقراء الواسع لمختلف أنماط الكلام العربي ، واستطاعوا أن يضبطوا قوانين النحو العربي وقواعده الكلية والجزئية ، سواء أكان ذلك متعلقاً بمفرداتها أم كان متعلقاً بتراكيبها ، وأنهم استوعبوا نظم العربية ولم يفهم من أحكامها شيء ذو بال . ولم يكن للعلوم الكلامية أي أثر في وضعهم تلكم الأحكام والضوابط والقواعد التي بنوا عليها صرح النحو العربي ، وسيبقى عملهم هذا من الأعمال العظيمة التي تعتز بها الأمة طبقة بعد طبقة . فجزاهم الله عنا وعن العربية خير الجزاء .

(١٩٢) الكتاب ١/٢٨٨ ، وانظر كتاب الأزهية ١٨٠ ، ومغني اللبيب ١/٢١٦ وشرح الأشموني

. ٢٠٦/٢

# كتاب «المذكر والمؤنث»

لأبي حاتم الجستاني

الدكتور طارق عبدعزيم البشايي

كلية بغداد / جامعة الموصل

الرجل :

هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان الجستاني (١) ، (ت ٢٥٥ هـ) البصري الراوية اللغوي (٢) المقرئ المفسر المحدث النحوي (٣) .

أخذ عن طائفة من شيوخ عصره المرهوقين ، وفيهم : أبو زيد الأنصاري ، والأصمعي ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، ويعقوب بن اسحاق الحضرمي ، والاعشى الأوسط . وتلمذ له ابن قتيبة وابن دريد ، وسواهما .

وقد أحصى له عدد من الباحثين ما ترك من آثار ، وكان أوفاهم صنيعاً محقق كتاب ( نعت و افعلت ) حيث انتهت عنده الى ثمانية وأربعين كتاباً (٤) .

الكتاب :

هو أجل كتب أبي حاتم وأخطرها أثراً في الدرس اللغوي ، وأوسع

(١) نسبة الى سبستان في اطراف خراسان ، وهو من قبيلة جشم القرية صليبة لو ولاجور .

(٢) أنه بحثا لكشف هذا الجانب .

(٣) زعم ابن خلكان ( التوفيات ٤٣١/٢ ) أنه لم يكن حادقا في النحو ، وكان اذا اجتمع باللذني تشاكل ابو حنبلو المجلس غشية ان يسأله في النحو . وهذا القول متفق على بما أورده البراني ( اخبار النحويين البصريين ٥٥ ) والنزيدي ( الطبقات ١٠٠ ) من أن له كتاباً في النحو ، وقد عدّه الأول في الطبقة الثانية من النحويين البصريين ، وسلطه الثاني فيهم ، وزعم أنه روى علم سيوريه من الاعشى ، وأنه قرأ الكتاب مرتين ، وكانت تقرأ عليه كتب الاعشى فيردوداً حسناً .

(٤) ينظر : مقدمة ( نعت و افعلت ) ص ٣ فما بعدها .

الدكتور طارق عبد عون الجناين

كتب التذكير والتأنيث الأمّات لمعاصريه .  
ولم يعرف بنسخته النفيسة الفريدة التي لا ثمانية لها في العالم سوى الدكتور نهاد جتين (٥) ، والدكتور رمضان عبدالتراب ، وهي ضمن مجموع رقمه ٢٩٥ تحتفظ به مكتبة (يوسف أغا) بقونية ، وعدد صفحاتها ثمان ومثا صفحة ، في كلّ صفحة ثلاثة عشر سطرًا ، وتوسط كلمات كل سطر سبع كلمات (٦) .

تحقيق نسبة الكتاب :

أجمع اصحاب التراجم والطبقات المتقدمون أنّ لأبي حاتم كتاب «المذكر والمؤنث» لم يشذّ على هذا الإجماع أحد ، وورد في «مجالس العلماء» للزجاجي (٧) أنّ أبا حاتم اجتمع هو والتوزي عند الأخصّ الأوسط ، فقال له التوزي :

ما صنعت في كتاب المذكر والمؤنث ؟ فأجابه أبو حاتم : قد عملت في ذلك شيئاً . ومن ثمة كان العلماء المعاصرون لأبي حاتم يعرفون يقيناً انصرانه الى تصنيف كتاب في التذكير والتأنيث ، وليس من المنطق في شيء أنّ يكون كتاباً يسيراً صغيراً ، كما صار شأن ما صنّفه كثير من اللغويين فيما بعد ، وشأن الرسالة المختصرة المنسوبة إليه خطأ .

وقد أصبح الكتاب حقاً مصدراً خطيراً الأثر في كتابين هما أجلّ الكتب المصنّفة في هذا الميدان هما : كتاب المذكر والمؤنث لأبي بكر بن الأنباري ،

(٥) أطلعتني الدكتور نهاد جتين عليها محققة حين زرته أنا والمدين الدكتور حاتم الضامن في معهد الدراسات الشرقية باستانبول صيف عام ١٩٧٥ ، وأغارني شكوراً مصورة لها ، كانت نشاط هذا البحث ، وآخر سيأتي ، وينظر : مجلة الشرقيات ١/٩٣ - ٩٧ .

(٦) مقدمة مختصر المذكر والمؤنث للفصل بن سلمة ٢٤ ، واغاد الاشارة اليه في كتب تالية ، وهو يتحدث عن تراث العربية في التذكير والتأنيث .

(٧) المجلس ٢١ / ص ٥٠ .

## كتاب المذكر والمؤنث

وكتاب المخصص لابن سيدة ، فقد نقلنا عنه نصوصاً كثيرة (A) ، وجدتها كلها في كتاب أبي حاتم حذو النسخة بالتمذة أحياناً ، وبتغيير طفيف أحياناً أخرى (٩) . لعل مراد ذلك الى أنهما اعتمدا على نسختين أخريين غير النسخة التي بين أيدينا .

أمّا إذا عدنا الى النسخة المخطوطة من الكتاب ، وهي موضوع بحثنا لفحصها فحصاً داخلياً ، فإننا نجد :

١ . أنه كُتِبَ على صفحة العنوان :

« كتاب المذكر والمؤنث تأليف أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني » ، والنسبة واضحة صريحة ، والاسم واضح صريح .

٢ . وأن الكتاب مقابل على أصل ، وقد تمت المقابلة بتاريخ يلي سنة ثلاث مئة وأظنها سنة ست وثمانين على أبعد احتمال ، فقد ورد في ختام الورقة الأخيرة عبارة كان واضحاً منها :

« تمت المقابلة في ربيع الآخر من سنة وثلاثماية » .

وقد وجدت في الصفحة الأخيرة من كتاب سابق من المجموع ، بالخط الذي كتبت به هذه العبارة ما يأتي :

« وفرغت من قراءتي هذا الكتاب علي أبي الحسين علي بن أحمد بن محمد

(A) الذي اراه ان صاحب المخصص قد نقل ما نقله من كتاب ابي حاتم عن طريق كتاب ابن الانباري ، لسائل الذي يصل احيانا الى حد التطابق بين عبارتي ابن الانباري وابن سيدة المنوبين الى ابي حاتم والاختلاف بينهما وبين عبارة ابي حاتم في نسخة كتابه التي بين يدي ، او ان تكون النسخة التي اعتمدها ابن سيدة مشوغة عن نسخة ابن الانباري ينظر على سبيل التمثيل : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، والمخصص ١٧/١١٩ .

(٩) ينظر المذكر والمؤنث وهواش على سبيل التمثيل : ص ١٤٣ ، ٢١٤ ، ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ . والمخصص ١٦/١٠٠ ، ١٧/٣٥ ، ٤٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

ابن جعفر بن محمد المهلبّي (١٠) في رجب من سنة أربع وأربعين وثلثمائة ... ، وهذا دليل على وثاقة النسخة من حيث مقابلتها وضبطها وقدها ، ومن حيث خطتها النفيس الواضح الذي يرقى الى القرن الرابع الهجري .

٣ . وأنّ الكتاب برواية أبي الحسن ( لعله الاخفش الصغير علي بن سليمان اذ جاء فيه ما نصه (ق ١٣٦ ب) .

وقال ابو الحسن : انشدنا أبو العباس المبرّد عن الزيّادي عن الأصمعي في تأنيث البعير :

لا تبتغي لبسن البعير وعندنا عرق الزجاجة

ومعلوم أنّ كثيراً من رواة الكتب يقحمون فيها شيئاً من أقوالهم أو من رواياتهم وهو ما فعله الاخفش نفسه في روايته لمراد أبي زيد ، وكامل المبرّد .

٤ . وقد ذكر أبو حاتم أخذه عن أبي زيد الأنصاري (١١) ، والأصمعي (١٢) والأخفش الأوسط (١٣) ، وأبي عبيدة معمر بن المنثي (١٤) ، وتفنق الكتب التي ترجمت لأبي حاتم ، أو ترجمت لهم على اتصاله بهم .

أمّا كتاب « المذكر والمؤنث » المنسوب الى أبي حاتم ، وقد نشره أستاذنا الدكتور ابراهيم السامرائي في مجلة « رسالة الاسلام » العددين ٧ ، ٨ ، ثم نشرته الدكتورة ابتسام مرهون الصفتار في مجلة « البلاغ » .

(١٠) تنزيل مصر ، كان أديباً لغوياً نحوياً ، روى عنه المصريون واكثروا ، وتناشوا في خطه والرواية عنه ( الإنباء ٢/ ٢٢٢ ) .

(١١) المذكر والمؤنث ١١٦ ' ١١٨ ' ١٢٢ ' ١٢٩ ' ١٢٩ ' ١٤٠ ' ١٤٦ ' ١٤٨ ' ١٤٩ ' ١٥٢ ' ١٥٦ ' ١٥٨ ' ١٦٢ ' ١٦٣ ' ١٦٦ ' ١٦٧ ' ١٦٨ ' ١٧٥ ' ١٧٧ ' ١٨٠ ' ١٨١ ' ١٨٥ .

(١٢) ١١٧ ' ١٣٦ ' ١٤٠ ' ١٥٢ ' ١٥٣ ' ١٥٤ ' ١٥٥ ' ١٥٩ ' ١٦٠ ' ١٦٨ ' ١٦٩ ' ١٧١ ' ١٧٤ ' ١٧٥ ' ١٧٨ ' ١٨٥ .

(١٣) ١٥٧ ' ١٧٩ .

(١٤) ١٧٨ .

كتاب المذكر والمؤنث

أقول : أما هذا الكتاب ، فإن الشكّ يخترم نسبه إلى أبي حاتم السجستانيّ لما يأتي :

١ . لم يذكر من ترجم له أنّ له كتاباً مختصراً في التذكير والتأنيث بإزاء كتابه « المذكر والمؤنث » .

٢ . وأنّ ما كتب على صفحة العنوان هو « كتاب التذكير والتأنيث للعلاءة أبي حاتم رحمه الله تعالى ونفعنا بركاته آمين . هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستانيّ رحمه الله ، ونفعنا بركاته . آمين . » وعلى هذا العنوان كلّه ملاحظ :

٣ . أنّ العنوان هو ( كتاب التذكير والتأنيث ) لا المذكر والمؤنث وتسمية الرسالة المحققة باسم ( المذكر والمؤنث ) تصرف بالعنوان غير مباح .

ب . لم يعرف المترجمون ولا غيرهم لأبي حاتم لقباً هو ( شمس الدين ) ولم يكن اسمه محمداً ، بل هو سهل بن محمد .

ج . أنّ العبارة برمتها هي عبارة المتأخرين .

٣ . وحين نعود الى النصّ المنشور ، ووصف مخطوطته - على ما ذكر المحققان - وعلى اللوحين المنشورين منه ، نجده غفلاً من اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، كما أنّ ناسخه قد أمعن في العناية بإخراجه منسوخاً بخط الثلث الجليّ ، وهو خطأ يتأخر كثيراً عن تاريخ نسخ مخطوطة ( المذكر والمؤنث ) التي ندرسها .

ويبي البسامة في مطلع الرسالة عبارة : ( اختصار التذكير والتأنيث ) وهذه العبارة مختلفة عن عنوان الغلاف ، وعن العنوان الذي وضعه المحققان .

وبعد ، أفهذا النصّ : هو مختصر لكتاب أبي حاتم ( المذكر والمؤنث ) ؟ من اختصره ؟ أم هو كتاب آخر له أو لغيره ؟

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

حين عدت الى الاختصار والكتاب أوازن بينهما ، وقفت على :

- ١ . اختلاف في ترتيب المواد المذكرة والمؤنة بين الاختصار والكتاب .
  - ٢ . وورود ألفاظ في الاختصار ليس لها ذكر في الكتاب .
  - ٣ . واحتواء الكتاب على الفاظ شتى خلا منها الاختصار .
  - ٤ . وأن الاختصار ليس اختصاراً ، بل هو التقاط هيّن يسير .
- ومن ثمة رجح عندي أن الاختصار ليس لأبي حاتم ، لم يضعه وضعاً منفصلاً ، ولم يجرّده من كتابه ، كما لم يختصره أحد من كتاب أبي حاتم .

ولعلته من وضع شخص لا يعرف من اسمه إلا ( محمد شمس الدين ) فأضاف إليه الناسخ اسم ( أبي حاتم السجستاني ) وهماً أو جهلاً أو ترويحاً له . وعلى هذا ، فإن ما ذكره الدكتور رمضان عبدالوهاب من ( أن منه مختصراً مخطوطاً بدار الكتب ) ، وهو يشير إلى الاختصار ، قول مرسل إرسالاً بلا قرينة ، وهو معتمد على فرض لم يتحقق من صدقه ، إذ إن إشارته إلى وجود مخطوطة كاملة من كتاب « المذكر والمؤث » بقونية (١٥) مستفادة - في تقديري - مما كتبه الدكتور نهاد جتن (١٦) ، ولم يتسنّ له أن يوازن بين الكتابين ، ولووازن إذن أكان له قول آخر .

وقد تحدث الدكتور رمضان بعدد عن الاختصار ، فقال : « وكب تحته : هو محمد شمس الدين أبو حاتم السجستاني ، وهو تحريف عجيب ، صوابه : ( سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني ) » .

وليس الأمر كما ذكر ، وقد بينت السبب واضحاً ، وإذا عرف السبب بطل العجب ، كما يقولون .

(١٥) مقدمته لمختصر المذكر والمؤث للمفضل بن سلمة ص ٢٤ .

(١٦) مجلة الشريقات / المعداد ١/٨٧ - ١١٨ .

مصادره :

تتجدد مصادر أبي خاتم في كتابه :

آ . فيما سمعه هو أو رواه عن العرب .

ب . فيما سمعه أو رواه عن اللغويين البصريين : أبي زيد الأنصاري والأصمعي : والأخفش الاوسط ، وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، ويونس

ابن حبيب ( ١٧ ) .

وكانت روايته عنهم ، سوى يونس ، بقوله : ( سمعت ) و ( سمعت من )

و ( أخبرني ) و ( حدثني ) و ( زعم ) و ( قال ) و ( سألت ) و ( أنشدني )

و ( أنشدنا ) .

وسأذكر فيما يأتي جميع ما أفاده من هؤلاء منسوقاً على الصفحات

محققاً ومعارضاً على النظائر :

أولاً : أبو زيد الأنصاري .

١ . وحدثني أبو زيد الأنصاري أن رؤبة بن العجاج كان يقول

للبيروذون قرب ذلك الدابة : لأن الدابة للذكر والانثى . ( ١٧ )

٢ . واخبرني أبو زيد أن العرب تقول صبي يتيم للذي مات أبوه

وأماً اليتيم من الدواب فالذي مات أمه . ( ١٨ )

٣ . وحدثني أبو زيد الأنصاري أنه سمع من بعض العرب : وكيالات ،

وحريبات وعدلات . ( ١٩ )

( ١٧ ) ١١٦ أ ، في الاصل ( مرد ) موضع ( قرب ) ، تعريف . وفي المان ( ديب ) ٣٥٧/١

أنه ذكر عن رؤبة أنه كان يقول : قرب ذلك الدابة ليرفون له . وذكر أنه يقع على المذكر

والمؤنث وحقيقته الصفة .

( ١٨ ) ١١٨ ب ، وفي المان ( يتيم ) عن ابن السكيت ان اليتيم في الناس من قبل الاب . وفي

اليهائم من قبل الام .

( ١٩ ) ١٢٢ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ١٤٩ : « وقال ابو زيد الأنصاري : سمعت العرب تقول : وكيالات ، لهذا يدل على تركيبة » . وفي المخصص ٣٦/١٧ =

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

- ٤ . « فقالوا : هذا كم ، وهذا كان ضخمان ، وهذه ثلاثة أكثر ، قال ابو زيد الأنصاري : من العرب من يقول لواحدة والجمع بالهاء وكذلك الجبأة للكأمة الحمراء ، يقال : هذا جبؤ ، هذان جبآن وثلاثة اجبؤ ، والجمع الجبأة ، وقالوا للكسي الابيض : هذا فيقّع وثلاثة أفقّع ، وهو الفقعة . قال ابو زيد : وربما قالوا للجمع الفقوع . » (٢٠)
- ٥ . « وقصّ الخاتم مشروح ، وزعم ابو زيد أن الكسر لغة ، وكذلك كان يقول في حجر المرأة انه قد يقال : حجر . » (٢١)
- ٦ . « والعنق مذكر ، وزعم الاصمعي انه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور ، ورغم ابو زيد انه يؤنث ويذكر . » (٢٢) .

« وربما ادخلوا الهاء فأضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بنتي فلان ، وكذلك وكيلة وحرية ووصية ، وسع من العرب وكيلات . فهذا يدل عل وكيلة ... وقال : هي عديلي وعديلتي بدليل ما حكاه ابو زيد من قولهم : عديلات . »

(٢٠) ١٢٩ ب ، ١٣٠ أ ، وفي التكملة لفارسي ٣٥٩ : قال ابو عمر (يعني الجرمي) سمعت يونس يقول : هذا كم ، كما ترى لو احد الكأمة فيذكرونه فاذا ارادوا جسمه قالوا : هذه كأة . قال ابو زيد : قال متنجع : كم واحد ، وكأة فجمع ، وقال ابو خيرة : كأة لواحدة ، وكم فجمع ، فمر وثبة بن العجاج ، فسأله ، فقال : كم وكأة ، كما قال متنجع . وفي اللسان ( كأ ) : وحكى عن ابي زيد ان الكأة تكون واحدة وجما . وفي الصحاح : تقول هذا كم ، وهذا كان ، وهؤلاء اكثر ثلاثة . . . وقيل : الكأة هي اثني ال النيرة والسواد ، والجبأة ال الحرة ، والفقعة البيض .

(٢١) ١٢٩ ب ، وفي اللسان ( نحص ٢٣٤/٨ ) : ونص الخاتم نفسه بالفتح والكسر وفيه . (حجره ٢٣٩) : وحجر الانسان وحجره بالفتح والكسر ... يقال : حجر المرأة وحجرها حستها .

(٢٢) ١٤٠ ب ، وفي المفكر والمؤنث لابن الانباري ٢٩٢ : « وقال الجستاني : زعم الاصمعي انه لا يعرف التأنيث في العنق ، وزعم ابو زيد انه يؤنث ويذكر قال الجستاني : والتذكير الغالب عليه . » وفي المفكر والمؤنث لقراء ٧٣ ، انها مؤنثة في قول اهل الحجاز ، وهي كذلك عند ابي موسى الخاض ( ما يذكر ويؤنث من الانسان والحيوان ) ، ويجوز فيه التذكير والتأنيث عند ابن الانباري ٢٩٢ ، وابي البركات في البلغة ٧٢ .

٧ . « وانشدنا ابو زيد لأبي الاخدم التيمي :

مقلصاً بالدرع ذي التفضنِ (٢٣)

٨ . « والفردوس مذكر ، سمعت ابا زيد يذكر ذلك . » (٢٤)

٩ . « والنراع مؤنثة ، وقد ذكره بعضهم ، واللغة الجيدة التأنيث ،

سمعت اللغتين من ابي زيد . » (٢٥)

١٠ . « واما ابو زيد فكان يقول لنا كثيراً : في الجسد اربعة اشياء

تؤنث وتذكر النراع والقفا والعنق واللسان . » (٢٦)

١١ . « وانشد ابو زيد في أحجية معاينة ، وهو يعني الاسنان :

وسرب ملاح قد رأينا وجهه إناث أو انه ذكوراً أو اخره . » (٢٧)

١٢ . ويقال مؤنثان ، فاذا نزعوا حرف التأنيث ذكروا ، فقالوا :

وانشدنا ابو زيد :

(٢٣) ١٤٦ ب ، وذلك هل تذكر الدرع ، وهو لغة تميم ، وثمة خلاف فيما نقله ابن الانباري

٣٥١ ، ٣٥٢ عن الجستاني ، اذ قال : « وقال الجستاني : انشدنا ابو زيد والاصمى

لابي الاخير العماني : وذكر الرجز ، غير ان ابا حاتم نسب ال ابي الاخير في ص ١٢١ ،

والدرع عنده مؤنثة .

(٢٤) أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٧١ : « وقال الجستاني : سمعت ابا زيد

يذكر الفردوس ، ويصح بقولم : الفردوس الأهل . » وهو كذلك عند ابن جني في

المذكر والمؤنث له ١٤ ، ويذكر ويؤنث عند ابن الانباري ٣٧ ، ومعناه البستان ذو الكرم ،

معرب عند أغلب أهل اللغة ، عربي عند الفراء وابن الانباري .

(٢٥) ب ، وفي : ابن الانباري ٣٠٢ : « وحكى الجستاني عن ابي زيد انه قال :

النراع يذكر ويؤنث . »

(٢٦) ١٥٤ أ ، وفي : ابن الانباري ٣٠٨ : « وقال الجستاني : كان ابو زيد يقول

كثيراً : في الجسد اربعة اشياء تذكر وتؤنث : النراع ، واللسان ، والعنق ، والقفا . »

(٢٧) ١٥٤ ب ، وفي المخصص ١٧/١٥ : « قال أبو حاتم : وانشد أبو زيد في أحجية

وزاد : وأراد الأسنان ، لأن أذانيها الشبية والرابعة مؤنثان ، وبقي الأسنان مذكر مثل

الناحية والفرس والناجب .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

- وأشد : يرتجج أياه ارتجاج الوطْبِ ( ٢٨ ) .
- ١٣ . وسعت أبا زيد يقول : سمعت من العرب من يقول : ( لاسلم فاجنح له ) مضموم النون ، وذكّر ، فقال : له ، ولم يقل : لها . ( ٢٩ ) .
- ١٤ . وأما النور من الأنوار فواحد مذكر ، وسعت أبا زيد يقول : تصغير النور جماعة النار : نويرات ، وأنير ، يهوز وغير مهموز ، لانتك تقول : ثلاث أنور فتهميز ولا تهمز . ( ٣٠ ) .
- ١٥ . وهو مثل العناق مؤنثة ، وثلاث اعق ، والعنوق ، وأنشدنا أبو زيد :  
أنشد من أمّ عتوقٍ حَمِيمٍ ( ٣١ ) .
- ١٦ . وبما قالوا للجمع : ضُبِعَ ، مضموم الاول ، أنشدنا أبو زيد عن المفضل :

ياضُبُعاً اكلت آيارَ أحمره      ففي البطونِ وقد راحتُ قراقرُ  
هل غير همزٍ ولمز للصديق ولا      تنكي عتوكم منسكم أظافيرُ  
وأما أبو زيد فأنشدنا : ضُبِعاً ، على لفظ الواحدة .... ( ٣٢ ) .

- ( ٢٨ ) وذهب أبو علي الفارسي في ( التكملة ٢٤٨ ) الى غير هذا اذ جعلها حرفين فاديين لا تلحقهما التاء في الشبية ، وأنشد الرجز بتأنيث الفعل : ترتجج ... وفي نوادر أبي زيد ٣٩٣ على التذكير ، وينظر حواش .
- ( ٢٩ ) ١٥٦ ب ، وفي : ابن الانباري ٣٦١ ، ٣٦٢ عن السجستاني : « سمعت أبا زيد الانصاري يقول : ... ( وان جنحوا للسلم فاجنح له ) فبضم النون ، و( له ) على التذكير ... قال أبو بكر : وضم النون لفة معروفة . »
- ( ٣٠ ) ١٥٨ ب ، ونقل ابن الانباري ٤٠٨ عن أبي زيد : النور جمع النار ، يقال في تصغيرها : نويرات ، والأنور ، يقال في تصغيره : أنير وأنير ، وأنيرود وهذه العبارة أوضح .
- ( ٣١ ) ١٦٢ أ ، ١٦٣ ب ، ونقله ابن الانباري ٣٩٣ عن السجستاني ، وزاد بعده بروايته عنه : سوداء دهساء كلون المظلم .
- والعناق : الأنتى من أولاد المنز ، إذا أنت عليها ستة ( الناج / عتق ) وجسمها على ( عتوق ) فادر : والغالب جسمها على ( أعتق ) .
- ( ٣٢ ) البيتان في : ابن الانباري ٩٣ عند أبي زيد عن المفضل وفي ٩٤ : « قال السجستاني : »

- ١٧ . وهو الصقر مذكر والائى صقرة وأنشدنا أبو زيد :
- والصقرة الأئى تبيض الصقراء : (٣٣) .
- ١٨ . « قال أبو زيد : يقال للبزاة والشواهين ، وغيرها مما يصيد الصقور  
قال العجاج : البازي من الصقور . » (٣٤) .
- ١٩ . « والتليب مذكر ، وثلاثة اقلبة ، وهي القلب ، وقد يؤنث  
القايب ، انشدنا أبو زيد .
- وإن أبى (٣٥) كانت لنا القليب . » (٣٦) .
- ٢٠ . « الصاع مذكر ، وثلاثة اصواع ، وهي الصيغان ، وانشد أبو زيد :
- شريت غلاماً بين حصن ومالك بأصواع تمر إذ خشيت المهالكا (٣٧)
- ٢١ . « السلاح مؤنثة ومذكورة . حدثني بذلك أبو زيد عن العرب » (٣٨) .
- ٢٢ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه ، سألت ابا زيد والاصمعي

- أئنه يانصباً بضم الضاد والباء ، يزيد الجمع وقد أنكر ابن الانباري روايته على الجمع ،  
لأن الرواية على الواحد ، وهو قد يفني عن الجمع .
- (٣٣) ١٦٦ أ ، وفي المذكر والمؤنث لاحد بن فارس ٥٩ ، وابن الانباري ٣٩٣ : « والصقر  
ذكر ، وأثناء صقرة . » واورد الرجز عن أبي زيد ، وبعده : ثم تليق وتخلي الوكرا .
- (٣٤) ١٦٦ أ ، وفي اللسان ( صقر ١٢٦/٦ ) عن ابن سيدة : « والصقر كل شيء يصيد من  
البزاة والشواهين . »
- (٣٥) وست في الأصل : أبا .
- (٣٦) ١٦٧ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٣٥ : « وقال السجستاني : القليب يذكر  
ويؤنث ، ويقال في جمعه : اقلبة ، والكثيرة القلب ، وقال انشدني أبو زيد :
- اني اذا شاربني شريب  
فلي ذنوب وله ذنوب  
وإن أبى كانت له القليب

- فأنت ، وهي لغة . »
- (٣٧) ١٦٧ ب ، وفي المذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٥٧ : « قال السجستاني : أنشدنا  
أبو زيد : ... وذكر البيت
- (٣٨) ١٧١ ، وفي ابن الانباري ٣٤٩ : « سحى الكسائي والفراء وأبو عبيد ويعقوب ان السلاح  
يذكر ويؤنث وقال السجستاني : اخبرني بالذكور والثانيث أبو زيد وغيره . »

الدكتور طارق عبد عون الجنايني

- وغيرهما ممن أدرکنا ، فكلّهم يذكره وينکر الثأيت ( ٣٩ ) .
- ٢٣ . « والعوی ، مقصور ، نجم من النجوم . وحدثنی أبو زيد أنه اسم مقصور . » ( ٤٠ )
- ٢٤ . « وقسا اسم بلد ، مقصور مؤنث ، أخبرني بذلك أبو زيد . » ( ٤١ )
- ٢٥ . « الأرض مؤنثة ... وسمعت أبا زيد يقول في الجمع عن العرب : أراض » . ( ٤٢ )
- ٢٦ . « قال أبو زيد : هذا رداي ، وهذه رداي بالثاء . » ( ٤٣ )
- ٢٧ . « قال أبو زيد : يقال : هو الجرّ ، وهي الجرّة . » ( ٤٤ )

( ٣٩ ) ١٦٨ أ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٣١٤ : « قال الجنايني : هو مذكر ، قال وسألت أبا زيد الأنصاري والاصمعي ... » ، وعن العياشي ( نفسه ٣٢٥ ) أنه يذكر ويؤنث . وفي نوادر أبي سحر ٤٩٢/٢ : « هذه سكين ، وهذا سكين ، وأتوجه الثأيت . » وقال أنفراء ٩٦ : ربما انث . وفي التاج ( سكن ٢٣٨/٨ ) : وربما الحقوا فيها الثاء ، فقالوا : سكينه وفي مجالس العلماء ١٢٩ : أن المازني لا يرى غير التذكير

( ٤٠ ) ١٧٥ أ ، وفي مجالس العلماء ١٩٣ : « قال أبو حاتم : حدثني أبو زيد .... قال : العوا ، مقصور مؤنث . » ، وفي المقصور والمدود للقال ١٠٧ أنها أربعة أنجم تشبه كافاً غير مشقوقة أو القأ مردودة الأسفل . وفي ابن الأنباري ٤٢١ : والعوا مؤنث مقصور ، اسم كوكب . وينظر : المخصص ٨/١٧ .

( ٤١ ) ١٧٥ ب ، وقسا : تيل موضع بالعالية ، وقرية بعصر ، وقارة ببلاد تميم ينظر : معجم البلدان ٤ / ٣٤٤ ، ٣٤٥ . وفي المقصور والمدود للقال ٧ : أن ( قسا ) على ( فعل ) اسم جبل . وفي معجم ما استعجم ٣ / ١٠٧٣ أن المطرزي حكاه في باب المقصور المدود ( قسا ) ، كما ذكره في المصوم المدود . وذكر ابن الأنباري أن ذا الرمة تصرفه وأما ( قسا ) بتضخيف السين ، فهو من بلاد فارس . وسيأتي .

( ٤٢ ) ١٧٢ آ ، وفي المذكر والمؤنث لابن الأنباري ١٨٨ : « قال أبو زيد : سمعت العرب تقول في جمع الأراض : أراض ، وأروض . » وهو عن الإخفش الأكبر أراض كما في الكتاب ١٢ / ١٩٩ .

( ٤٣ ) ١٧٨ ب ، وفي المخصص ١٦ / ١٧٨ : والازار والازارة . ما انتزعت به وهو الرداء والرداءة .

( ٤٤ ) ١٨٠ آ ، وفي المخصص ١٦ / ١٧٩ : وقالوا جر رجيرة .

- ٢٨ . « الأشدُّ يذكر ويؤنث عن أبي زيد ، يقال : هو الأشدُّ » . (٤٥)
- ٢٩ . « وحروف المعجم ، اخبرني الأصمعي وأبو زيد النحوي أنّها تؤنث ، وذلك أكثر ، وتذكر . » (٤٦)
- ثانياً : الأصمعي :
- ١ . « قال لي الأصمعي : انشدني اعرابي من شقّ اليمامة بغير هاء :  
يا جارتا بيني فإنك طالقُ  
فجعله بيتاً غير مصرّع ، وأراد : أنّك قد طلقت . » (٤٧).
- ٢ . « والعنق مذكر ، وزعم الأصمعي أنّه لا يعرف التأنيث فيه ، وذلك الكلام المشهور . » (٤٨)
- ٣ . « وسألت الأصمعي عن قول طفيل :  
إذ هي أحوى من الربيعي حاجبهُ والعينُ بالإمْد الحاربي مكحولُ

- (٤٥) ١٨١ ب وفي المذكر والمؤنث لابن الأنبار ٤٣٥ : « وقال السجستاني قال أبو زيد : الأشدُّ يذكر ويؤنث ، من تولم بلغ الرجل أشده . يقال هو الأشدُّ وهي الأشدُّ . والأشدُّ ، أربعون سنة على مثل الإقوال : قال تمال : « حتى إذا بلغ أشده ، وبلغ أربعين سنة . »
- (٤٦) وفي ( المذكر والمؤنث ) لابن الأنباري ٤٥٠ : « وقال السجستاني : اخبرني أبو زيد والأصمعي أنّ حروف المعجم تذكر وتؤنث ، والتأنيث أكثر وأعرف . » وقال الفراء ١١٠ « ركل شي من حروف أب ت ث يقع عليه المعجم فهو مؤنث وما لم يقع عليه المعجم فهو مذكر . » وقال في ١١١ « وحروف المعجم كلها إناث ولم نسمع في شي منها تذكيراً في الكلام ، وقد يجوز تذكيرها في الشعر .
- (٧) ١١٧ أ ، ب ، وهو صدر بيت للأعشى :

يا جارتا بيني فإنك طالقة كذاك أمور الناس غاد وطلاقة

- وقد وردت ( طالق ) لتأنيث ، لأنها على ( تطلق ) ، وقال الفراء ٥٨ : « وربما أتى بعض هذا بالهاء في الشعر ، وليس ذلك يحسن في الكلام . » وفي ابن الأنباري ١٤٢ : « وقال السجستاني : حدثني الأصمعي ، قال : انشدنيته اعرابي من شقّ اليمامة بغير هاء : بيني وبينك طالق . جمله ... »
- (٤٨) ١٤٠ ب في ابن الأنباري ٢٩٢ : « وقال السجستاني : زعم الأصمعي أنّه لا يعرف التأنيث في العنق . » وفي التكملة لفارسي ٣٩٢ : « والعنق يذكر ويؤنث عن أبي زيد ، وقال الأصمعي : لا أعرف فيه التأنيث . » وينظر الفقرة (٥) فيما كتبت عن أبي زيد .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

فقال : اراد : حاجبه مكحول ، والعين . (٤٩)

٤ . ويقال : عجيزة المرأة ، قال الاصمعي : ولا يقال للرجل ، الا على التشبيه . (٥٠)

٥ . وقال لي الاصمعي : القفا مؤنثة ، ولا يذكرها أحد (٥١) ، فعجبت منه ، وحكى لي عن الهللي قوله :

« هي قفا غادر شر »

ثم انشد مرة اخرى :

« وهل جهات يا قفني التفضله »

قلت : ألا قال : يا قفية (٥٢) ؟ ألم تزعم ان القفا مؤنثة ؟

فقال : دع ذا ، كأنه يقول : الرجز ليس بعقيق ، كأنه من قول

لخائف (٥٣)

(٤٩) ١٥٢ ، وفي ابن الانباري ٢٨٣ : « وقال يعقوب : قال الاصمعي : ذكر ( مكحولا ) ، لان المتى : حاجبه مكحول ، والعين ايضاً . » وينظر : التكملة لفارسي ٢٩٧ فقد نقل عن المازني وغيره عن الاصمعي انه كان يتأوله هل « اذ هي احمى ، حاجبه مكحول ، والعين بالاشد . » وجعل الفراء ٨١ تذكير العين ضرورة ، لان العرب « تجتريه قل تذكير المؤنث إذا لم تكن فيه الهاء . »

(٥٠) ١٥٢ أ ، وفي ابن الأنباري ٢٠٤ : « ويقال : هي عجيزة المرأة ، قال الاصمعي : لا يقال للرجل الا على التشبيه . » ولم يمز النقل الى ابي حاتم .

(٥١) والقفا يذكر ويؤنث عند الفراء ١٠٣ وابن الانباري ٢١٩ وقال : « والتذكير اغلب عليه » : وعند ابي البركات في البلغة ٧٢ ونقل انكار الاصمعي لتذكير . وفي التاج ( قفا ١٠/٢٢٩ ) : وقال ابو حاتم : زعم الاصمعي ان القفا مؤنثة لا تذكر . « ومر أن ابا زيد يميز الوجهين . »

(٥٢) لان التاء تلحق بصنر المؤنث الثلاثي ، الا في الفاظ معدودة ، وعدم لحاق التاء ، هنا ، دليل تذكيرها ، كما زعمنا ، وقد وهم الريلان معا : الاصمعي وابو حاتم ، قد (قفي) ، هنا مرخمة بحذف التاء .

(٥٣) يقصد به خلف الاحمر البصري الراوية .

- او بعض الموالدين . « (٥٤) .
- ٦ . « والضرس مذكر ، وربما أثنوه (٥٥) ، زعموا على معنى السن ،  
وانكر الاصمعي تأنيبه ، فأنشدنا قول دُكينِ الراجز :
- فُتِنت عين وطلنت ضرس  
فقال : إنما هو ( وطن الضرس ) ، فلم يفهمه الذي سمعه ، اخطأ  
سمعه . « (٥٦) .
- ٧ . « الخمر مؤنثة ، وقد يذكرها قوم فصحاء (٥٧) ، سمعت ذلك  
ممن أتق به منهم وكان الخمر المدام من الاسفنت مزوجة بماء زلال (٥٨)  
وكان الاصمعي ينشده بحذف نون (من) في الادراج :
- وكان الخمر المدامة ميل اسفنت (٥٩) مزوجة بماء زلال  
على التأنيث . « (٦٠) .

- (٥٤) ١٥٣ ب ، ١٥٤ أ ، وفي ابن الانبار ٢٩٩ : « وقال الاصمعي : لا اعرف في التقا  
الا التأنيث ، وقال : فجمبت من قوله ، قال : وسلكي عن المذلي في حديث : « هي قفا  
غادر شر » .  
وهو في المتصور والمدود لقالي ٤٥ باختلاف يير والمعنى عليه .
- (٥٥) وقال الفراء ٨٩ : « والاشنان كلها إناث . . . إلا الأنياب والاشراس ، فانها ذكوران .  
وينظر : ابن الانباري ٢١٤ ، واليه ذهب الخامس ٢٦ .
- (٥٦) ١٥٤ ، وفي ابن الانباري ٢١٤ : « وقال الجستاني : ربما اثنوه على معنى السن ،  
قال : وانكر الاصمعي تأنيبه ، قال : فأنشدناه . . . وفي القسان ( ضرس ) ان ابن  
سيده يذكر الضرس ويؤنثه .
- (٥٧) وذهب الفراء ٨٣ الى ان الخمر أنثى ، وربما ذكروها .
- (٥٨) في المذكر والمؤنث الفراء ٨٣ ، وابن الانباري ٣٢٨ : (العتيق) موضع المدام ، قال  
الفراء : وقد ذكرها الاعشى ، فقال (العتيق) ، ثم رجع الى التأنيث ، فقال : مزوجة ،  
وقد تأولها هو وابن الانباري على أن (عتيق) بمعنى (قنيل) أي : معتقة ، لانها من الاوزان  
التي يستوي فيها المذكر والمؤنث .
- (٥٩) في الاصل : مل الاسفنت .
- (٦٠) ١٥٥ ب ، وفي ابن الانباري ٣٢٨ : « وقال الجستاني : الخمر مؤنثة ، وقد يذكرها-

٨ . « حدثني الاصمعي عن يحيى بن يعمر ، قال : ضرب بعض الولاة اعرابيا في شيء استودعه ، أنفأ ، فقال : والله ما هذا الا أتياب في أسفاط . » (٦١)

٩ . « وانشدنا الاصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامية بن ابي ابي الصلت :

مَنْ لَا يَمُتُ عِبْطَةً يَمُتْ هَرَمًا      الموت كأسٌ فالمرء ذائقُها  
قال : لا يقال : للموت كأس ، انما هو الموت كأس ، وقطع الف  
الوصل ، لانها في مبتدأ النصف الثاني ، فاحتمل . » (٦٢)

١٠ . « قال الاصمعي : قال بعض الأعراب : موسى خذمة ، في  
جزور سينمة ، في غداة شبية ، الخذمة : القاطعة ، والسينمة :  
العظيمة السنام ، والشبية : الباردة . » (٦٣)

---

بعض النصفاء ، قال : سمعت ذلك من أئق به منهم ، قال : وكان الأصمعي ينكر  
التذكير ، فأشدته قول الاعشى .... وكان الاصمعي يحذف نون (من) في الادراج ،  
ونلك لغة مشهورة معروفة .

(٦١) ١٥٩ أ ، ينسب القول إل عيسى بن عمر الثقفى ، وقد كان صاحب تعبير في كلامه :

والروائي هو يوسف بن عمر . ويعني : بألف ألف سوط . ينظر معجم الادباء ١٦/١٤٨ .

(٦٢) ب ، وفي ابن الانباري ٤١٣ : « قال السجستاني : لا يقال : للموت كأس انما هو :

الموت كأس : قال : وقطع الف الوصل لانها في مبتدأ النصف الثاني وهذا محتمل . انشدناه

الأصمعي لبعض الخوارج ، وقال : ليس لامية بن ابي الصلت . » وقد وهم ابن الانباري

في النقل مرتين : الاول في نية المقالة ال السجستاني وهي للاصمعي برواية السجستاني ،

والثانية : انه روى ( لكأس ) بفتح اللام عل الابتداء ، وهي عند السجستاني بكسرهما

عل الجر عل معنى الاضافة . وينظر اختلاف الاقوال والتخريج في هامش ابن الانباري

ص ٤١٣ .

(٦٣) ١٦٠ ب ، والقول شامد عل تأنيث موسى ، وفيه تفصيل . ينظر : ابن الانباري ٣٢٧ -

٣٢٩ ، والمختصص ١٧/١٧ ، ١٨ فقد ذكر فيه التأنيث والتذكير ، ونقلنا عن الاموي

افراده بايراد التذكير حسب ، وهي عند الفراء ٨٦ انثى ، وينظر اللسان ( موسى ) .

١١ . « السكين مذكر ، لا اختلاف فيه ، سألت أبا زيد والاصمعي وغيرهما ممن أدركنا فكلمتهم يذكره وينكر التأنيث ، وأنشد الاصمعي للهللي :  
يُرى ناصحاً فيما بدا فإذا خلا      فذلك سكينٌ على الخلقِ حاذقٌ (٦٤)

١٢ . « وأما قولُ رؤبة بن العجاج :

أجزرَ بها (٦٥) أطيّبَ من ربحِ المِسكِ .

فإنه احتاج فحرك السين ... وأما الاصمعي ، فقال : المِسك ، ففتح السين وجعلها جمعاً مؤنثاً كقولاك : سِدرة وسِدر ، وخَيْرِقة وخَيْرِق . (٦٦)

١٣ . « وقال الاصمعي : قال فلان : كان كُثْبِرَ عِزّة كَرِجياً ، يعني أنه كان له حانوت يبيع فيه الخَبِط (٦٧) ، والعلف ، فظنّ أنه هو الكريج . (٦٨)

١٤ . « وأنشدنا الاصمعي لابن احمر :

(٦٤) ١٦٨ ب ، وينظر فقرة (٢١) عن أبي زيد ، وماتش ، وفي ابن الانباري ٣١٤

« قال : وأنشدني الاصمعي للهللي : . . . .

(٦٥) في الاصل : احرها ، تحريف .

(٦٦) ١٦٩ أ ، وفي ابن الانباري ٣٨٥ نقلا عن الجستاني : « وقال في قول رؤبة بن العجاج :

أجزرَ بها اطيّب من ربحِ المِسكِ .

كسر السين اضطرارا . . . قال : وكان الاصمعي يشد بفتح السين : المِسك ويقول :

هي جمع مسكة ، كقولاك : خرقه وخرق ، وقريبة ، وقرب .

وقول الجوهري والصابغاني : انما حركها بالفتح اضطرارا . ( التاج / سك ) ١٧٧/٧ .

(٦٧) الورق الساقط ، تملف به الابل . ( : اللسان / خبط )

(٦٨) ١٦٩ ب ، وفي ابن الانباري ٣٣١ : « وقال الاصمعي : قال فلان الاعرابي : كان

كثير عِزّة كَرِجياً ، وزعم انه كان يبيع الخبيط والنوى والعلف في طريق مكة في حانوت»

والكريج هو البقال ، او الحانوت ، ذكر ذلك الجستاني ، وفي الالفاظ الفارسية المعربة

لدهي شير ١٢٤ : القريج : الحانوت مربب كربة .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

- ثمل رمتة المنجنون بهمها — ورمى بهم حربة لم يصطد (٦٩)  
 وانشدنا الأصمعي : وهنجين كالانان الفارق . ٤ (٧٠)  
 ١٥ . وثبير اسم جبل ، مذكر ، قال الاصمعي : هي اربعة اثيرة : ثبير  
 عيناء وثبير كدا ، فأربعة تدل على تذكير الواحد . ٤ (٧١) .  
 ١٦ . « وانشدني الاصمعي :  
 من اهل فسا ودرا يجرد  
 وهما من بلاد فارس ، وقال الاصمعي : الدرا وردى منسوب الى درا يجرد  
 وان اصلها منها . ٤ (٧٢)  
 ١٧ . « وقال ابو عبيدة (٧٣) هذا ازاري ، وهذه ازارتي ، بالتاء (٧٤) .  
 وانشدنا :

- (٦٩) ١٧٢ أ ، والبيت في ابن الانباري ٤١٧ والمخصص ١٧/١٧ عن الاصمعي  
 (٧٠) ١٧٢ أ ، وسنطه ان ( المنجنين والمنجنون ) نعتان ، وهي اللولاب ، قال به الفراء  
 وابو حاتم ورواه ابن الانباري ٤١٨ والصاغاني في : ماترود به بعض ائمة الفنة ٢٢  
 عن الفراء .  
 (٧١) ١٧٤ ب ، وفي ابن الانباري ٤٨٠ : « وقال ابو حاتم : سمعت الاصمعي يقول ،  
 هي : اربعة اثيرة : ثبير عيناء ، وثبير الامرج ، وثبير الاحدب ، وثبير كداء .  
 فقوله اربعة ، يدل على التذكير . »  
 (٧٢) ١٧٥ ب ، في الاصل : فاددزا يجرد ودزاوردى ، بالزاي ، تصحيف ونسأ انزه  
 مدينة بفارس ، ودرا يجرد كورة منها فسا ، وإن كانت هذه اكبر من تلك ( ينظر :  
 معجم البلدان ٤/٤٤٦ ، ٤/٢٦٠ ، ٢٦١ ، مراد الاطلاع ٢/٥١٩ ) وفي المعجم  
 ٤/٤٤٦ : « قال الزجاجي : التثنية اليها على غير قياس . يقال دراوردى ( والشاهد  
 في المخصص ١٥/١٨٥ ) .  
 (٧٣) احد مرشحين نقل فيها ابو حاتم عن ابي عبيدة .  
 (٧٤) ١٧٨ ب وفي ابن الانباري ٣٦٣ : « وقال ابو عبيدة : هذا ازاري وهذه ازارتي ،  
 وانشد . . . » ، ولا يستقيم هذا مع انشاد البيت ، لانه كان ينبغي ان يقول :  
 وهذه ازارتي ، ولله وهم وقع قناسخ .

كتميل النشوان ير . نل في البقرة والإزارة (٧٥)  
والاصمعي يرد هذا الشعر . قال : القصيدة مصنوعة ، ولا يعرف الأزار الا  
مذكراً . (٧٦)

١٨ . وحروف المعجم ، أخبرني الاصمعي وأبو زيد النحوي أنها تؤنث ،  
وذلك أكثر وتذكر ، قال الراعي : قال الاصمعي : وهو من أفصح الناس :  
أشأقك آيات أبان قديمها . كما بينت كاف تلوح وميمها  
نأثث . (٧٧)

ثالثاً : الأخفش

١ . وأما الصفات فلا تصغر بالهاء ، نحو : امرأة عدل ورضاً  
وخلقت ، فإنها مما زعم الأخفش صفات مذكّرة ، وصف بها المؤنث كما  
يوصف المذكر بالمؤنث في قولك : رجل ربة وراوية ونسابة . (٧٨)  
٢ . قال الأخفش : الأنعام تؤنث وتذكر . (٧٩)

(٧٥) وقال ابن الأثيري ٣٦٤ : « وأنشدناه عبد الله ، قال أنشدناه بمقرب : في البقر وفي  
الإزارة .  
(٧٦) وفي ابن الأثيري ٣٦٤ : « وقال الجستاني : رد الاسم هذا الشعر وقال : هو مصنوع ،  
وقال : لا يعرف الأزار الا مذكراً . » وفي المختص ٢٢/١٧ :  
« وقد قالوا : إزارة ، وأياها الاصمعي ، واحتج عليه بيت الاعشى :  
كسائل النشوان ير . نل في البقرة وفي الإزارة .  
يقال : هو مصنوع . »

(٧٧) ١٨١ ب ، وينظر : الفقرة ٢٨ من أبي زيد ، وفي ابن الأثيري ٤٥٠ : « وأنشدنا الاصمعي  
الراعي ، وقال : الراعي أفصح الناس : أشأقك آيات . . . » وينظر ابن السيرافي ٢٧٥/٢ .  
(٧٨) ١٥٧ أ ، وذهب الفراء الى أنه من باب تشيير الصدر . لأن الأصل فيه الا يصغر ، قال :  
« تشيير الخلق وان كان نمثاً لمؤنث بغير هاء ، وكذلك الجديد ، وما كان من نمث  
ليس فيه الهاء ، مثل قولك : عربية محض ، ومضرية قلب ، فيبني ألا تصغر الصدر ،  
فان نمثت تركته غل حاله بغير الهاء ، نقلت : انها لمربية محض من العرب . » ابن  
الأثيري ٧٠٧ .

(٧٩) ١٧٩ ب ، وفي ابن الأثيري ٣٤٦ : « قال الجستاني : قال يونس والأخفش :  
والانعام تذكر وتؤنث ، فيقال : هو الانعام ، وهي الانعام وينظر ٣٤٧ . »

الدكتور طارق عبد عون الجناي

رابعاً : ابو عبيدة

١. « سمعت ابا عبيدة يقول ( وريت بك زنادي ) ، وهذا مثل يتكلم به هكذا . » (٨٠)

٢. ينظر الفقرة ١٧ من الاصمعي .

يتبين لنا في ضوء ما عرضنا مما اخذ ابو حاتم :

١. ان ما أخذه مما يتصل بالألفاظ المذكورة والمؤنثة عن ابي زيد هو ثمانية عشر موضعاً ، وثلاثة مواضع لغوية ، وثلاثة في الدلالات ، واثنان في الجموع ، وواحد في اللغات وآخر في التصغير ، استشهد عليها بأحد عشر شاحداً من الشعر ، وشاهد قرآني واحد .

وما اخذه عن الاصمعي سبعة في الفاظ التذكير والتأنيث ، واربعة في اللغة ومسألة في النحر ، واستشهد بأربعة عشر شاحداً من الشعر ، ورد واحداً ، كما استشهد بأربعة اقوال .

٢. يبدو لنا ابو زيد اكثر تساهلاً في قبول اللغات ، واختلاف التذكير والتأنيث ، والروايات ، وكان الاصمعي مترمماً قاسياً في القبول او الرفض والانكار ، فطعن على روايات ، واتهم شعراً بالوضع على الظن بلا تمحيص او تحقيق ، وتتردد عنده اقوال من نحر : « انه لا يعرف التأنيث » ، « ولا يذكره احد » ، و « فلم يفهمه الذي سمعه » ، اخطأ سمعه ، و « القصيدة مصنوعة » .

وفي ٣٤٨ : « وانكر الجستاني عن ابي الحسن الاخفش وعن يونس قولها : الانام تذكر وتؤنث وقال : تذكير الانام لا يعرف في الكلام ، ولكن ان ذهب ال النمر لجائز . »

(٨٠) ١٧٦ أ ، وفي ابن الانباري ٣٩٠ : « وقال الجستاني : سمعت ابا عبيدة يقول في مثل : وريت بك زنادي ، وذلك اذا علم الرجل وعلم شيء كان يجهله فأخبر به انسان فيقول له : وريت بك زنادي ، أي : وضع لي الامر من قبله . »

وغير ذلك . وانكر شعرا استشهد به هو وهما على تأنيث العنق ، ثم ازورّ عنه بعد ان اتضح له انه شاهد على التذكير ، والتذكير عنده مدافع منكر .

ومن ذلك انّ ابا زيد ذهب الى تأنيث ( العنق ) وتذكيره ، على حين انّ الاصمعي يزعم انه لا يعرف التأنيث فيه .

يؤيد ذلك انّ ابا حاتم نفسه قال ، وهو يتحدث عن ابي زيد والاصمعي ، وتفاوت مذهبيهما في الرواية : « سمعت ابا زيد يقول : اهل نجد يقولون : اكننت اللؤلؤة والجاربة فهي بكنتة ، وكنتت الحديث وكل صواب ، وكان يتسع في اللغات حتى ربّما جاء بالشيء الضعيف فيجري ذلك مجرى القويّ ، وكان الاصمعي ولما بالجيد المشهور ، ويضيق فيما سواه . » ( ٨١ ) ، وانه « كان مولعا بأجود اللغات ، ويرد ما ليس بالقويّ . » ( ٨٢ )

واغلب الظنّ انّ ابا حاتم يعني بمصطلح ( الضعيف ) ما يعنيه النحويون بالقليل ، ويعني بالقويّ ما يعنونه بالكثير ، وهو عنده غير منكر ولا مدافع ، دلياه ما ذكره بعد من ابلاغ الاصمعيّ بالجيد الذي هو المشهور ، الكثير وهكذا يبدو فرق ما بين الرجلين : الاصمعيّ وابي زيد في التضييق ، وهو لون من يَبْسُ الاصمعيّ ، والاتساع في الرواية وقبول اللغات ، وهو لون من مرونة ابي زيد وتسمّحه .

٣ . وانّ ابا حاتم متأثر — غالباً — بأبي زيد اكثر من تأثره بالاصمعيّ ، فهو اذن ميّال — في الأكثر — الى احترام الممرع لا يطرح منه إلاّ يسيراً ، فلا يضيّق في قيود الفصاحة ، وبذلك كان أقرب من الاصمعيّ الى فهم اللغة وطبيعتها وظواهرها .

٤ . وأنّ كتاب ابي حاتم كان كتاباً موثوقه أخباره ورواياته ، يعزوها

( ٨١ ) نلت وانلت لابي حاتم ٨٨ .

( ٨٢ ) مجالس العلماء ، المجلس ٩٥ ص ١٩٦ .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

الى أصحابها كما كان كتاباً علمياً يفتح الى التفصيل والاحاطة ، فلم يكن إذن كتاباً تعليمياً يسير المأخذ او مقصوداً به المتعلمون المبتدون .

هـ . وأتة أنادنا في أن<sup>١</sup> ليس ثمة قاعدة مطردة ، ولا سياقاً واحداً في التذكير والتأنيث ، فما نجده مذكراً عند قوم يكون مؤنثاً عند آخرين ، وما جاز فيه وجهاً للتذكير والتأنيث عند لغوي بناء على السعة والمرونة ، أنكر لغوي آخر أحدهما وارتضى الثاني ، فيما وجدناه في هوامش البحث ، وفي هذا كله دليل على أن اللغة تجري على رسلها وفق منطقتها هي لا منطق اللغويين .  
منهج الكتاب : (٨٣) .

١ - التعليق .

ابو حاتم السجستاني بصري المذهب ، لما نعلمه من شدة عصبية لم على الكوفيين ، وهو في هذا الباب ينحو منحاتهم ، ويعال لمسائل اللغة كما يعالون ، لا ينفك عن ذلك البتة ، وحين يجبهه سر من اسرار اللغة فيه اغماض ، او هو محتاج الى فر فزع الى العقل يستعين به في ازالة هذا الاغماض وتفسيره ، ومن هنا ، غالى في التعاليل ، يصيب حيناً ، ويعثر احياناً ، لما نعرفه عن التعارض كثيراً بين المنطق العقلي الذي سلك سبيله اللغويون وبين المنطق اللغوي ، وهو منطق خاص ، لا يخضع الاً لمساماً للمنطق العقلي او الفلسفي . ومن اسس تعليلاته :

أ - الخفة والثقل

يعتد ابو حاتم كثيراً بمسألة الخفة والثقل ، وربط ذلك . فيما يلوح لي - بالاستعمال ، فما كان سائراً شائعاً خف ، وما كان قليل السيرورة والشيوخ

(٨٣) لم أشأ ان أشير الى موضوعات الكتاب ، فقد اوضحت ذلك في الدراسة التي عقبتها لكتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري والموازنة بينه وبين الكتب النظائر . ينظر من

ثقل ، وتعاور الحركات على حرف مّا دليل ثقل ، وقلّتها دليل خفة ، ومن هنا كان الممنوع من الصرف أخفّ من المنصرف ، ولأنّ المذكر أخفّ من المؤنث انصرف الاول في الأعلام ، ولم ينصرف الثاني ، ليكون ثم لون من التوازن بين خفيف وثقيل ، وثقيل وخفيف ، قال : (واعلم أنّ المذكر أخفّ من المؤنث ، لأنّ التذكير قبل التأنيث ، ولذلك صرف اكثر المذكر العربي ، وترك صرف المؤنث العربي ) (٨٤) وذهب الى أنّ المؤنث النكرة منصرف فاذا سميت به المذكر علما لم ينصرف ، لأنّ النكرة اخف من المعرفة . (٨٥)

ومن ذلك ذهابه الى أنّ (العدل نظير الثقل ، فلم يصرف المعدول .) (٨٦) وعامل عدم لحاق تاء التأنيث للتعوت التي لاحظت للذكر فيه ، نحو : حائض ، وطامث ، وطائق ، بأنّ التاء قد حذفت (٨٧) ، كما حذفت في جمع الأناث (٨٨) ، لانّ المؤنث ثقيل ، فيكرن ذلك أخف له .

ومنه أنّ حذف التاء في (أخ) و (أب) بد جاء استخفافا ، اذ حقّ المؤنث ان يكرن (أخة) أو (أخاة) على وزن (قطاة) (٨٩)

### ب - الكثرة والقلّة

ويربط ابر حاتم ربطاً شكاماً بين الخفة والكثرة ، الثقل والقلّة ، ويجعل ذلك ذا وشيجة قوية بمسأة الحذف ، فقد زعم انّ الحذف الذي يلحق المفرد ، كما في الأخ والأب ، انما يلحق طلباً للخفة ، ذلك لأن الواحد

(٨٤) (٢) المذكر والمؤنث ٩٨ ب .

(٨٥) ينظر : المذكر والمؤنث ١٠١ أ .

(٨٦) المذكر والمؤنث ١١٠ ب .

(٨٧) نفسه ١١٦ ب .

(٨٨) نفسه ١٠٩ ب .

(٨٩) نفسه ١٨٨ ب ، وزعم ان (بنت) بناء هل غير بناء (ابن) .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

الفرد أكثر في الكلام من المتى والجمع ، فهو أحوج الى الخفة ،  
والثنية والجمع أقل في الكلام فكان الأقل احمل للثقل والأكثر أحوج الى  
الخفة ، ( ٩٠ ) .

وزعم أبو حاتم أن علة صرف العلم المؤنث الثلاثي اذا سمّي به المذكر  
هي قلّة حروفه ، فاذا كثرت حروفه لم ينصرف . أمّا المؤنث المختوم  
المقصورة فهو لا ينصرف مؤنثاً كان او مذكراً استقلاً . ( ٩١ )

ومن ذلك ذهبه الى أن علة عدم احتياج نعت المؤنث الذي لا مذكر له  
الى التاء ( ٩٢ ) ، ليكون اللفظ أقل وأخف ، ( ٩٣ ) وذلك في نحو : حائض  
وطامث وقاعد ، وهذا - فيما يبدو لي - وهم وقع لأبي حاتم ، اذ لا ضرورة  
لله التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث . اذ لم يكن ثمة ضرورة للتفريق لاقتصار  
هذا النعت على الاناث دون الذكور ، وذلك بمألوف متداول ، ودليله أن  
أبا حاتم نفسه ذكر في موضع آخر أن نعت المذكر الذي لا نظير له في  
الاناث غير محتاج الى التاء أيضاً ( ٩٤ ) . كما تحذف في كثير من النعوت مما  
كان على زنة ( فعول ) بمعنى ( فاعل ) ، و ( فعيل ) بمعنى ( مفعول ) من

( ٩٠ ) نفسه ١٨٨ ب ، ١٨٩ أ .

( ٩١ ) نفسه ١٠٢ ب .

( ٩٢ ) ويسمى أبو حاتم الملاء .

( ٩٣ ) المذكر والمؤنث ١١٦ ، ومن ذلك أيضاً قوله في علة عدم لحاق التاء لبنات الاربعة عند  
التصنيف لكثرة الحروف ، وعلقها بنات الثلاثة حرصاً على بيان التأنيث ، فهذا يعني  
أن الميل الى قلّة الحروف عنده اول من ايفاح التأنيث فيها . ( ١٣٦ أ ، ١٥٠ أ ) .

غير أن ابا حاتم لم ينتبه الى انه ذكر ان تصنيف ( حرب ) و ( قوس ) ، وهما مؤنثان  
ثلاثيان يكون بلا تاء ، فيقولون ( حريب ) و ( قويس ) . ( ١٥٧ أ ) ثم علل لما يقوله  
( ولا يقال : الفرد الا من التوق ، والتصنيف ( ذوبد ) ، لانها أشبهت المصادر ،  
كما اشبهتها حرب وقوس ) ( ١٦١ ب ) .

( ٩٤ ) المذكر والمؤنث ١٢١ ب ، ١٧٦ ب ، قال : ( ومن صفات الحس الصاب والنافض  
ينير هاء ، لان هذا المعنى لا يكون في شيء ذكر مثل الحس ) .

نحو : شكور وجور ، سلب وصريع ، وذكر أيضاً أنّ نعوتاً هي من من حفظ المؤنث لحقتها التاء ، وحذفها قليل (٩٥) ، نحو : حلوبة ، وركوبة ، قال : (وربما طرحوا أيضاً فقالوا : شاة رغوثة وحلوب) واستشهد بقول كعب الغنوي :

بيت الندى يا أمّ عمرو ضجيعته إذا لم يكن في المتنيات حلوبُ

وبقوله تعالى : ( ... فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ) وقد وردت في مصحف ابن مسعود وأبي ( فمنها ركوبتهم ) بالتاء ، (٩٦)

وقد علّل أبو حاتم لذلك تعليلاً غريباً إذ جعل نعمت المؤنث بالمذكر ونعت المذكر بالمؤنث لوناً من تبادل النعوت قصد فيه العرب الى الموازنة . ولا أرى ثمة ضرورة للافتراض والتحكم القسري بالمنطق اللغوي .

وعلّل أيضاً لانفاق نزع التاء في النعوت التي هي على وزن ( فعول ) و ( فعيل ) بتقاربهما . (٩٧)

ويؤيد ذلك ان ابا حاتم قد ذكر أن الاستثناء عن التاء يأتي حين يكون للمؤنث لفظ خاص ، والمذكر لفظ آخر ، نحو : حمار وأتان ، فاذا كان ثمة شركة بينهما لزم لحاق التاء للمؤنث ، مثلما قالوا : حمارة (٩٨) ومما يرد به عليه أيضاً ما رواه من قولهم : ( إذا اتاكم كريمة قوم فأكرموه ، وكذلك كريم قوم . ) (٩٩)

(٩٥) نفسه ١٢٤ ب .

(٩٦) نفسه ١٢٣ أ .

(٩٧) نفسه ١٢٤ ب .

(٩٨) المذكر والمؤنث ١٣٠ ب . كما قالوا (نسيج) للأنثى ، ولم يلحقوا التاء ، لان المذكر

(نسيجان) ولو لم يكن النسيج مؤنثا لقالوا (نسيجانة) تفريقا ، ولم يستثنوا عن التاء ..

(١٣١ ب ) ومثله (المقرب الاوثب) ، (النسيج ؛ الليل) ١٧٢ .

(٩٩) نفسه ١٢٩ ب .

الدكتور طارق عبد عون الجناحي

ومسألة الخفة والثقل التي وقفنا عندها كانت سائرة في تعليل ما يطرأ على اللغة من تبدلات ، وارتضاها الدارسون حتى العصر الحديث ، غير أن هذه المسألة ليست مطردة لما نجده في اللغة من الظاهرة وعكسها (١٠٠) وفي ظاهرة المنوع من الصرف امور واضحة في هذا الباب .

## ٢ - القياس والسماع

ابو حاتم راوية من الرواة (١٠١) ، وهو بصري في الاتجاه العام متعصب شديد العصبية ، وهو من ثمة يلتزم بالمنهج البصري في اعتداده بالقياس ، ولكنه يفرغ الى المسموع ، فاذا لم يجد فيه ما يعضد قوله مجرد القياس (١٠٢) ومضى عليه من ذلك :

أ - قال فيما يسميه الصرفيون بتصغير الترخيم ، نحو تصغير ما كان على وزن (أفعل) من الصنات ، مثل : أسود ، على (سويد) بخذف (الالف) .  
ب - اذا كان النعت مما يختص به المؤنث لم يسغ لحاق التاء به ، وكذا التعوت التي يشترك فيها المذكر والمؤنث مما كان على (فعليل) ، وفعلول ، ومفععال ، ومفعيل ( واوزان اخرى وما سوى ذلك دخلت فيه التاء فرقاً بين المذكر والمؤنث ، وهو القياس ، وقد سُمع : رجل عاقر وامرأة عاقر ، وجمل بازل وضامر ، وناقق بازل وضامر ، لم تلحقها التاء في التأنيث ، لانها ليست من هاتيك . قال ابو حاتم : ( وكان القياس الفصل ) (١٠٤) بعلامة التأنيث .

(١٠٠) ينظر : اللغة العربية عبر القرون ٣٧ .

(١٠١) وقد كتب السيد سيد الزبيدي رساله الساجستير وعنوانها : أبو حاتم السجستاني الراوية .

(١٠٢) خطبة المذكر والمؤنث ٩٦ ب .

(١٠٣) المذكر والمؤنث ١٧١ .

(١٠٤) المذكر والمؤنث ١٩١ أ .

ج - ويفهم من كلامه أن الخطاب بالفعل (هاء) يكون بلفظة للمذكر والمؤنث والمفرد والجمع ويقال قياسا على ما في القرآن : (هاؤمُ اقرأوا كتابيه) للجمع ، وتقول للواحد الذكر : هاء ، فتفتح الهمزة التي في (هاء) ، وللاثنتين : هاؤما بضم الهمزة ، وتدخل الميم ، كما تقول : عليك وعليكما .... ( ١٠٥ )

ومن دلائل ترجيحه السماع على القياس أن العرب لم تقل (فرسة) في تأنيث الفرس ، وهو القياس ، قال : (إلا أن كلام العرب لا يخالف إلا ما حكى عن يونس : فرسة وعجوزة) ( ١٠٦ ) ، ولأنه لم يكن مطمئنا الى هذه الحكاية كل الاطمئنان ، زعم أن التاء هنا ليست للتأنيث ، وإنما هي لتوكيد التأنيث ( ١٠٧ ) ، اذ التأنيث موجود في الاصل لمخالفة لفظ المؤنث لفظ المدرك ..

## ٢ - الاستطراد

لم يكن كتاب ابي حاتم وقفنا على ظاهرة التذكير والتأنيث ، بل كان يستطرد الى كل ما يتصل بالظاهرة من اللغات ( ١٠٨ ) ، ومسائل النحو ( ١٠٩ ) والتصريف ( ١١٠ ) والدلالات ( ١١١ ) ، ولحق العامة ( ١١٢ ) ، ووجوه القراءات ( ١١٣ ) وسواها بتفصيل واف ،

(١٠٥) نفسه ١٩٩ .

(١٠٦) ، (١٠٧) نفسه ١٣١ .

(١٠٨) ينظر مثلا : ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٦١ ، ١٦٧ ب ، ١٦٨ ب ، ١٧٧ ب ، ١٩٠ ب ، ١٩١ ب ، ١٩٣ ب .

(١٠٩) ينظر : ١٠٩ ، ١١١ ، ١٢٣ ب ، ١٥٢ ، ١٧٩ ، ١٩٣ ب .

(١١٠) ينظر ١٠٣ ، ١١١ ، ١٤٣ ، ١٧٣ ، ١٨٧ .

(١١١) ينظر : ١١٦ - ١٢١ ب ، ١٦٦ ، ١٧٧ .

(١١٢) ينظر : ١٣٩ ، ١٤٩ ، ١٦٣ ، ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٧ .

(١١٣) ١٣٣ ، ١٤١ ، ١٦٠ ، ١٦٩ .

وسيكون لذلك كله بحث مستقل آت أدرس فيه نحو الجسائي ولغته .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

مع غزارة الاستشهاد .

٣ - رعايته للقراءات

لأبي حاتم كتاب في القراءات كان يفخر به أهل البصرة ، لأنه كان أجلاً كتاب صنف فيها الى زمانه ، وكان من مصادر ابن جنبي في كتابه ( المحتسب ) ( ١١٤ ) ومن ثمة كان أبو حاتم يعتد بالقراءات سبعة كانت أم شاذة ، لا ينكر منها شيئاً ، وهي - عنده - مناط للاستشهاد والتأييد .

من ذلك :

أ - ما كان على زنة ( قعول ) بمعنى ( مشعول ) من الصفات تلحقه التاء فرقا بين المذكر والمؤنث ، وقد تحذف ، وفي القرآن الكريم ( فمنها ركوبهم ، وما يأكلون . ) ( ١١٥ ) : ( وفي مصحف ابن مسعود وأبي : فمنها ركوبتهم . ) ( ١١٦ )

ب - ونقل قراءة الحسن في تذكير اللسان : ( اللسان الذي يلحدون اليه أعجمي ) ( ١١٧ )

ج - وقال تعالى : ( بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين ) ( ١١٨ ) ونقل أبو حاتم قراءة عبد الله بن مسعود : ( صفراء لذة ) ووضع ( بيضاء ) ( ١١٩ ) .

( ١١٤ ) خطبة المحتسب ٣٥ ، ٣٦ .

( ١١٥ ) سورة ياسين ٣٦ / آية ٧٢ .

( ١١٦ ) المذكر والمؤنث ١٢٣ ، وهي قراءة عائشة . وقرأ الحسن والاعشى : ( فمنها ركوبهم ) بضم الراء ، كما في مختصر ابن خالويه ١٢٦ .

( ١١٧ ) ١٤١ أ ، سورة النحل ١٩ / آية ١٠٣ : « لسان الذي يلحدون اليه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين » ، وقراءة الحسن لا على تذكير اللسان بل على تحليته بالالف واللام . ينظر : مختصر ابن خالويه ٧٤ .

( ١١٨ ) العادات ٣٧ / آية ٤٥ .

( ١١٩ ) ١٦٠ أ ، وهي قراءة ابن مسعود والحسن والضحاك ، كما في المختصر ١٢٨ .

د - وفي القرآن الكريم : ( أولياؤهم الطاغوتُ يُخْرِجُونَهُمْ ) (١٢٠) على أن ( الطاغوت ) جمع ، ونقل أبو حاتم قراءة الحسن البصري : ( أولياؤهم الطواغيت ) على أفراد الطاغوت ( ١٢١ ) ، كما نقل قراءة ( أبيّ ) : ( يخرجنهم ) ، على الجمع المؤنث . (١٢٢) وكلُّ عند أبي حاتم صحيح صواب .

## شواهدہ :

ناهزت شواهدہ القرآنیة سبعاً وسبعین آیة ، وشواهدہ من الحدیث والاثر اثنی عشر شأهدا ، ومن الشعر ثلاثة وسبعین ومئة ، أنكر واحداً منها ، ومن الأرجاز تسعة وخمسين استشهد باحداها مرتین ، وكانت شواهدہ الاخرى اربعة وعشرين قولاً وثلاثاً وأحجية ودعاء .  
وحین عرضت لشواهدہ من الشعر والرجز ، وجدت أنه نسب منها جميعاً خمسة وعشرين ومئة ، ولم ينسب ستة شواهد ومئة ، وقا . بان لي وانا انظر في شواهدہ المنسوبة ما يأتي :

١ - انه نسب خمسا وأربعين شأهداً لشعراء جاهليين هم ، على التوالي ، حسب عدد مرات ورود اسمائهم .

الاعشى (٩) ، زهير (٧) ، اوس بن حجر (٥) ، النابغة الذبياني وطفيل الخليل الغنوي (٤) الشماخ (٣) ، امرؤ القيس وعلقمة بن عبده (٢) ، وطرفة بن العبد ، والعباس بن مرداس ، وليد وحميد ابن ثور ، واعشى باهلة وابو الاخزم التميمي والايادي (لعله لقبط) وأميمة بن ابي الصلت وسلافة بن جندل (١) .

(١٢٠) البقرة ٢/ آية ٢٥٦ .

(١٢١) ينظر : المختصر ١٦ والبحر المحيط ٢/ ٢٨٢ ، وينظر في معنى الطاغوت : تفسير

الطبري ٥/ ٤١٧ - ٤١٩ ، ومجمع البيان ٢/ ٣٦٤ .

(١٢٢) ١٦٩ أ ، ليست من الشواهد .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

٢- ونسب سبعة شواهد الى شعراء مخضرمين : جاهليين اسلاميين ، هم : الحطيئة (٣) ، النابغة الجعدي ، وحسان بن ثابت وكعب بن زهير (١) .

٣- ونسب سائر الشواهد ، وعددها ثمانية وستون شاهداً الى اشعراء اسلاميين وأمويين ، هم العجاج ( ١٢ ) الراعي وابو النجم العجلي (٦) ، ذو الرمة ورؤبة (٥) الفرزدق وجريروالاختل (٤) ، الهذلي (٩) وابن مقبل (٣) ، وأبو الاخضر الحيماني وساعدة بن جؤية (٢) ، ابن همام اللولي ، وبشر بن ابي حازم وكعب الغنوي وعبدالرحمن بن حسان والقطامي زدكين وابو كبير الهذلي ، والحارثي ، وابن ام صاحب ومعتز وابن احمر الباهلي وعراف بن الاحوص الكلابي (١) .

وثمة شاهدان نسب اولهما للخثمي وثانيهما لأعرابية .

٤- وانكر ابو حاتم شاهداً لعمارة بن عقيل ، وهو عباسي ، متابعه للاصمعي ، وان كان عمارة من علماء اللغة والنحو .

٥- مضى ابو حاتم على ما مضى عليه اللغويون من اقتصارهم في الاحتجاج على شعر شعراء الاعصر الاولى : الجاهلي فصدر الاسلام فلاموي ، وانكار ما سواه ، مثل انكاره بيت عمارة .

٦- وأن نسبة الرجز المستشهد به عالية علواً ينبىء بأن اللغويين يميلون الى شعر البداوة ، وهو واحد من مقاييهم في اصالة الشعر وفصاحته .

٧- ويبدو ان الشعر الذي لم يُعْنِ ابو حاتم بعزوه ، هو مما شاع ، وجرى به الاستشهاد عند العلماء ، وبذلك وقع موقع المعزوة من حيث روايته عن الثقات الاثبات .

الر الكتاب فيما تلاه : -

اشرت فيما مضى الى انّ لكتاب ابي حاتم أثراً واضحاً في كتاب « المذكر والمؤنث » لابي بكر بن الانباري ( ١٢٣ ) ، وكتاب « المخصص » لابن سيده .

( أ ) كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري :

افاد ابن الانباري من كتاب ابي حاتم افادة مباشرة صريحة في واحد وسبعين موضعاً ، ناقش ابا حاتم في ثمانية منها ناقضاً ما ذهب اليه وناقلاً في ثلاثة وستين موضعاً من غير اعتراض او ردّ .

وسأذكر ثمة المواضيع الاولى ، لبيان وجه المناقشة ، ومشيراً الى ما سواها متتبها مواضعها من الكتابين ( ١٢٤ ) .

١ . قال ابن الانباري : « وقال السجستاني : العرب لا تقول :

عجوزة بالماء ، وهذا خطأ منه ، لأن ابا العباس احمد بن يحيى اخبرنا عن سلمة عن القراء ، قال : قال يونس : سمعت العرب تقول : فرسة وعجوزة ... » ( ١٢٥ )

( ١٢٣ ) ينظر : المذكر والمؤنث ٤١ .

( ١٢٤ ) ينظر الصفحات الآتية من كتاب المذكر والمؤنث لابن الانباري ، ومواضعها :

' ٢٨٩	' ٢٨١	' ٢٨١	' ٢١٤	' ١٤٣
' ٣٠٠	' ٢٩٩	' ٢٩٧	' ٢٩٦	' ٢٩٢
' ٣١٧	' ٣١٤	' ٣١٠	' ٣٠٩	' ٣٠٢
' ٣٢٣	' ٣٢١	' ٣٣٠	' ٣٢٣	' ٣٢٢
' ٣٤٥-٣٤٤	' ٣٤١	' ٣٣٩	' ٣٣٨	' ٣٣٥
' ٣٥١	' ٣٥٠	' ٣٤٩	' ٣٤٨	' ٣٤٦
' ٣٦٢	' ٣٦١	' ٣٥٧	' ٣٥٥	' ٣٥٣
				٣٦٤

( ١٢٥ ) المذكر والمؤنث ٨٩ ' ١٠٨ ، وقول القراء في المذكر والمؤنث له ٨٨ .

وقد وقع لابن الانباري من الوهم مالا يجوز أن يقع منه ، وقد فاته أن أبا حاتم قد نقل عن يونس ما نقله هو عن الفراء عن يونس ، ذلك أن أبا حاتم كان يرى أن القياس هو لحاق التاء الفارقة للمؤنث .

ولم يسمع مثل ذلك عن العرب ، إلا أن ما حكاه عن يونس عضد به قياسه ويبدو ان ابن الانباري قد اجتأ بأول الكلام عن آخره ، قال أبو حاتم :

« وفرس ذكر ، وحجر للأنثى ، وفرس أنثى ، ولم يقولوا فرسة ، وكان القياس أن يقال ، إلا أن كلام العرب لا يخالف ، إلا ما حكى عن يونس : فرسة وعجوزة ، والهاء فيهما تأكيد للتأنيث » (١٢٦) .  
وهذا يعني أن أبا حاتم قد اعتدّ بالسماع الكثير ، فلم تكن التاء فارقة للتأنيث وهو لم ينكر حكاية يونس للاعتداد بالمسموع أيضا ، فهذه منطوقه الى أن التاء هنا تؤكد للتأنيث المعنوي ، وتحقيقه له ، (١٢٧) .

٢ . قال ابن الانباري : « وكان السجستاني يوتي بين كفييل وامير وهذا غلط منه ، لأن الامارة لا تكاد تكون في النساء ، والكفالة تكون في الرجال والنساء ، وقال ابو زيد الانصاري : سمعت العرب تقول : وكيلات ، فهذا يدل على وكيلة . » (١٢٨)

يبدو أن الخلاف هنا آت من خلافهما المذهبي ، فابن الانباري قاس على القليل في مثل ( وكيلة ) ، فيما نقله عن يونس ، على حين

(١٢٦) المذكر والمؤنث ق ١٣١ .

(١٢٧) المخصص ١٠٠/١٦ .

(١٢٨) المذكر والمؤنث ١٤٨ وينظر : المخصص ١٠٠/١٦ تد ذهب ابن سيده مذهب ابن الانباري ، وانكر ابن سيده ايضا فرسة ١٠٥/١٦ .

كان مذهب ابي حاتم القياس على الشائع والكثير ، غير ان ابا حاتم لم ينكر مقالة ابي زيد ، وانما قبلها ، واستدرك بها اطلاقه القبول في التسوية بين المذكر والمؤنث فيما كان من الاوصاف على ( فعيل ) بمعنى ( مفعول ) ، وقد رد ابن الانباري على ابي حاتم بما ذكره ابو حاتم نفسه صنيعة في المسألة الاولى ، ثم ان ابا حاتم حكّم القياس في الامر : فهده ذلك الى ارتضائه ، وان كان قليلا ، قال ابو حاتم : « تقول : فلانة وصي فلان ، وهي كفيلى وعديلي ... لأن الغالب على هذا الباب ، المذكور .

وكذلك فلانة شاحد لي ، وفلانة اميرنا ، وأميرنا امرأة ، وربما قالوا : كفيلى ووصية وجريّة ( ١٢٩ ) ، ونحوها بالماء على القياس ، وعلى شركة المذكر ، قال ابن همّام السلوي :  
فلو جاؤوا ببرّة أو بهند  
لبايعنا أميرة مؤمنينا « ( ١٣٠ )  
وقال بعد ذلك :

« وحدثني ابو زيد الانصاري انه سمع من بعض العرب :  
وكيلات ، وجريّات ، وعدلات . « ( ١٣١ )  
ولم يكن ما قاله ابن الانباري مغايراً لهذا ، ولا مختلفاً معه ، وقد ورد له قوله : « وربما ادخلوا الماء ، واضافوا ، فقالوا : فلانة اميرة بني فلان ، ووكيلة بني فلان ، ووصية بني

( ١٢٩ ) والجري : الركيل ، الواحد والجمع والمؤنث في ذلك سواء . ( اللان / جرا ١٤ / ١٤٢ ) ، ونقل عن ابي حاتم قوله : وقد يقال للانى : جرية بالماء . ومن معاني الجري : الرسول والخادم .  
ونقل صاحب المخصص ٣٥ / ١٧ ان ابا حاتم قال : وقد قالوا في المؤنث جرية ، وهو قليل .

( ١٣٠ ) المذكر والمؤنث ١٢٢ أ .

( ١٣١ ) نقه ١٢٢ ب .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

فلان . هـ ( ١٣٢ ) ، ثم استشهد بيت ابن همام السلوي .

ولو جمعنا ما تفرق من كلام ابي بكر بعضه الى بعض ، وقابلنا به كلام ابي حاتم ، لوجدناهما متطابقين في الدلالة كل التطابق ، وان اختلفا في العبارة بعض اختلاف ، ومن هنا لم يكن لظن ابن الانباري على ابي حاتم من موع .

٣ . قال ابن الانباري : وقال السجستاني : الرجل من كل شيء مؤنثة وقال : الرجل من الجراد مؤنثة ، وقال : وهي بمتزلة الخارقة من الجراد ولم يحك تأنيث رجل الجراد عن احد ، اتما قاله بالقياس والرأي ، والقياس يوجب تذكيره ، لأنه بمتزلة السرب . هـ ( ١٣٣ )

اما الحكاية التي يعتد بها ، وتنسب الى صاحبها ، فهي المخالفة للمألوف الشائع ، وليس ثمة خروج على العموم ، واما القياس الذي استشفه ابن الانباري ، وانترض خطأه ، فليس بصواب ، فقد كان قياس ابي حاتم على ان ( رجل الجراد ) هي بمعنى ( خارقة جراد ) ، أي : ( قطعة منه ) ، وكل مؤنث ، فقياسه اذن ، صحيح . قال ابو حاتم : « والرجل مؤنثة وثلاث ارجل ، وليس لها جمع غير الارجل ، وكذلك رجل من جراد ومن دبا ، وخارقة من جراد ، أي : قطعة منه . هـ ( ١٣٤ )

أما حجة على ان معناه ( السرب ) ، هو مذكر ، فالقياس التذكير فذلك افتراض هو من شأن ابي بكر ، فإذا كان له ما يعضده من

( ١٣٢ ) المذكر والمؤنث ١٤٨ .

( ١٣٣ ) المذكر والمؤنث ٢٠٠ .

( ١٣٤ ) المذكر والمؤنث ١٥١ ب ، ١٥٢ أ .

المسروع جاز وإلا فمقالته ليست صحيحة ، ولم يك ما أووده أبو حاتم بجانباً للصواب .

٤ . قال ابن الأنباري : « والعائق من الإنسان ، قال السجستاني : هو مذكر وانكر التأنيث ، وهذا خطأ منه ، لأنّ أبا العباس أخبرنا عن سلمة عن الفراء أنّ العائق تذكر وتؤنث ، وأنشدنا سلمة عنه في التأنيث :

لا صلح بيني فاعلموه ولا بينكم ما حملت عاتقي  
سيفي وما كنتا بنجد وما قرقر قصر الراد بالشاهق (١٣٥)  
وقد أنكر أبو حاتم ورواية التأنيث ، كما ردّ البيتين بقوله :  
« وأنشدوا فيه بيتاً ليس يثبت ولا عن ثقة . » (١٣٦)

والبيتان ، في واقع الامر ، ليسا واضحي النسبة ، إذ يتنازعهما هماوييتا ثانياً أكثر من شاعر ، والخلاف ثمة مذهبي ، فالكوفيون يلتزمون الروايات ويقبلونها ، على حين يغالي البصريون في الاتجاه العام ، في تحري الروايات وتوثيقها .

وأماً في تحقيق جنس ( العائق ) فهو يذكر ويؤنث عند الفراء (١٣٧) ، أبي عبيد (١٣٨) وأبي البركات الأنباري (١٣٩) ، وصاحب اللسان (١٤٠) ، وقيد أبو موسى الخامض (١٤١) ، وأحمد ابن فارس (١٤٢)

- (١٣٥) المذكر والمؤنث ، ٢٠٨ . (١٣٦) المذكر والمؤنث ١٤٥ .  
(١٣٧) المذكر والمؤنث ٧٧ . (١٣٨) التريب المصنف ٥٣٣ . (١٣٩) البلغة ٧١ .  
(١٤٠) اللسان (مخت) ٢٣٧/١٠ ، ٢٣٨ ، قال : « والعائق .... مذكر ، وقد أنث ، وليس يثبت . »  
(١٤١) ما يؤنث ويذكر ٢٦ ، وقال في ٢٧ : « ذكر ، ورد همر بن حيوية بأنه ذكر وأنثى ، وأشهد بالبيتين ، ويقول الشاعر :  
وما المول وإن عرضت قفاه  
(١٤٢) المذكر والمؤنث ٥٥ .

الدكتور طارق عبد عون الجنابي

التأنيث بأنه غير فصيح ، قالوا : « والعائق مذكر ، وربّما أنتشوه ،  
وليس بالفصيح » .

وهو مذكر في الاختصار (١٤٣) ، وعند اللحياني (١٤٤) .  
وخالفه ابن برّي (١٤٥) ، بذهابه الى التأنيث مستشهدا باليتين  
وقبلهما ثالث :

لا نسبَ اليومَ ولا خلةً اتّسعَ الفتقُ على الرّاقعِ  
وعزاها لابي عامر جدّ العباس بن مرداس ، وقال : ومن  
روى البيت الاول اتّسع الخرق على الراقع فهو لأنس بن العباس بن  
زداس من هنا كان ما ذهب اليه ابن الانباري ، هو ما كان عليه  
الاكثرون .

هذه مواضع من مناقشات ابن الانباري لابي حاتم ، وثمة  
مواضع اخرى (١٤٦) ، ليس لما شأن يوجب شرحها وتفصيل القول فيها .  
ب . المخصص لابن سيدة

يقوم الجزآن السادس عشر والسابع عشر في معظم موادّهما على  
ظاهرة التذكير والتأنيث بتفصيل واف ، ونقل كثير عن اللغويين ،  
وإن كان وقع له شيء من الرهم او السهو (١٤٧) ، إذ لم يُشِرْ  
في طائفة كبيرة ممّا نقل الى مَنْ أناد منهم ، وقد عرّف على أبي حاتم  
في مسائل مهمّة ، وان كانت محدودة (١٤٨) ويقيناً أنّ ما لم ينسبه اليه أكثر .

(١٤٣) في التذكير والتأنيث ٢٧ . (١٤٤) اللان (متن) ٢٣٨/١٠ . (١٤٥) نفسه .  
(١٤٦) ينظر : المذكر والمؤنث لابن الانباري ٦١٣ وماشها ، ٦٢٥ وماشها .  
(١٤٧) من ذلك ما نقله عن كتاب ابن الانباري بلا عزو ، ينظر مقدمة المذكر والمؤنث ٦٤ ، ٦٥ .  
(١٤٨) ينظر : المخصص ١/١٠٠ ، ١٠١ ، ١٢١/١٧ (أكثر من موضع) ، ٣٥/١٧ ،  
٤٨/١٧ ، ١١٩/١٧ ، ١٢٦/١٧ .

ولم أجد بي حاجة الى ذكرها ، لأن ابن سيدة كان ناتلا حسب ، ويستطيع الباحث  
الرجوع اليها في مقلتها .

وبعد .

فقد وضع لنا في ضوء ما تقدم :

١- أن كتاب المذكر والمؤث هو الكتاب المفرد الذي يكشف بصراحة عن شخصية ابي حاتم اللغوية والنحوية لان كتبه التي وصلت الينا لا تحدد الا يسيرا من قسامته في الدرس اللغوي .

٢- وانه كان خلاصة وافية للغات القبائل ، واقوال علماء اللغة الاوائل في ظاهرة مهمة من ظواهر اللغة ، مع تعليقات عقلية احيانا .

٣- وانه بازاء كتب التذكير والتأنيث الاولى : كتاب الفراء ، ومختصر المفضل بن سامة ، اوسمها ، واكثرها استقصاء ، واعمقها بحثا .

٤- وان منطق اللغة لا ينسجم مع منطق اللغويين وممايسهم الالماما .

٥- وان ظاهرة التذكير والتأنيث ، وقد كتب فيها كثير من المحدثين ، ما تزال تنتظر من يدرسها بتدقيق واستقراء بعد الاحاطة بمادتها الاولية في كتبها التي برزت من ركام التاريخ ، لان الدراسات السابقة كانت قاصرة ومحدودة .

★ ★ ★

# وَأَوُّ الْحَالِ

## الدكتور فاضل صالح السارئي

كلية الآداب - جامعة بغداد

تقع قبل قسم من الجمل الحالية او تسمى واو الحال وجوبا او جوازا نحو ( اقبل محمد اخوه معه ) و ( اقبل محمد واخوه معه ) فما فائدة هذه الراو ؟ وهل تؤدي معنى خاصاً بها ؟ وما الفرق بين الجملتين السابقتين ونحوهما في المعنى ؟

ان الراو في العموم تفيد الاجتماع جاء في ( المخصص ) : « نالواو اذا لم يكن بدلا من الحرف الجار لزمته الدلالة على الاجتماع كلزوم الفاء الدلالة على الاتباع . وهي مع ذلك تجيء على ضربين : احدهما ان تأتي دالة على الاجتماع متعربة من معنى العطف في نحو ما حكاها النحويون من قولهم : ( ما فعلت واباك ؟ ) ...

والآخر ان تأتي عاطفة مع دلالتها على الاجتماع في نحو ( مررت بزيد وعمرو ) فهذا الضرب يوافق الاول في الدلالة على الجبع ويفارقه في العطف لأن الراو هناك لم تُسحل الاسم الآخر في اعراب الاول كما فعلت ذلك في الباب الثاني فاذا كان كذلك علم ان المعنى الذي يخص به الراو الاجتماع ... وقد تجيء الراو غير عاطفة على غير هذا الوجه في نحو قوله تعالى ( ينشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم انفسهم ) ( ١ ) فهي لغير العطف في هذا

( ١ ) آل عمران ١٥٤

الموضع ايضاً وذلك ان الجملة التي بعدها غير داخلية في اعراب الاسم الذي قبلها ولا هي معطوفة على الجملة التي قبلها وانما الكلام مجموعه في موضع نصب بوقوعه موقع الحال فهذا ما يثبتك عن استحكام الواو في الدلالة على الاجتماع اذ كان حكم الحال ان تكون مصاحبة لذي الحال (٢) .

وهذا صحيح فالواو العاطفة لمطلق الجمع وهي تفيد التشريك في الحكم نحو ( حضر محمد وخالد ) ، والواو التي ينتصب الاسم بعدها تفيد المعية وهو اجتماع ايضاً نحو ( جئت والليل ) ، والتي ينتصب بعدها الفعل المضارع تفيد المصاحبة وهو اجتماع ايضاً نحو ( لا تأكل وتتكلم ) ، والحالية تفيد مصاحبة ما بعدها لما قبلها نحو ( جئت والشمس طالعة ) اي مصاحبة طلوع الشمس ولذا عددا بعض النحاة للمعية (٣) لانها تفيد المصاحبة واعرب الجملة بعدها منعمولاً معاً .

والاستثنائية تفيد الجمع في ذكر حكيمين او اكثر نحو ( لا تأكل وتشرّب ) بضم الباء اي انت منهي عن الاكل مباح لك الشرب فقد جمع بين حكيمين .

وهي تفيد الجمع ضميراً نحو ذهبوا وقوموا ، رحرنا نحو ( مدرسون وقائمون ) فالواو على العموم تفيد الاجتماع .

وذكر عبدالقاهر الجرجاني ان واو الحال يؤتى بها اقتصد استئناف حال اخرى تضمها الى ما قبلها . جاء في ( دلائل الاعجاز ) : و فاعلم ان كل جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو فذلك لأجل انك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضمته الى الفعل الأول في اثبات واحد . وكل جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو فذلك لأنها متأنف بها خبراً وغير قاصد الى ان تضمها الى الفعل الأول في الاثبات .

(٢) المخصص ٤٧/١٤ - ٤٨ (٣) انظر المفتي ٢ / ٤٦٥ ، المبع ١ / ٢٢٠ .

الدكتور فاضل صالح السامرائي

تفسير هذا أنك اذا قلت : ( جاءني زيد يسرع ) كان بمنزلة قولك ( جاءني زيد مسرعاً ) في أنك تثبت مجيئاً فيه اسراع وتصل احد المعنيين بالآخر وتجعل الكلام خبراً واحدا وتريد أن تقول : جاءني كذلك وجاءني بهذه الهيئة وهكذا قوله :

وقد علوت قنود الرحل يسفغني يوم قديديمة الجوزاء مسموم  
كأنه قال : وقد علوت قنود الرحل بارزاً للشمس ضاحيا ...

واذا قلت : ( جاءني وغلماه يسمي بين يديه ) و ( رأيت زيدا وسيفه على كتفه ) كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المجيء والرؤية ثم استأنفت خبراً وابتدأت اثباتا ثانيا لسمي الغلام بين يديه ولكون السيف على كتفه . ولما كان المعنى على استئناف الاثبات احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجاء بالواو كما جيء بها في قولك ( زيد منطلق وعمرو ذاهب ) و ( العلم حسن والجهل قبيح ) وتسميتنا لها واو الحال لا يخرجها عن ان تكون مجتلبة لضم جملة الى جملة « (٤) .

وجاء في ( الطراز ) ان « الواو اذا كانت مضمومة فهي في حكم التكملة والتسمة لما قبلها تنزل منزلة الجزء منها ... واذا كانت الواو موجودة كانت في الاستقلال بنفسها « (٥) .

وذهب بعضهم الى انها لتأكيد الالتصاق جاء في حاشية الشمني على المعني : « وقال نجم الدين سعيد ... الواو أكدت الالتصاق باعتبار أنها في اصلها للجمع المناسب الالتصاق « (٦) .

وجاء في ( كليات أبي البقاء ) : « وقالوا اذا دخلت على الشرط بعد تقدم الجزء يراد به تأكيد الوقوع بالكلام الاول وتحقيقه كقولهم ( اكرم

(٤) دلائل الاعجاز ١٦٤ - ١٦٥ (٥) الطراز ١١١/٢ .

(٦) حاشية الشمني على المعني ١١١/٢ .

اخاك وان عاداك ) أي أكرمه بكل حال . وقد تزداد الواو بعد ( إلا ) لتأكيد الحكم المطلوب إثباته إذا كان في محل الرد والانكار كما في قواه ( ما من احد إلا وله طمع أو حسد ) ( ٧ ) .

وأصل هذا القول ما قاله اليرمخشري في قوله تعالى ( وما اهلكنا من قرية الا ولما كتاب معلوم — الحجر (٤) ) قال : « ( ولما كتاب ) جملة واقعة صفة لقرية والقياس لا يتوسط ( ٨ ) الواو بينهما كما في قوله تعالى ( وما اهلكنا من قرية الا لما منذرون ) ( ٩ ) وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال ( جاءني زيد عليه ثوب ) و ( جاءني وعليه ثوب ) « ( ١٠ ) . وقال نحو هذا القول في قوله تعالى : ( سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم — الكهف ٢٢ ) قال : « فان قلت : فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين ؟ قلت : هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للذكورة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك ( جاءني رجل ومعه آخر ) و ( مررت بزيد وفي يده سيف ) ومنه قوله تعالى ( وما اهلكنا من قرية الا ولما كتاب معلوم ) وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان انصافه بها أمر ثابت مستقر . وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجعوا بانظن كما غيرهم « ( ١١ ) .

فقد ذكر أن لما فائدتين :

(٧) كليات ابي اليقاء ٣٦٧

(٨) كذا والصواب : ان لا يتوسط

(٩) اشعراء ٢٠٨

(١٠) الكشاف ١٨٧/٢

(١١) الكشاف ٢٥٥/٢ وانظر ٢٨٧/٢ في قوله تعالى ( وما اهلكنا من قرية الا لما منذرون ) .

الدكتور فاضل صالح السامرائي

الاولى تأكيد الاتصاق ، والثانية ان اتصافه بها امر ثابت مقرر .

والجمهور ينكرون مجيء جملة الصفة بعد هذه الراو (١٢) ويعدون هذه الراو واو الحال . جاء في ( المغني ) : « الراو الداخلة على الجملة الموصوف بها لتأكيد لصورتها بموصوفها وافادتها ان اتصافه بها امر ثابت . وهذه الراو أثبتتها الزمخشري ومن قلده وحملوا على ذلك مواضع الراو فيها كلها واو الحال » (١٣) .

وعند سيبويه هي بمعنى ( اذ ) اي للزمن الماضي جاء في ( كتاب سيبويه ) : « واما قرأه عزوجل ( يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهتمهم انفسهم ) (١٤) فانما وجهه على انه يغشى طائفة منكم وطائفة في هذه الحال كأنه قال ( اذ طائفة في هذه الحال ) فانما جملة وثنا ولم يرد أن يجعلها واو عطف انما هي واو الابتداء » (١٥) .

وقد سماها بعضهم راو الرقت جاء في ( كتاب الاصول ) « واذا ذكرت ( ان ) بعد واو الرقت كبرت لانه موضع ابتداء نحو قولك ( رأيت شابا وانه يومئذ يفخر ) » (١٦) .

وبعضهم ذكر واو الحال وواو الرقت على انهما راوان مختلفتان جاء في ( لسان العرب ) : « ومنها واوات الحال كقولك ( أتيته والشمس طائمة ) اي في حال طلوعها قال الله تعالى ( اذ نادى وهو مكظوم ) (١٧) .

ومنها واو الرقت كقولك ( اعمل وانت صحيح ) أي في وقت صحتك والآن وانت فارغ ، فهذه واو الرقت وهي قريبة من واو الحال » (١٨) .

(١٢) انظر حاشية يس عل التصريح ٣٧٧/١ ، البيان ١٧٥/٢ ، الاشموني ١٧٦/٢

(١٣) المنني ٣٦٤/٢ ، التصريح ٣٧٧/١

(١٤) آل عمران ١٥٤ (١٥) سيبويه ٤٧/١ وانظر المنتقب ١٢٥/٤ .

(١٦) الاصول لابن السراج ٣٢١/١ (١٧) القلم ٤٨ .

(١٨) لسان العرب ٣٨٠/٢٠ وانظر تاج العروس ٤٥٢ /١٠

وهما بمعنى واحد كما هو واضح وليستا مختلفتين .

وذهب بعضهم الى صرف كلام سيويه وثأويله عن معناه جاء في (المع) : « زقدرها سيويه والاقدمون بإذ ولا يرون انها بمعنى (اذ) اذ لا يرادف الحرف الاسم بل انها وما بعدها قيد للفعل السابق كما ان (إذ) كذلك » (١٩) .

وكلام السيوطي فيه نظر إذ ظاهر من كلام سيويه انها بمعنى (اذ) قال : « كأنه قال اذ طائفة في هذه الحال فانما جعله وقتا » وكما ذكر المبرد وابن السراج وغيرهما وسموها وار الوقت لأنها تفيد التوقيت والجملة بعدها جارية مجرى الظرف كما قال الزمخشري في (المفصل) قال : « ويجوز اخلاء هذه الجملة عن الراجع الى ذي الحال اجراء لها مجرى الظرف لانعتاد الشبه بين الحال وبينه تقول ( اتيتك وزيد قائم ) و ( اتيتك والجيش قادم ) قال : وقد اغتدي والطير في وكناتها » (٢٠) .

جاء في ( المغني ) : « ومما يشكل قولهم في نحو ( جاء زيد والشمس طالعة ) ان الجملة الاسمية حال مع انها لا تنحل الى مفرد ولا تبين هيئة فاعل ولا مفعول ولا هي حال مؤكدة . فقال ابن جني تأويلها جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه يعني فهمي كالحال والنعت السببي كررت بالدار قائماً سكانها وبرجل قائم غلمانه . وقال ابن عمرو هي مؤولة بقولك « بكراً ونحوه . وقال صدر الأفاضل تلميذ الزمخشري انما الجملة مفعول معه واثبت مجيء المفعول معه جملة . وقال الزمخشري في تفسير قوله تعالى ( والبحر يمدده من بعده سبعة أبحر ) (٢١) في قراءة من رفع البحر هو كقوله :

(١٩) المع ١/٢٤٧

(٢٠) ابن يمش ٦٨/٢ وانظر كليات ابي البقاء ١٤٠

(٢١) لسان ٢٧

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الاوابد هيكل  
و ( جئت والجيش مصطف ) ونحوهما من الاحوال التي حكمها حكم  
الظرف فلذلك عريت عن ضمير ذي الحال : ( ٢٢ ) .

والتحقيق ان واو الحال تفيد الوقت كثيراً وهي بمعنى ( اذ ) الظرفية  
غالباً وايضاح ذلك انك تقول : ( ما بالك تركض ) و ( ما بالك راكضاً ؟ )  
فأنت تسأل عن سبب ركضه ، وتقول ( ما بالك وانت تركض ؟ ) فأنت  
تسأله عن شيء حدث له وهو يركض كأنك قلت : ما بالك حين تركض ؟

وتقول : ( ما بالك تسكت ؟ ) و ( ما لك ساكناً ؟ ) فهذا سؤالان عن  
سبب سكوته وتقول : ( ما بالك وانت ساكت ؟ ) فهذا سؤال عن شيء حدث  
له وهو ساكت كأنه قال : ما حصل لك حين كنت ساكناً ؟

وتقول : ( لماذا جئنا هاربا ) و ( لماذا جئنا وانت هارب ) فالاولى سؤال  
عن سبب مجيئه هاربا اي سؤال عن سبب الهرب ، والثانية سؤال عن سبب  
المجيء علماً بانك هارب اي لماذا جئت وهذه حالك ؟

وتقول : ( كيف وصلت ليس لك مال ؟ ) و ( كيف وصلت وليس  
لك مال ) فالاولى سؤال عن سبب فقدان المال ، والثانية سؤال له انه كيف  
وصل وهذه حاله أي كيف وصل علماً بانه ليس له مال ، كما تقول : لماذا  
جئنا وانت مريض ؟ أي وهذه حالك .

جاء في ( كتاب سيبويه ) : « وبعض العرب يقول : ( كلمته فوره الى في )  
كأنه يقول ( كلمته وفوره الى في ) اي كلمته وهذه حاله . فالرفع على قوله :  
كلمته وهذه حاله ، والنصب على قوله : كلمته في هذه الحال فانصب لأنه  
حال وقع فيه الفعل . وأما ( يبدأ بيد ) فليس فيه الا النصب لأنه لا يحسن ان

تقول ( بايعته ويدٌ بيد ) ولم يرد أن يخبر انه بايعه ويده في يده ولكنه اراد أن يقرل : بايعته بالتعجيل ولا يبالي أقرىيا كان ام بعيدا .

واذا قال : كلسته فوه الى فيّ فانما يريد ان يخبر عن قربه وانه شافه لم يكن بينهما أحد « (٢٣) .

وجاء في ( الكشاف ) في قوله تعالى ( اتمدونني بمال فما آتاني الله خبير مما آتاكم - النمل ٣٦ ) : « فان قلت : ما الفرق بين قولك : ( اتمدني بمال وانا اغنى منك ؟ ) وبين ان تقول له بالفاء ؟ قلت : اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالماً بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال . واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خضيت عليه حالي فأنا اخبره الساعة بما لا احتاج الى امداده كأني اقول له : انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه « (٢٤) :  
فجعل الواو للحال المعلومة .

قال تعالى : ( فما لكم في المنافقين فئتين - النساء ٨٨ ) واو قال ( فما لكم في المنافقين وانتم فئتان ) لتغير المعنى ، فالاولى سؤال عن سبب انقسامهم فئتين والثانية سؤال عما حصل لهم في امر المنافقين عندما كانوا فئتين .

وتقول ( بعثه قائداً عليهم ) اي جعله قائداً عليهم كما قال تعالى ( ان الله قد بعث اكم طالوت ملكا - البقرة ٢٤٧ ) ولو قال ( بعثه وهو ملك ) لكان المعنى انه بعثه عند ما كان ملكا اي كان ملكا قبل ان يبعث عليهم . ونحوه اذا قلت ( بعثه وهو قائد ) فمعناه انه ارسله حين كان قائداً فالقيادة حاله المستقرة ولو قال : ( ببثه قائداً ) لكان المعنى انه جعله قائداً عليهم ولم تكن تلك حاله المستقرة قبل بعثه .

(٢٣) الكتاب ١٩٥/١ وانظر المنتخب ٢٣٦/٣ .

(٢٤) الكشاف ٤٥٢/٢

الدكتور فاضل صالح السامرائي

جاء في ( الاصول ) ان الرجل : « اذا قال : بعتك هذا الطعام مكيلاً ، وهذا الثوب مقصوراً فعليه ان يلمه اليه مكيلاً ومقصوراً . واذا قال ( بعتك وهو مكيل ) فانما باعه شيئاً موصوفاً بالكيل ولم يتضمنه البيع » ( ٢٥ ) فجعل الكيل قبل البيع .

قال تعالى : ( فقعوا له ساجدين - ص ٧٢ ) ولو قال فقعوا له وانتم ساجدون ( لاحتمل ان يكون امراً بوقوعهم حين يكونون ساجدين فالسجود حاله المستقرة قبل الوقوع وهذا غير جائز .

ومثله قوله تعالى ( يخرون للاذقان سُجِّدًا - الامراء - ١٠٧ ) واو قال ( وهم سجد ) لاحتمل المعنى انهم يخرون للاذقان حين يكونون سجداً أي وهذه حاله ، وهذا غير مراد اذ كيف يخرون للاذقان حين يكونون ساجدين؟! وقال تعالى : ( والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا - الفرقان ٧٣ ) ولم يقل ( لم يخروا عليها وهم صم وعميان ) لأن المعنى يكون عند ذاك ان حاله المستقرة الصم والعمى .

وقال تعالى على لسان سليمان ( خ ) : ( ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون - النمل ٣٧ ) وقال : ( واقدم نصرکم الله ببدر وانتم اذلة - آل عمران ١٢٣ ) فالاولى ( اذلة ) بدون واو لأن الذل سيكون مقارنا للخروج ولم يكونوا قبل ذلك اذلة ، اما الثانية فمعناها انه نصرهم وهذه حاله المستقرة اي كانوا اذلة قبل النصر اي نصرکم اذا كنتم اذلة ، أي حين كنتم اذلة .

فالواو تكرر لما قد استقر ولذا لا تكرر الجملة المسبوقة بالواو مقدرة اي مستقبلة قال تعالى ( وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها - التوبة ٥٨ ) ف ( خالدين ) حال مستقبلة فالخالود يكون بعد الوعد

لا مقارناً له ولو قال ( وعدمهم وهم خالدون ) لكان المعنى ان الوعد حصل حين خاودهم .

وقال : ( وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين - الصفات ١١٢ )  
ف ( نبياً ) حال مقدرة لانها بعد البشرى واو قال ( وهو نبي ) لكان المعنى انه بشره باسحاق حين كان اسحاق نبيا وهو مستحيل .

فالمسبوقة بالواو لا تكون مقدرة .

ثم ان واو الحال ليست بمعنى ( اذ ) دوما بل هو الغالب كما ذكرنا فقد تكون الجملة قبلها مستقبلة فتمتنع ان تكون بمعنى ( اذ ) لان ( اذ ) للمضي وذلك نحو ( سأجيثك والليل ساج ) اي وقت الليل ساج فهي بمعنى ( وقت ) وهذا الوقت قد يكون ماضيا وقد يكون غيره بحسب الجملة .

واما قوله تعالى ( وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم - الحجر ٤ ) فليست فيه الجملة بعد الواو صفة بل الواو واو الحال بخلاف ( لما منذرون ) في قوله تعالى ( وما اهلكنا من قرية الا لما منذرون - الشعراء ٢٠٨ ) فانها تحتل الوصفية والحالية ، فقد يؤتى بالواو للفصل بين الحال والنتج ولكل قصد . فانت تقول ( ما مررت برجل الا له مال ) و ( ما مررت برجل الا وله مال ) فمعنى الاولى انك مررت برجل ذي مال أي غني وانك لم تمر الا برجل غني . اما الثانية فمعناها انك لم تمر برجل الا حين يكون له مال أي لم تمر به في وقت لم يكن له مال . فالاولى نعت وهي وصف عام اما الثانية في حال منتقلة وهو نظير قوانا ( ما جاءني طالب مقصر ) و ( ما جاءني طالب مقصراً ) فان معنى قوانا ( ما جاءني طالب مقصر ) انه لم يأت طالب متصف بالتقصير . واما قوانا ( ما جاءني طالب مقصراً ) فمعناه نفي التقصير عنه في مجيئه هذا ، وقد يكون قبل هذا المجيء مقصراً .

الدكتور فاضل صالح السامرائي

ونحو ان تقول ( مررت برجل اخوه منطلق ) و ( مررت برجل واخوه منطلق ) فمعنى الاولى انك مررت برجل منطلق الأخ وانطلاقه قد يكون قبل المرور واما الثانية فمعناها انك مررت به في هذا الوقت . وتقول ( مررت برجل فرسه سابق ) و ( مررت برجل وفرسه سابق ) فالاولى قد يكون فيها سبق قبل المرور والثانية مررت في هذا الوقت . وتقول ( ما مررت برجل الا فرسه سابق ) و ( ما مررت برجل الا وفرسه سابق ) اي الا في هذا الوقت .

وتقول : ( مررت برجل اخوه مقرئ ) و ( مررت برجل واخوه مقرئ ) فان معنى الاولى انك وصفت الرجل بان اخاه مقرئ ولا يشترط انك مررت به في وقت الاقراء فقد يكون الأخ غير مقرئ في وقت المرور واما الثانية فانها تفيد انك مررت به في حين ان اخاه يقوم بالاقراء فعلاً في اثناء مرورك . فالاولى وصف عام والثانية حال .

وتقول ( ما مررت برجل الا اخوه مقرئ ) اي ما مررت برجل الا موصوف بان اخاه مقرئ وتقول ( ما مررت برجل الا واخوه مقرئ ) اي ما مررت به الا في حال الاقراء .

فمعنى قوله تعالى ( وما اهلكنا من قرية الا لما منذرون ) اننا لم نهلك الا قرية منذرة ولم يأت بالواو لأن المعنى عند ذلك يكون انه لم يهلك قرية الا وحده حالها أي لم يهلك قرية الا وقت انذارهم ، في حين انه عند الإهلاك يخرج الرسل والمؤمنون بهم من القرى ويتركونها فلا يكونون فيها عند اهلاكها كما في قوم لوط وغيرهم ، فلو قال ( ولما منذرون ) لكان المعنى انهم فيها وقت الإهلاك كما اوضحنا - بخلاف آية الحجر فان الاجل حال وقت الاهلاك حاق عليهم مصاحب لاهلاكهم .

يتبين من هذا ان واو الحال تدخل لاغراض منها :

١ - انها تكرر بمعنى ( اذ ) اي للوقت الماضي كقوله تعالى ( اذ نادى وهو مكظوم - القلم ٤٨ ) ونحو ( ما بالك وانت راكض ؟ ) اي حين كنت راكضاً .

٢ - انها تكرر للوقت غير الماضي ايضاً نحو ( سأزورك والقمر طالع ) .

٣ - قد يؤتى بها للدلالة على ان الحال بعدها أمر ظاهر ومعلوم نحو ( كيف تعطيني وانا اغنى منك ) قال تعالى ( ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم - البقرة ٢١٤ ) أي أحسبتم ان تدخلوا الجنة ولم تكن هذه حالكم الظاهرة ؟

٤ - قد يؤتى بها للدلالة على ان ما بعدها مستقر قبل الحدث المصاحب لما نحو ( بعثه وهو ملك ) ومنه قوله تعالى ( وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا - البقرة ٢٤٦ ) فالأخراج استقر وحدث قبل القتال .

٥ - قد يؤتى بها للاهتمام نحو ( عبر النهر ولم يحرك يده ) و ( قفز خمسة امتار وعلى ظهره حمل وبيده ثقل ) و ( دخل على الامير وبيده سيفه ) .

٦ - قد يؤتى بها للفصل بين الحال والنتج نحو ( رأيت رجلاً عنده مال ) و ( رأيت رجلاً وعنده مال ) و ( رأيت رجلاً فرسه سابق ) و ( رأيت رجلاً وفرسه سابق ) .

٧ - قد يؤتى بها لازالة التنصيص على الاستئناف كقولك ( اقبل اخوك هو فرح ) و ( اقبل اخوك وهو فرح ) فالاولى استئناف اخبار جديد نصا والثانية ازالته فيها الراو التنصيص على الاستئناف فكان ما بعدها يحتمل الحاية وهو الظاهر ويحتمل الاستئناف ايضاً .

قال تعالى ( كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون - الانفال ٥ ) ولو حذف الراو اكان استئنافاً نصاً ، فذكر الراو

الدكتور فاضل صالح السامرائي

ازال التنصيص على الاستئناف واصبحت الجملة تحتل الحالية وهو الظاهر  
وتحتمل الاستئناف ايضا .

تقول ( هو يحرف القول وانه يعلم بذلك ) فالواو تحتل الحالية  
والاستنافية وحذفها ينص على الاستئناف . وتقول ( لم يدخلها وهو يطعم )  
و ( لم يأتي وهو طامع ) فهذه تحتل الحال اي لم يدخلها طامعا وانما  
دخلها غير طامع ، وتحتمل الاستئناف فيكون المعنى انه لم يدخلها واكن  
يطعم في الدخول . وحذفها ينص على الاستئناف .

٨- قد يؤثر بها للتنصيص على ارادة الحال لا التعليل وذلك كقولك  
( جئت انه امير ) و ( جئت وانه امير ) فالاولى تعليل للمجيء والثانية معناها  
جئت وهذه حاله اي وقت هو امير . قال تعالى ( وما كان الله ليعذبهم وانت  
فيهم - الانفال ٣٣ ) ولو قال ( ما كان الله ليعذبهم انك فيهم ) اكان المقصود  
به التعليل اي بيان السبب . الى غير ذلك من الاغراض .

★ ★ ★

## ابن السكيت

## كتاب اصلاح النطق لابن السكيت

الدكتور محمد صالح التركي

جامعة بغداد - كلية التربية

ابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) : هو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق ،  
والسكيت لقبُ أبيه اسحاق ، وكان من أصحاب الكاشي عالماً بالعربية  
واللغة والشعر ، (١) .

شارك يعقوب أباه في مهنة التأديب ، وكانا يؤدبان الصبيان في درب  
القطرة ببغداد ، واحتاج الابن الى الكسب فأتجه الى تعلم النحو .  
كان اسحاق رجلاً صالحاً ، حكى عنه : ( أنه حج ، وطاف بالبيت ،  
وسعى بين الصفا والمروة ، وسأل الله تعالى أن يُعلم ابنه النحو ، قال : فتعلم  
النحو واللغة ) (٢) .

أخذ يعقوب عن مشاهير الكوفيين كأبي عمرو الشيباني والفرّاء وابن  
الأعرابي ، وروى عن مشاهير البصريين كالأصمعي وأبي عبيدة ، وشافه  
الأعراب الثقات ، وحكى عنهم .

وتفصّل من العلم والتحصيل ، وبلغ فيهما منزلة رفيعة ، يقول أبو الطيّب

(١) معجم الادباء ٣٠٠/٧ ، ياقوت ، مرجليوث ط ٢ ، مطبعة هندية ، مصر .  
(٢) نزدة الالاء ١٢٣ ، ابو البركات الانباري ، تحقيق ابراهيم السمرالي بغداد ١٩٥٩ م

الدكتور محمد صالح التكريتي

الغوي : « وانتهى علم الكوفيين الى أبي يوسف يعقوب بن اسحاق السكيت وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب » (٣) .

ويشهد الأخير بعلو مكانة ابن السكيت ، ورفع منزله حيث يقول :  
« أجمع اصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الأعرابي أحدٌ أعلم باللغة من ابن السكيت » (٤) .

وقادته شهرته الى تأديب أولاد الخليفة المتوكل ، اكن تلك المهمة كانت وبآلاً عليه ، حيث انتهت به الى حنفة ، تاركاً ثروة عالمية طائلة ، متمثلة بالعديد من المؤلفات (٥) ، لعل أشهرها كتاب « اصلاح المنطق » الذي نحن بصده ، ذلك أن غير واحد من المترجمين والمؤرخين عرفوا يعقوب به ، فقالوا : « صاحب كتاب اصلاح المنطق » (٦) ويعد « الاصلاح » من أشهر كتب اللغة وأجودها بشهادة العلماء ، قال فيه البرد :

« ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب يعقوب بن السكيت في المنطق » (٧) .

وروى ابن خلكان عن بعض العلماء قوله :

« ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل اصلاح المنطق » (٨) .

- (٣) مراتب النحويين ١٥١ ، ابو الطيب القوي ، تحقيق محمد ابو انفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٧٤ م .  
(٤) إنباء الرواة ٥٦/٤ ، القنطلي تحقيق محمد ابو انفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٧٣ م .  
(٥) عد له الدكتور رمضان عبد الثواب في مقدمة تحقيقه كتاب « الحروف » والمترجم اكثر من ستين كتاباً . انظر : الحروف لابن السكيت ، مقدمة المحقق ١٧ - ٢٦ .  
(٦) إنباء الرواة ٥٠/٤ ، وانظر الحروف ، المقدمة ١٨ .  
(٧) نزهة الالباء ١٢٤ .  
(٨) وفيات الاعيان ٤٠٠/٦ ، ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧١ م .

## ابن السيرافي وكتاب « اصلاح المنطق »

وبالنظر الى مزايا الكتاب صار محط أنظار المتخصصين ، وموضع اهتمامهم وعنايتهم ، يقول حاجي خليفة فيه :

« وهو من الكتب المختصرة المتمعة في الادب ، ولذلك تلاعب الادباء بأنواع من التصرفات فيه ، فشرحه ابو العباس أحمد بن محمد المرئسي المتوفى في حدود ٤٦٠ هـ ، وزاد ألفاظاً في الفريب ، وأبو منصور محمد بن أحمد الازهري الهروي المتوفى ٣٧٠ هـ . وشرح آياته ابو محمد يوسف بن الحسن ابن السيرافي النحوي المتوفى ٣٨٥ هـ ورتبه أبو البقاء عبدالله بن الحسن العكبري المتوفى سنة ٦١٦ هـ على الحروف . وهدّبه ابو علي الحسن بن المظفر النيسابوري الضرير المتوفى سنة ٤٤٢ هـ ، والشيخ أبو زكريا يحيى بن علي بن الخطيب التبريزي المتوفى ٥٠٢ هـ ، وسماه : التهذيب .... » (٩) الى غير أولئك ممن تناولوه من جوانب أخر .

إنّ ما يُهمنا في النص السابق هو ذكر ابن السيرافي في جملة من عُنوا باصلاح المنطق ، وأنشؤا في جانب من جوانبه ، ألا وهو شرح آياته .

أما ابن السيرافي فهو أبو محمد يوسف بن الحسن ، أبوه هو الحسن بن عبدالله السيرافي ( ت ٣٦٨ هـ ) النحوي المشهور ، وأبرع من شرح كتاب سيويه .

ولد أبو محمد في بغداد سنة ٣٣٠ هـ ، ونشأ في كنف والده ، ولم يكن في مستهل حياته متجها نحو الدراسة ولا منقطعاً إليها ، بل كان سَمَاناً ، إلاّ أن حادثة معينة وقعت بحضوره في مجلس أبيه غيرت مجرى حياته ، فترك من ساعته بيع السمن « واشتغل بالعلم الى أن برع فيه ، وبلغ الغاية ، فعمل شرح شواهد إصلاح المنطق ، قال ابو العلاء المعري : وحدّثني من رآه وبين يديه اربعمئة ديوان وهو يعمل هذا الكتاب » (١٠) .

(٩) كشف الظنون ١٠٨ ، حاجي خليفة . استنبول ١٩٤١ م .

(١٠) رنيات الاعيان ٧٣/٧ .

الدكتور محمد صالح التكريتي

ولست هنا بصدد إبراز أهمية كتاب ابن السيرافي وتعداد الفوائد التي قدمها للإصلاح ، لأن تلك الأمور كنت يبتنيها مفصلة في دراستي هذا الكتاب الذي قمت بتحقيقه .

إن ما يعنيني هنا إبراز أهمية جانب واحد مما قدمه شرح الأبيات للإصلاح ، ألا وهو تقويم مواضع كثيرة في الإصلاح المطبوع المحقق ، تلك المواضع بعضها أغلاط مطبعية ، وبعضها من أوهام التنسخ ، وقسم يرجع الى مؤلف الإصلاح نفسه ، وقسم آخر يعود الى المحقق ، وهي أمور لا تيسر معرفتها ، ولا يُتنبه لها لولا كتاب ابن السيرافي ونذكر فيما يأتي تلك التصحيحات .

أ - تصحيح الاغلاط المطبعية :

طبعة الإصلاح المعتمدة في هذا البحث هي الثالثة ، التي أراد لها المحققان الفاضلان أن تكون الاجود ، بيد أنها خرجت وهي محتاجة الى ما سأورده من تصحيحات لاسيما خار الطبعة من قائمة بتصحيح أوهام الطباعة الامر الذي يجعل إبراد هذه التصحيحات ضرورياً .

١ - جاء في الإصلاح ( ص ١٨٢ ) البيت الآتي :

أقامت به حدّ الربيع وجارها - آخر سألوة مَشَى به الليل أملح

وردت كلمة « مَشَى » بالشين كما ترى ، وليست كذلك ، وصوابها :

« مَسَى » بالسين كما في الطبعة الثانية من الإصلاح نفسه ( ص ١٨٢ ) ،

ويؤكدده ما نص عليه ابن السيرافي قال :

« وقوله : مَسَى به الليل ، يريد أنه يجيء مع المساء لانه يسقط بالليل » (١١)

٢ - وجاء فيه ( ص ٢٤٣ ) بيت ابن احمر :

وتواهقت أخفافها طبقةً والظل لم يفضل ولم يُكسر

(١١) شرح أبيات إصلاح المنطق - قسم التحقيق - ص ٢٨٥ الشاهد ٣٩٥ ( حل الالة الكاتبة )

ابن السيراني وكتاب «اصلاح المنطق»

وردت «أخفاقها» باتقاف ، وصوابها «أخفافها» بالفاء .

٣ - وجاء فيه ( ص ٢٤٥ ) ثلاثة أشرطة من الرجز ، أولاً :

يُلْحِنُ من أصواتِ حادٍ شَيِّظَمِ

ووردت الكلمة الاولى بضم الياء وسكون اللام وكسر الحاء كأنها مضارع : ألْحِنَ . والصواب : يُلْحِنُ (١٣) بضم الياء وكسر اللام وسكون الحاء مضارع : ألْحَ ، يُقَالُ : ألْحَ : يُلْحِحُ لإلحاحه ، اذا أشفق كما ورد في الشاهد الذي قبله من الصحيفة نفسها .

٤ - وفيه ( ص ٢٤٦ ) ورد قول الكميث :

ولا يصادفن سِرِّباً آجناً أبداً .....

والصواب : شِرِباً بأشين (١٤) .

٥ - وجاء فيه ( ص ٢٦٤ ) عجز بيت لا يرى القيس بالصورة الآتية :

بلائق خُضراً ، أوْهَن قَلِيص .....

وصوابه : بلائق (١٥) بأثاء ، كما في الصحيفة ذاتها من طبعة الاصلاح

الثانية .

٦ - وجاء فيه (٣١٠) الشاهد الآتي :

تعرف في أوجهها البشائر

آسان كسل أفقٍ مشاجر

(١٢) انظر الاصلاح ط ٢ ص ٢٤٣ تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف

بمصر ١٩٥٦ ، والجمهرة لابن دريد ٣٠٧/١ تحقيق كرنكو وزميله . حيدر آباد

١٣٤٤ واللسان : وهن ، كرا .

(١٣) انظر: شرح ابيات الاصلاح ٣٥٠ ، ٣٥١ الشاهدين ٤٩٠ ، ٤٩١ .

(١٤) انظر الاصلاح ط ٢ ٢٤٦ ، وشرح ابيات الاصلاح ٣٥٢

الدكتور محمد صالح التكريتي

وَضُبُطت كلمة ( أفق ) بضم الحزرة وكسر الفاء ، والصواب

( أفق ) ( ١٦ ) على زنة فاعل . كما في الطبعة الثانية

٧ - وفيه : ( ٣٦٥ ) وإذا نسبت الى العِضَاءِ قلب عِضَاهِي .

والصواب : ... قلت عِضَاهِي ( ١٧ ) :

٨ - وجاء فيه ( ص ٤٣١ ) : « وسمعت نَغْيَةً من كذا وكذا ، أي شيئاً من خير » .

والصواب : أي شيئاً من خير ( ١٨ ) بالياء .

ب - تصحيح أوهام النسخ :

١ - جاء في الاصلاح ( ٤١ ) :

« والنفس : أن تنتشر الابل بالليل فترعى ، وقد أنفشتها اذا أرسلتها

بالليل ترعى بلا راع ، وهي لبل نُفَّشَ ، قال الله عز وجل : « إذ نفثت فيه

غنم القوم » . وقال الراجز :

أجرس\* لما يابن أبي كياش\* وتتهي المادة :

ويلاحظ أن البيت الشاهد خال من موضع الاستشهاد ، فليس فيه

كلمة تتصل بالمادة اللغوية التي سبقته ، بيد أن شرح ابن السيرافي يسد النقص

بان يورد أربعة أبيات أولها البيت السابق ، والثاني هو :

فما لما الليلة من\* إنفاش .... ( ١٩ )

( ١٥ ) البلائن : المياه الكثرة . ( ١٦ ) الآقن : البارع اتنام .

( ١٧ ) انظر شرح أبيات الاصلاح ٤٧٧ ، الشاهد ٧٠١ .

( ١٨ ) المصدر السابق ٥٢٧ الشاهد ٨٠٤ .

( ١٩ ) انظر : يوسف بن السرائي وآثاره القنوية والنحوية محمد صالح التكريتي قسم الدراسة

١٠٧ ( عل الآلة الكاتبة )

## ابن السيرافي وكتاب «اصلاح المنطق»

وهذا هو الشاهد ، لكن الناخ اسقطوه ، فلم يظهر في المطبوع .

٢ - وجاء فيه (٥٢) :

« والعَبَلُ : هَدَبُ الأَرْضِ إِذَا غَلِظَ فِي القَيْظِ ، وَاحْمَرَّ ، وَصَلِحَ أَنْ يُدْبَغَ بِهِ ، يُقَالُ : قَدْ أَعْبَلُ الأَرْضَ ، قَالَ ذُو الرِّقَّةِ :

إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ اتَّقَى صَقْرَاتِهَا بِأَفْئَانٍ مَرْبُوعِ الصَّرِيمَةِ مُعْبِلٍ »  
 ويبدو ان معنى البيت يناقض بعضه بعضاً ذلك أن الشمس اذا غابت لا يكرون لها صقرات ، ولا يُحتاج الى اتقاء شدة حرها بالنصون ، إن اللبس حاصل من وهم في اول البيت ، وصوابه كما اورده الشارح ، قال :

« إِذَا ذَابَتِ الشَّمْسُ اتَّقَى صَقْرَاتِهَا . . . . . »

ذابت الشمس : اشتد حرها ، ويُقال : ذاب لعاب الشمس ، وذلك في أشد ما يكرون الحر ، يكرون في الشمس مثل اللعاب ، وقال :

وَذَابَ لِلشَّمْسِ لَعَابُ فَنزَلُ . . . . . » (٢٠)

٣ - وجاء فيه (٥٤) :

« والقَرَنُ أَيضاً : الحَبْلُ يُقَرَّنُ بِهِ البَعِيرُ المَقْرُونُ بِأَخْر ، قَالَ الشَّاعِرُ :

رِغَا قَرَنٌ مِنْهَا زَكَاسٌ عَقِيرٌ . . . . . »

والنص فيه اضطراب لأن القرن يراد به الحبل والشاهد ليس عليه ، والصحيح ما جاء في الشرح ، قال ابن السيرافي :

« قَالَ يعقوب : القَرَنُ : البَعِيرُ المَقْرُونُ بِأَخْر ، وَأُنشِدُ للاعور النبهاني :

أَقُولُ لَهَا أُمِّي سَائِطًا بِأَرْضِهَا - فَيْبَسُ مَنَاخَ النَّازِلِينَ جَرِيرِ

فَلَوْ عِنْدَ غَسَانِ السَّيْطِيِّ عَرَسَتْ رِغَا قَرَنٌ مِنْهَا وَكَاسٌ عَقِيرٌ » (٢١)

(٢٠) المصدر السابق ١٠٨

(٢١) انظر : يوسف بن السيرافي وآثاره ١٠٨ ، وشرح الشاهد ١٣٨ .

٤ - وجاء فيه ( ٢٤٨ ) :

« وَيُقَالُ : قَدْ أَرَهَنْتُ لِحْمِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِذَا أَدَمْتَهُ ، وَيُقْتَالُ : رَهْنَتُهُ أَيضاً ، إِذَا أَدَمْتَهُ لِحْمٍ ، وَهُوَ طَعَامٌ رَاهِنٌ » ، رواه عن أبي عمرو ،  
رَأَشَدُ لِلْأَعْشَى :

لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهِنَةٌ إِلَّا بِهَاتِ وَإِنْ عَدَّوْا وَإِنْ تَهَاوَا »

والنص السابق فيه تحريف في أكثر من موضع ، وهو عند ابن السيرافي كالآتي : « قَالَ يَعْقُوبُ : قَدْ أَرَهَنْتُ لِحْمِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، إِذَا أَدَمْتَهُ لِحْمٍ ، وَقَدْ أَرَهَيْتُهُ أَيضاً عَنْ أَبِي عَيْبَةَ إِذَا أَدَمْتَهُ ، وَهُوَ طَعَامٌ رَاهِنٌ وَرَاهٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ، رَأَشَدُ لِلْأَعْشَى » (٢٢)

[ البيت ]

ونص الشارح أتم وأضبط ذلك أنه صحَّح التحريف في النص الاول وهو : رَهْنَتُهُ ، والصواب : أَرَهَيْتَهُ ، وقوله : وهو طعام راهن رواه عن أبي عمرو ، والصواب طعام راهن وراهٍ عن أبي عمرو . .

ويؤكد صحة نص ابن السيرافي ما رواه الجوهري ، قال في مادة ، رها : « وَأَرَهَيْتُ لِحْمِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِذَا أَدَمْتَهُ لِحْمٍ ، حَكَاهُ يَعْقُوبُ ، مِثْلُ أَرَهَنْتُ ، وَهُوَ طَعَامٌ رَاهِنٌ وَرَاهٍ عَنْ أَبِي عَمْرٍو أَي دَائِمٌ . وَأَشَدُّ لِلْأَعْشَى :

لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا وَهِيَ رَاهِيَةٌ [ البيت ]

ويروى : رَاهِنَةٌ ، يعني الخمر » (٢٣) .

(٢٢) شرح أبيات اصلاح المثلث ٣٥٦ ، الشاهد ٥٠١

(٢٣) الصحاح ٢٣٦٦/٦ . وانظر : اللسان : رها .

٥ - وجاء فيه (٢٨٦) :

« وتقول في المثل : « تسمعُ بالمُعَيدي لا أن تراه » (٢٤) وهو تصغير معَدِّي ، إلا أنه إذا اجتمعت الياء الشديدة في الحرف ، وتشديدة ياء النسبة خُفِّف الحرف المشدد مع ياء التصغير . »

وجاء نص يعقوب السابق في اللسان بالشكل الآتي :

« . . . وقال ابن السكيت : هو تصغير معَدِّي إلا أنه إذا اجتمعت تشديدة الحرف وتشديدة ياء النسبة خُفِّفَت ياء النسبة » (٢٥) .  
ويُفهم من نص الاصلاح أن في معَدِّي ياءين مُشَدَّدتين .  
ويُفهم من نص اللسان ان المخفف ياء النسبة في معَدِّي .

وليس الامر كما ورد في ذينك النصين ، فلنقرأ النص كما ورد عند ابن السيرافي :

« قال يعقوب : وتقول في المثل . . . ، وهو تصغير معَدِّي ، إلا أنه إذا اجتمعت التشديدة في الحرف ، وتشديدة ياء النسبة مع ياء التصغير خُفِّفَت التشديدة » (٢٦) .

هذا هو الصواب ، لان الدال المشددة في معَدِّي هي المقصودة بالتشديدة في الحرف ، اجتمعت هي وياء النسبة مع ياء التصغير ، فَخُفِّفَت ، أعني الدال المشددة ، فصارت : مُعَيدي .

٦ - وجاء فيه (٣٥٧) :

(٢٤) المثل في جبهة الاشغال ١/٢٦٦ لابن هلال المكري ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، مصر ١٩٧٣ م والمستقصى في اشغال العرب ١/٣٧٠ لزمخشري ، حيدر آباد ١٣٨١ هـ  
ومجمع الاشغال ١/١٢٩ ، لبيداني تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ١٣٧٩ هـ  
(٢٥) لسان : معد .

(٢٦) شرح أبيات الاصلاح ٤١٢ ، الشاهد ٥٨٧

« والطريقة أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ، والجمع طرائق ، قال الأعشى :

طريق وجبارٌ رِوَاةٌ أصوله عليه أباييل من الطير تنعب ،  
والشاهد لا ينجم والمادة اللغوية التي سبقته ، فليس فيه موضع استشهاد ،  
مما يدل على وجودهم فيه ، وإنه كذلك ، وهذا نص ابن السيرافي يُصَحِّحُه ،  
قال :

« قال يعقوب : الطريقة .... والجمع طريق ، قال الاعشى [ البيت ] (٢٧)  
ويؤكدُه ورود ( طريق ) في الشاهد ، وورود النص عند الجوهري ،  
قال « قال أبو عمرو : الطريقة أطول ما يكون من النخل بلغة اليمامة ، حكاها  
عن يعقوب والجمع : طريق » ، قال الاعشى ( ٢٨ ) البيت .  
٧ - وجاء فيه ( ٣٥٩ ) بيت لأبي ذؤيب بالصورة الآتية :

يراني ناصحاً فيما بدا وإذا خلا فذلك سكين على الخلق حاذق  
وأول الصدر فيه انكسار الوزن ، والصواب : يُرى ناصحاً ... كما  
رواه ابن السيرافي وغيره (٢٩) .  
٨ - وجاء فيه ( ٤٠٦ ) :

« وافعل بحدائث ذلك الامر ، وبربّان ذلك الامر ... »  
وعبارة ( بحدائث ) إيت صوابا ، يُصَحِّحُها نص ابن السيرافي ،

(٢٧) المصدر السابق ٤٦٩ ، الشاهد ٦٨٥ .  
(٢٨) الصحاح ١٥١٣/٤ . طرق . تحقيق احمد عبد النفور عطار ، دار الكتاب العربي بدمشق .  
(٢٩) انظر : شرح أبيات الاصلاح ٤٧١ الشاهد ٦٨٨ ، وديوان أبي ذؤيب ٢١ نشر يوسف هلي هانوفر ١٩٢٦ م .  
وشرح أشعار المذللين ١٥٦ للكروي تحقيق عبد السراحد فراج ، القاهرة ١٣٨٤ هـ  
والاشتقاق لابن دريد ١٦٩ تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ م واللسان : سكن

وهو : « قال يعقوب : افعلْ ذلك يَحِدْ ثَان ذلك الامر وَيُرْبَاهُ ..... » (٣٠).

ويؤيده ما اورده الجوهرى ، قال :

« ابن السكيت ، يُقال : افعلْ ذلك الامر بِرُبَّانَه — مضومة الراء —

أَمْي يَحِدْ ثَانَه وَجِدْ تَهٍ وَطَرَاءِ تَهٍ ... » (٣١) .

ج — تصحيح الرواية

١ — جاء في الاصلاح ( ٢٣٢ ) :

« وَيُقَال : ما أَنْقَرَ عَنْهُ ، أَي ما أَقْلَعَ عَنْهُ ... قال الشاعر :

.....  
وما أَنَا عَنْ أَعْدَاءِ قَوْمِي بِمُنْتَقِرٍ »

وأورد الشارح المادة السابقة وشاهدها ، ثم قال :

« وهذا البيت أنشده أبو زيد لنزيب بن زعيم الطهوي :

لَعَمْرُكَ مَا وَنَيْتُ فِي وَدَّطِيَّةٍ      وما أَنَا عَنْ شَيْءٍ عَنَانِي بِمُنْتَقِرٍ » (٣٢)

٢ — وجاء فيه ( ٢٤٧ ) :

« قد أسجد الرجل والبعير إذا طأطأ رأسه ، وانحنى ، قال حميد بن

ثور :

فَضُولَ أَزِمَتْهَا أَسْجَدَاتٌ      سجود النصارى لأربابها » (٣٣)

وعقّب الشارح على البيت السابق بقوله :

« كذا أنشده : لأربابها بالباء ، والقصيدة رائية ، وقبل هذا البيت :

(٣٠) شرح أبيات الاصلاح ٥١٨ ، الشاهد ٧٨٠ .

(٣١) الصحاح ١٣١/١ : ريب

(٣٢) شرح أبيات الاصلاح ٣٣٠ الشاهد ٤٦٣ ، وانظر : نوادر أبي زيد ١١٩ تحقيق سيد

الشرطوني ، بيروت ١٣٨٧ هـ ، واللسان : نقر

(٣٣) عل هذه الرواية في الصاجي ٤٦ ، ابن فارس المكتبة السلفية ، القاهرة ١٣٢٨ هـ

فلما لَوَيْنَ عَلَى مِعْصَمٍ وَكَفَّ خَضِيبٌ وَأَسَوارها  
فُضُولَ أَرْمِيَتِها أَسْجَدْتُ سَجودَ النَّصارى لِأَجْبارها (٣٤)  
هذا هو الرواية . وهذا سهوٌ وقع منه عند الانشاد « (٣٥) .

٣ - وجاء فيه ( ٣٠٨ ) :

« وقد اتَّهَمَ القَوْمُ ، إذا اتَّروا نِيْهامةً ، قال العبدى :  
وإن تُتَّهِمُوا أنْجِدْ خِلافاً عَلَيْكُمْ وإن تُعْمِنُوا مستحقبي الحرب أَعْرَقُ »  
وأورد الشارح المادة وأعقبها ببينين ، أولهما :  
أَكَلْتَنِي أدواءَ قَوْمٍ تَرَكَتَهُمْ فَلَمَّا تَدَارَكْتَنِي مِنَ البَحْرِ أَعْرَقَ  
والثاني : الشاهد : فإن تتهموا أنجد ....

وقال بعدهما : « الذي أنشد في كتاب المنطق : فإن تتهموا على  
الخطاب ، والذي في شعره :

فإن يُتَّهِمُوا أنْجِدْ خِلافاً عَلَيْهِمْ . والمعنى عليه « (٣٦) .

٤ - وقال يعقوب ( ٣٩٦ ) :

« الفرغان : سجستان وخراسان ، قال حارثة بن بدر الغُداني :

على أحد الفرجين كان مؤمري .....

في نسبة الشاهد ، وفي روايته غلط ، صحَّحه ابن السبراني ، حيث  
أعقب النص السابق بقوله :

« هذا البيت لأنس بن زُئيم ، وهذا الذي أنشده يعقوب بعض يثين ،  
وفي هذا الانشاد فساد ، قال أنس بن زُئيم :

(٣٤) البيتان في ديوانه ٩٦ تحقيق عبد الميزان الميني ، القاهرة ١٣٨٤ هـ والانتصاب ١٨٦

لابن السيد البليوسي ، بيروت ١٩٧٣ م

(٣٥) شرح أبيات الإصلاح ٣٥٤ ، الشاهد ٤٩٧ .

(٣٦) المصدر السابق ٤٢٨ ، الشاهد ٦١٠ .

بَعَدَتْ تُتْرَضِي عَنْ جِهَادٍ وَصَاحِبٍ مُرَاسٍ قَدِيمٍ السُّودَ كَانَ مُؤَمَّرِي  
عَلَى أَحَدِ الْمَرَجِينَ ثُمَّ تَرَكْتُهُ وَقَدْ كُنْتُ فِي تَأْمِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَرِي « (٣٧)

وَعَرَّجَ الشَّارِحُ بَعْدَ الْبَيْتَيْنِ إِلَى ذِكْرِ مَنَاسِبِهِمَا .

وَقَدْ فَصَّلَ الْأَصْفَهَانِيُّ الْقَوْلَ فِي مَنَاسِبَةِ الشَّاهِدِ (٣٨) ، مِمَّا يُؤْتَقَرُّ رِوَايَةُ

ابن السيراني وتصحيحه النسخة .

٥ - وَجَاءَ فِي الْإِصْلَاحِ (٤٠٧) :

« وَقَدْ جَهَّجَهُ بِالسَّبْعِ ، وَقَدْ هَجَّجَهُ بِالسَّبْعِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ ، قَالَ

لِيَيْد :

أَوْذِي زَوَائِدَ لَا يُطَافُ بِأَرْضِهِ يَغْشَى الْمُهْجَهَّجَ كَالذَّنُوبِ الْمُرْسَلِ »

قَالَ الشَّارِحُ بَعْدَ تَفْسِيرِهِ الْبَيْتَ :

« وَرَأَيْتُهُ فِي كِتَابِ الْمَنْطِقِ ، وَفِي شِعْرِ لِيَيْدَ : أَوْذِي ، بِالْجَرِّ ، وَقَبْلَ

هَذَا الْبَيْتِ :

أَوْ كَانَ شَيْءٌ خَالِدٌ لَتَوَأَلَتْ عَصَاءٌ مِرَافِقَةً ضَوَاحِيَّ مَأْسَلِ

بِظُلُوفِهَا وَرَقُ الْبَشَامِ وَدَوْنِهَا صَعْبٌ تَزَلُّ سِرَاتُهُ بِالْأَجْدَلِ

أَوْ ذِي زَوَائِدَ لَا يُطَافُ بِأَرْضِهِ يَغْشَى الْمُهْجَهَّجَ كَالذَّنُوبِ الْمُرْسَلِ

وَعِنْدِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكْرَنَ : أَوْ ذُو عَطْفًا عَلَى عَصَاءٍ ، يَقُولُ : لَوْ كَانَ

شَيْءٌ نَاجِيًا لَنَجَّتْ عَصَاءٌ أَوْ ذُو زَوَائِدَ ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى الْأَجْدَلِ

لِفَسَادِ الْمَعْنَى « (٣٩) .

(٣٧) شرح أبيات الاصلاح ٥٠٣ الشاهد ٧٥٢ .

(٣٨) انظر : الاغانى ١٥/٢١ - ١٦ ، أبو الفرج الاصفهاني ، تصحيح الشنيطي ، مطبعة

التقدم ، مصر ١٩٠٥ م

(٣٩) شرح أبيات الاصلاح ٥١٨ - ٥١٩ الشاهد ٧٨٢ .

الدكتور محمد صالح التكريتي

وجدير بالذكر ان رواية الاصلاح : أو ذي ، بالجـر ، كما ذكر الشارح ،  
ويبدو أن الرواية صُحِّحَتْ بعد ابن السيرافي ، فقد وردت على الصحة في  
اكثر من موضع (٤٠) .

د- تصحيح النسبة

١- جاء في الاصلاح ( ١٥٣ ) :

« .... يُقال : قد زَنَّا : يَزْنَانَا زَنَانًا اذا صَعِدَ في الجبل ... قالت امرأة  
من العرب وهي تُرْتَصُّ بِنَيِّا لها :  
أشبهُ أبا أمك أو أشبه عملي » [ الأبيات ] .

رصحح ابن السيرافي نسبة الأبيات ، قال :

« ذكر يعقوب أنه لامرأة ، وإنما هو لرجل رأى ابنا له ترقصه أمه ،  
فأخذه من يدها ، وقال : أشبه أبا أمك . يخاطب ابنه ، وكان أبو أمه شريفا  
سيِّدا ، يقول : أشبه أبا أمك أو أشبه عملي . والرجل هو قيس بن عاصم  
المنقري ، وكان أخذ صبيًا يرقصه وأم ذلك الصبي منقوسة بنت زيد الفوارس  
ابن حصن بن ضيرار الضبي ، فجعل قيس يقول :  
أشبه أبا أمك ... » (٤١) .

٢- وأورد صاحب الاصلاح ( ٢٧٣ ) عجز بيت لعبدة بن الطيب وهو :

عن قاني لم تخزنته الأحاليل

وروى ابن السيرافي البيت كاملا ، وهو :

نُمِرَ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلِّ عَنْ قَانِي . . . .

(٤٠) ورد البيت بالتصحیح ، أو ذر زوائد في شرح ديوان لبيد ٢٧٢ تحقيق احسان عباس  
الكويت ١٩٦٢ م وحامدة البحري ١١٨ ، تحقيق كمال مصطفى ، مصر ١٩٢٩ م والمان :  
هيج .

(٤١) شرح أبيات الاصلاح ٢٥٤ الشاهد ٣٤٤ ، وانظر : نوادر ابي زيد ٩٢ . واللسان : زنا .

وفتره ، ثم قال :

« وأنشده يعقوب لعبدة ، وهو لكعب بن زهير » (٤٢) .

والصحيح نسبته الى كعب كما ذكر صاحبنا ، فالبيت في ديوانه ، وهو الثاني والعشرون من قصيدته المشهورة في مدح الرسول (ص) ، وهي بانث سعاد (٤٣) .

هـ - إكمال النقص في التحقيق

١ - جاء في الاصلاح (٤٩) :

« والنقدُ : أكلٌ في الضرس ، ويكون في القرن أيضا ، واستشهد له يعقوب بيت صخر النفي الهللي :

تيسُ تَيُوسٍ إذا يناطحُها يَألمُ قَرْنَا أرومُهُ نَقِيدُ

وضُبطت كلمة (تيسُ) بالرفع في الاصلاح ، وضبطها الشارح بالنصب وقال بعد تفسير البيت :

« تيسُ تَيُوسٍ منصوب على الِذم ، وقبل هذا البيت :

في المَرْزِيّ الذي حَشَّتْ بِهِ مالَ ضْرِيكٍ تِلَادُهُ نَكِيدُ (٤٤)

وكان قتل رجلا من مزينة ، فلامه قومه ، فقال قصيدة يهجو فيها المَرْزِيّ ، (٤٥) ويبدو أنه لم يرجع الى المعجم في ضبط الشاهد ، فالكلمة مقيدة بالنصب عند الجوهري ، وقال بعد البيت :

(٤٢) شرح أبيات الاصلاح ٣٩٩ ، الشاهد ٥٦٤ .

(٤٣) ديوان كعب بن زهير ١٣ مصور عن طبعة دار الكتب ، نشر الدار القومية القاهرة ١٣٨٥ هـ ، وانظر : اللسان : حلال .

(٤٤) يقال : حششت ماله بئال فلان اي كثرت به . الضريك : الفقر الجائع . التلاد : المال القديم الموروث من الآباء . التكد والتكد والتكد : الشزم والمسوم وكل شيس . جر عمل صاحبه شراً فهو تكد . انظر : اللسان : حشش . شرك . تكد . تكد .

(٤٥) شرح أبيات الاصلاح ٩٩ الشاهد ١١٩

الدكتور محمد صالح التكريتي

« ونصبَ تيسَ على الذم » (٤٦) وهو ما نص عليه ابن منظور أيضاً (٤٧) .  
٢ - وجاء فيه (٢١٤) :

« ويُقال : سِرِيَ الرجل يَسِرُ ، ولا : يَسِرُ ، وسَرُو : يَسِرُ كله  
غير مهموز ، قال :

وإبن السَّرِي إذا سَرِيَ أسراهما . . . . .

أورد يعقوب عجز البيت ، وضُبُطت ( السَّرِي ) في المطبوع بضم السين  
المشددة . وعليه يكون البيت من الرجز ، ويؤيد ذلك ان المحقق اورد الشاهد  
في فهرس الرجز (٤٨) .

أما عند ابن السيرافي فقد ورد البيت بتمامه ، وهو :

إنَّ السَّرِيَّ هو السَّرِيُّ بنفسه وإبن السَّرِيَّ إذا سَرِيَ أسراهما (٤٩)  
فالصواب إذن : وإبن السَّرِيَّ بفتح السين المشددة وكسر الراء وتشديد  
الياء ، وعليه يكون البيت من البحر الكامل لا الرجز ، وصدوره يثبت ذلك .  
٣ - واستشهد يعقوب ( ٢٣٢ ) لقولهم : أداله : يأدو له أدواً إذا ختله  
باليث الآتي :

أدوتُ له لآخذَه فِهياتَ الفتى حذراً

وقال بعد البيت : « نصبه على الحال » .

وضُبُطت الكلمة الاخيرة في البيت ( حذراً ) بفتح الذال ، على  
المصدرية وليس الامر كذلك ، لان المراد الوصف .  
وضُبُطت عند ابن السيرافي بضم الذال ( حذراً ) قال :

(٤٦) الصحاح ١٨٦٠/٥ : أرم .

(٤٧) اللسان ٢٨٠/١٤ أرم .

(٤٨) انظر : اصلاح المطلق ٥١٢ .

(٤٩) شرح أبيات الاصلاح ٣١٤ ، الشاهد ٤٤٢ .

ابن السيرافي وكتاب « اصلاح المنطق »

« هذا البيت أنشده يعقوب بنصب حذراً ، وعلى ذلك أنشده جماعة من  
اهل اللغة والرواة ، وأنشده المفضل بن سلمة :  
فهيئات الفتى حذراً

وحكاه عن الاصمعي ، وحكي عن أبي زيد النصب : حذراً ، نصب  
على الحال ، والعامل فيها : هيئات » (٥٠) .

هذا بضم الذال وضبط عند القالي (٥١) والجوهري وصاحب السمط (٥٢)  
بكر الذال . قال الجوهري بعد البيت :

« وتَصَبَّ ( حذراً ) بفعل مضمر ، اي لا يزال حذراً ، ويجوز نصبه  
على الحال ، لان الكلام قد تم بقوله : هيئات ، كأنه قال : بعد عني وهو  
حذراً » (٥٣) .

وضُبط في اللسان بكسر الذال أيضاً ، فمن أين جاءت فتحة الذال في  
الاصلاح المطبوع ؟ ولماذا الفتحة ؟ الضم والكسر كلاهما صواب . قال  
ابن منظور : « رجل حذِرٌ وحذُرٌ ... متيقظ شديد الحذر والفرع » (٥٤) .  
٤ - وجاء فيه ( ٢٧٣ ) :

« جاء في الحديث : « كان رسول الله (ص) يتخوئنا بالمرعظة » أي  
يُصلحنا بها ، ويقومُ علينا بها ، وكان الاصمعي يقول : يتخوئنا اي  
يتعهدنا » .

وآخر النص عند الشارح : « .... وكان الاصمعي يقول : فلان

(٥٠) المصدر السابق ٣٣١ ، الشاهد ، ٤٦٤

(٥١) الأملال ٢/٢٧٤ ، دار الكتب المصرية ١٣٤٤ هـ (٥٢) سمط اللال ٣٦٩ ، ٩١٤ ،

أبو عبيد اليكري تحقيق عبد العزيز الميني ، لجنة التأليف والترجمة ١٣٥٤ هـ .

(٥٣) الصحاح ٦/٢٢٦٥ : أدا .

(٥٤) اللسان ٥/٢٤٨ : حذر .

الدكتور محمد صالح التكريتي

يَتَخَوَّنَا « (٥٥) . بنونين ، ويبدو أن مجيء الفعل في الحديث باللام كان السبب في إيراد قول الاصمعي باللام أيضاً . لكن الذي يؤيد صحة رواية ابن السرافي ما ذكره الجوهري قال :

« ... والتخولُ : التعهد ، وفي الحديث ( كان النبي (ص) يتخولنا بالموعظة مخافة السأمة ، وكان الاصمعي يقول : « يتخوننا » بالنون ، اي يتعهدنا » (٥٦) ونجد الاخير قد نص على النون دفعا لما يتوهّم انه باللام مثل ما حصل في الاصلاح المطبوع .

٥ - وجاء فيه ( ٢٩١ ) :

« وتقول للرجل اذا استردته من حديث أو عمل : إيه ... فاذا أسكتته وكففتته قلت : إيهأ عنا ، فاذا أغويته بالشيء قلت : ويها يا فلان » . وأورد يعقوب شواهد على ذلك منها :

وهو إذا قيل له ويها قُل  
فانني أحجوبه أن يتكلم

وفيما سبق تصحيفان احدهما في نص يعقوب ، والاخر في البيت الاول اما النص فيه : فاذا أغويته بالشيء . . . والصواب فاذا أغريته (٥٧) وفرق بين الاغواء والاعراء .

واما الشاهد فقيه ... قيل له ويها قُل . والصواب : ويها قُل بالفاء ،

(٥٥) شرح أبيات الاصلاح ٣٩٧ .

(٥٦) الصحاح ١٦٩٠/٤ : غول .

(٥٧) قال ابن السرافي نقلا عن يعقوب :

« وتقول اذا أغريته بالشيء : ويها يانلان . . . » شرح ابيات الاصلاح ٤٢١ ويمرزه

قول الجوهري : « . . . وإذا أغريت إنسانا بشيء قلت : ويها يانلان » الصحاح

٢٢٥٧/٦ : ويه ، وانظر اللسان ٤٦٠/١٧ : ويه .

(٥٨) شرح أبيات الاصلاح ٤٢٢ الشاهد ٦٠٢ وانظر : الصحاح واللسان السابقين .

ابن السيرافي وكتاب « اصلاح المنطق »

قال ابن السيرافي : « ... وقوله : قُلْ : يريد يا فلان وحذف حرف النداء ،  
والعرب تجعل في النداء خاصة فل موضع يا فلان ... » (٥٨) .  
٦ - وجاء فيه (٣٦٠) :

« والعسل يذكر ويؤنث ، قال الشماخ :

كَانَ عَيُونَ النَّاطِرِينَ تَشَوِّفَهَا بِهَا عَعْلٌ طَابَتْ يَدَا مَنْ يَشُورُهَا

قوله : بها يعني بالمرأة ، أي تشوفها. العيون »

وعبارة ( تشوفها ) في البيت وبعده تصحيف ، والصواب : تشوقها  
بالتفاف في الموضعين ، قال ابن السيرافي :

« والمعنى : كان عيون الناظرين الى هذه المرأة تشوقها عَعْلٌ ، فهذه  
المرأة تشوق عيون الناظرين لينظروا إليها ... » (٥٩) .

وعلى الصحة ورد البيت في مصادر تخريجه (٦٠) .

وبعد : فرب سائل يسأل : لِمَ تُنشر مثل هذه التصحيحات ، وما  
قيمتها ؟ فنجيب :

نشرها لأهمية إصلاح المنطق اللغوية ، فهو من أمات كتب اللغة ، ونواة  
المعجم العربي ، ولانه محقق على أربعة اصول قيّمة من قبل اثنين من رواد  
التحقيق وعلماؤه المعاصرين هما الاستاذان عبدالسلام محمد هارون واحمد  
محمد شاکر .

وطبيعي أنهما لم يألوا جهداً في تصحيحه ، وضبطه وتنقيحه ، لكنه  
على الرغم مما بذلاه - مشكورين - من جهد ، يظل الكتاب في حاجة الى  
١٠ قدمنا من تصحيحات . آملين أن يُفاد منها في المستقبل .

(٥٩) شرح آيات الاصلاح ٤٧٢ ، الشاعر ٦٩١ .

(٦٠) انظر : ديوان الشماخ ١٦٣ تحقيق صلاح الدين الهادي ، دارالمعارف بدمر ١٩٦٨ م  
والمحكم ٣٠١/١ ، واللسان : عل .

# مفهوم البلاغة

## لغة واصطلاحاً

الكتور محمد هادي رياض

كلية الآداب - جامعة بغداد

### المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يبدو الموضوع معاد مكروراً ، لأنه الآسن حتى عانته ، وملكت به الاسماع حتى مجته ، وهو كذلك حقاً وصدقاً ، فقد تناوله اللغويون الأوائل منذ شرعوا في جمع مواد اللغة ومفرداتها ، وبذلوا ما بذلوه في إيضاح دلالاتها ، وأرسي اللاحق منهم على ما ذكره السابق ، حتى لم تعد هناك زيادة لستريد .

وعني البغاء بها عناية اللغويين واكثر ، فلم يكفوا بإيضاح دلالة البلاغة في العربية ، وإنما ذكروا ما عرفوه عنها في غيرها من اللغات. وما نقله الجاحظ من سؤالهم الفارسي ، واليوناني ، والرومي والهندي عما تعنيه البلاغة عندهم خير ما يشل هذه العناية .

كيف لا يعني البغاء والبلاغيون بها مثل هذه العناية ، وهي بلرة البحث البلاغي ، والاساس الذي يستد اليه ، فلا غرابة ان قلت فيها اقوال وأقوال على تعاقب الازمان والاجيال ، حتى استوت علوم البلاغة ، واستقرت مصطلحاتها عند متأخري البلاغيين ، الذين ورثوا التراث البلاغي ، وخلفوه لنا بعد أن أشبعوه بحثاً وتدقيقاً ، وانتهوا به الى ما انتهوا من كثرة موضوعاته وتنوعها ، والتنان بتفريع فروعها ، وشغف بحدودها وتعريفاتها ، وأشارت الى اصولها اللغوية ،

وتنافس في اختصار مرادها ، وشرحها ، والتعليق عليها ، وتدوين الحواشي على تلك الشروح والتعليقات وبذل ما بذل من جهد ووقت في ذلك كله .

وجاء العصر الحديث ، فاكتفى اكثر المحدثين والمعاصرين من المعنيين بالبلاغة والتأليف المدرسي فيها ، بأخذ هذا الذي انتهى اليه اولئك المتأخرون لغة واصطلاحا ، ومنهم من عرج على لسان العرب لابن منظور ، ليأخذ منه ما يوثق به الدلالة اللغوية التي ذكرها لهذا المصطلح او ذلك ، لكونه موسوعة ضمت خمسة من المعاجم اللغوية الكبيرة التي سبقتة . وتهيأ لهم بهذا قد احاطوا علما بدلالاتي المصطلح : اللغوية والاصطلاحية ، ماداموا قد وقفوا على آخر ما انتهت اليه اللغة والبلاغة في دلالاته . وفاتهم أن أولئك البلاغيين كانوا قد نبهونا الى أن البلاغة لم تنضج ، ولم تحترق ، خلافا لاكثر فروغ العربية ، التي تتم على ايديهم نضجها واحتراقها ، فكأنهم بهذا قد حملوا امانة النظر فيما قالوه فيها ، وانضاجه بالبحث والدواسة ، وتلافي ما ينتقصها مما لم يهتدوا اليه ، أو يقرولوا فيه .

كما فاتهم أن في غير اللسان من المعاجم ما ليس فيه ، وان العربية لغة اشتقاقية ، تتألف من أسر او مراد لغوية ، ومعرفة اللفظ المفرد فيها لاتزيد على معرفة فرد من الافراد في اسرة من الاسر ، لاتعد شيئا اذا ما قست بمعرفته ، ومعرفة الاسرة كلها بجميع افرادها . ومن المعاصرين من ساير المصطلح ، ووقف على دلالاته ، وما قبل فيها ، وجمع النصوص الشعرية والنثرية التي ورد فيها ، مبتدئا باقتسامها الى آخر ما انتهى اليه أمره ، عندما استقرت لهذه المصطلحات دلالاتها الاصطلاحية . غير ان العوول على المعاجم اللغوية ظل مقتضرا على اللسان او كاد ، في عدد غير قليل من الرسائل الجامعية التي لم تتناول مصطلح البلاغة .

ولأريد بهذا كله ، أن أقلل من أهمية جهود الآخرين ، فالوقوف على ما انتهى اليه اولئك العلماء الاعلام ، من البلاغيين المتأخرين ، ضرورة لاغنى لنا عنها ، بعد الذي أشرنا اليه من جهودهم فيها ، تلك الجهود التي نتمنى لو

الدكتور محمد جابر فياض

أنا جدنا على البلاغة ومصطلحاتها بما يقرب منها ، غير أن هذا لا يعني أخذ كل ما قالوه من غير ما فحص ولا تدقيق ، وكأنه بديهية من البديهيات ، أو مسلمة من المسلمات بعد الذي رأيناه من قولهم أن البلاغة لم تنضج ولم تحترق .

ومسيرة المصطلح ، والوقوف على دلالاته في السياق الذي ورد فيه ، وترتيب النصوص التي تضمنته ، بحسب تسلسلها الزمني قبل أن يتخذ مصطلحا محدد الدلالة ، تأتي الضوء على تطوره الدلالي في مراحلها المختلفة ، فيما تبرزه وتبرز وجهة النظر الأدبية أو الفنية فيه . والبلاغة فن القول ، وصياغة الكلام ، أن تكون شيئا آخر . ولكن هذه المسيرة تفقد غير قليل من أهميتها ، إذا ما اقتصر البحث على مجرد الجمع والترتيب ، من غير ما مفاضلة ، أو ترجيح ، أو أساك بخيط التطور الدلالي ، الذي يربط بين دلالات المصطلح المختلفة باختلاف العصور .

فالوقوف على الدلالات اللغوية والاصطلاحية ، أمر على غاية من الأهمية ، ولا يقل الوقوف على ما بينهما ، أكون المصطلحات البلاغية - كما يبدو لي - لم ترتجل ارتجالا ، منقطع الصلة عن معانيها اللغوية ، وإنما اختيرت اختيارا ، وانتقيت انتقاء . ولاختيارها وانتقائها مبررات مقنعة ، تحسب لبلاغتنا العربية ، لاعليها . فإن لم نكشف اللثام عن هذه الصلة ، ظلت الحيرة في الأذهان ، أن لم تجر على اللسان . ولتدخيت هذه الصلة على كثير من المعنيين بالبلاغة ، أو بدت غير واضحة ، أو مقنعة لهم ، لدرجة صارت معها موضوع أخذ ورد في بعض المجامع اللغوية . فلقد تساءل استاذي الدكتور عبد الرزاق محيي الدين عضو المجمع العراقي ورئيسه السابق - في بحث له نوقش في المجمع - عن مفهومي البلاغة والنصاحة فقال : في مقدمة مايلور في نفسي مراجعته ، هذان المصطلحان : كلمتا (النصاحة) و (البلاغة) ، ماذا تعنيان ؟ وبأي شروط يتحقق مفهومها ؟ وما واقع الصلة - في حدود شروطه - بالآثار الأدبية قديماً

وحديثاً؟ وهل هناك احساس بالصلة بينهما، وبين الاثر الادبي عند الحكم عليه (١)؟  
وقام الزميل الدكتور أحمد مطلوب بدراسة المصطلحات البلاغية الاربعة الرئيسة:  
البلاغة والنفصاحة والبيان والبديع في كتاب خاص بها (٢). ولو انضحت هذه  
المصطلحات وضوحاً كافياً لغة واصطلاحاً، وبانت الصلات بين معانيها اللغوية  
والاصطلاحية لما كان من تساؤل المجمعين، وتأليف المؤلفين، بعد الذي قيل  
فيها قديماً وحديثاً.

ولست ازعم أن محاولتي المتواضعة هذه، يمكن أن توصل الباب بوجه  
أقوال اخرى يمكن أن تقال في البلاغة، كما لا أزعّم أنها يمكن أن تستحدث  
لها دلالة لغوية أو اصطلاحية جديدة، ولكنها محاولة تتجهج منها آثرته على  
غيره، قوامه التحقق من مادة اللفظ اللغوية كلها في المعاجم المختلفة، لتبين صلة  
اللفظ بمادته، ودلالته اللغوية، بالدلالة الاصطلاحية.

فاهمية هذا الموضوع — عندي — لا تنحصر في إيضاح ما بدأ مشوباً بشيء من  
الغموض في دلالته، ولا في إبراز الصلة بين دلالته، وإنما تتجاوزهما إلى إبراز  
المنهج الذي آثرته وأثره، ولا اتردد في الدعوة إليه، في دراسة المصطلحات  
البلاغية كلها.

ولم تتناول المحاولة هذا المصطلح لأهميته فحسب، وإنما لأن ما قيل فيه  
أكثر بكثير مما قيل في غيره، وإذا اتسع مجال القول فيه، فهو في غيره أوسع.  
فهي بهذا تكرر قد جاءت بالمنهج مقروناً باختباره بأصعب ما يمكن أن يواجهه  
في واقعه التطبيقي، فإذا ما ثبت فضله على ما سواه، أخذنا به، والاعداء عنه —  
غير آسفين — إلى غيره، فلا خير في منهج مفترض، لا يأخذ طريقه إلى التطبيق،  
أو طبق فلم نلتمس له على غيره فضلاً.

(١) مفاهيم بلاغية .

(٢) مصطلحات بلاغية .

الدكتور محمد جابر نياض

ولا اراني مغالياً اذا ما قلت ان اخذي به أثبت لي - في الاقل - فضاه وجدواه . فتحن الى هذا اليوم نردد ما لقناه من أن البلاغة لغة من الرصول والانتهاه من بلغت المكان ، أو الزمان ، أو المقام بلوغاً : اذا وصلت اليه .. وظلت الكتب البلاغية القديمة منها والحديثة ، لاترى للبلاغة أصلاً لغريباً ، غير دلالة البلوغ على الرصول والانتهاه ، وكأن البلاغة مجرد ايصال المعنى الى ذهن السامع أو القارئ . واشترطت الفصاحة في الانفاظ الموصلة للمعنى في عملية ترقيع لما في هذا المفهوم من قصور عن الوفاء بدلالة البلاغة والا فابلوغ بمعنى الرصول والانتهاه لا يلزم بذاته بهذا الذي اشترط ، ومع هذا فقد ظل هذا المفهوم - بعد اشتراط الفصاحة - قاصراً عن ان يبالغ شأو المفهوم الاصطلاحي : « مطابقة فصيح الكلام لما يقضيه الحال » ففي المصطلح تميز الكلام لانتميه في المفهوم اللغوي . وبدت الصلة بين الداليتين واهية ضعيفة ، لاننا لانتمت الكلام بالبلاغة لمجرد ظهور معناه ووصواه الى ذهن السامع أو القارئ وانما نعت بها الكلام المتميز ، الذي يبالغ من نفوسنا ما لا يباخه الكلام العادي .

ولو اتنا فحصنا المادة اللغوية فحصاً دقيقاً ، ومحصناها تمحيصاً متأنياً ، لأنتهينا الى ان البلاغة - لغة - من البلوغ ، بمعنى النضج والاكتمال ، وليست من مجرد الرصول أو الانتهاه ، فالكلام البليغ : هو الكلام المكتمل البليغ ، كالبليغ من كل شئ . وبهذا نتهي الى المطابقة التامة بين الداليتين اللغوية والاصطلاحية ، وما ألفه الناس في حياتهم من اطلاق البليغ على الكلام المتميز بنضجه واكماله .

## البلاغة لغة

ذهب ابن فارس - ٣٩٥ هـ محققاً - الى القول بأن « الباء واللام والغين اصل واحد صحيح ، وهو الوصول الى الشئ » . تقول : بلغت المكان ، اذا وصلت اليه ، وقد تسمى المشاركة بلوغاً بحق المقاربة . قال الله تعالى : ( فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف [ ٢ الطلاق ٦٥ ] . ومن هذا الباب قولهم : هو أحق بلغ : أى انه مع حماقته يبلغ ما يريد . والبلغة : ما تبلغ به من عيش ، كأنه يراد أنه بلغ رتبة المكث ، اذا رضى وقنع ، وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان ، لانه يبلغ بها ما يريد » ( ١ ) .

وهكذا نص صراحة على ان المادة اللغوية كلها ترجع الى الوصول لا البلاغة وحدها .

والى مثل هذا ذهب الراجب الاصفهاني - ٥٠٢ هـ ، فقال :  
 البلوغ والبالغ : الانتهاء الى اقصى المقصد والنتهى ، مكانا او زمانا او أمراً من الامور المقدرة . وربما يعبر به عن المشاركة عليه ، ان لم ينته اليه . فمن الانتهاء : بلغ أشده ، وبلغ اربعين ، وقوله عز وجل : « فاذا بلغن أجلهن فلا تعضلوهن » [ ٢٣٢ البقرة ٢ ] ، و « ما هم ببالغيه » [ ٥٦ غافر ٤٠ ] ، « فلما بلغ معه السعي » [ ١٠٢ الصافات ٣٧ ] ، « لعلني أبلغ الاسباب » [ ٣٦ غافر ٤٠ ] ، « أيمان علينا بالغة » [ ٣٩ القلم ٦٨ ] : أى منتهى في التوكيد .

واما قوله عز وجل : « فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف » [ ٢ الطلاق ٦٥ ] فللمشاركة ، فانها اذا انتهت الى أقصى الاجل ، لا يصح للزوج مراجعتها

(١) القاميس - مادة ( بلغ ) .

واما كها (٢) .

والى مثل هذا ركن مجمع اللغة العربية في القاهرة حيث جاء في معجمه :  
بلغ الشيءُ يبلغُ بـلرغاً - من باب قعد - وصل اليه ، زمانا كان هذا الشيء  
أو مكانا ، أو غيرهما ، حيا أو معزيا فهو بالغ ، وهي بالغة ، وهم بالغون .  
وقد جاء في لفظ بالغ في القرآن كلمتان ، يراد بهما شارف وقارب الوصول  
ومستكران في موضعهما . وما عدا ذلك معناه وصول اليه . (٣)

والمعاجم اللغوية مجمعة على ربط معظم مفردات المادة بالوصول أو الانتهاء  
وما يتصل بهما من اقدم هذه المعاجم الى احداثها - على تفاوت بينها - ولم تنفرد  
المعاجم الثلاثة التي ذكرتها بهذا الربط الذي اشترت اليه . ففي العين :  
أبلغته ابلاغاً ، وبلاغته تبليغاً ، في الرسالة ونحوها . . . والمبالغة أن تبليغ من  
العمل جهده . . . (٤) .

وفي الجوهرة : « وبلّغت الرسالة تبليغاً . . . ومن أمثالهم : أحقق بلغ :  
أي أحقق بياغ ما يريد . والبلغة : القوت ، يتبلغ به الانسان » . (٥) .  
وفي التهذيب : . . . ويقال بلغت القوم الحديث بلاغاً : اسم يقوم مقام  
التبليغ . . . ويقال : بلغ فلان ، اذا جهد . . . (٦) .  
وفي الصحاح : « . . . بلغت المكان بلوغاً : وصلت اليه ، وكذلك اذا شارفت  
عليه . . . والابلاغ : الايصال ، وكذلك التبليغ . والاسم منه البلاغ . . . (٧) .  
وفي الاساس : « أبلغه سلاهي ، وبلغه . . . ووصل رشاهه بتبليغة : وهو جبل

(٢) المفردات - المادة ذاتها .

(٣) معجم الفاظ القرآن - مادة بلغ .

(٤) المادة ذاتها .

(٥) المادة ذاتها .

(٦) المادة ذاتها .

(٧) المادة ذاتها .

يرصل به حتى يبلغ الماء ، وهو الدرك . ولا بد لأرشيتمكم من تبلغ . . . (A) .  
وفي اللسان : « . . . بلغ الشيءُ ببلوغاً ، وبلاغاً : وصل وانتهى ، والمعنى  
هو ابلاغاً ، وبلغه تبليغاً . والبلاغ : ما يتبلغ به ، ويتوصل الى الشيء المطلوب  
وبلغ الغلام : احتلم ، كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف . . . وبلغ البنت  
انتهى » (٩) .

وفي القاموس : « . . . بلغ المكان بلوغاً : وصل اليه ، أو شارف عليه . . .  
وأمر الله بالغ : نافذ ، يبلغ ابن يريد . وجيش بلغ كذلك ، والاسم منه الابلاغ  
والتبليغ ، وهما الايصال . . . وتبلغ بكذا ، والمترل : تكلف اليه البلوغ حتى  
بلغ . . . » (١٠) .

وفي المصباح : « وبلغ الكتاب بلاغاً وبلوغاً : وصل . . . وقولهم : لزم ذلك  
بالغاً ما بلغ ، منصوب على الحال : أي مترقياً الى أعلى نهاياته ، من قولهم :  
بلغت المنزل : اذا وصلت اليه . . . » (١١) .

فلاشك في أن الوصول أصل أصل بارز في البلوغ ، غير انه ينبغي الا يحجب  
الانظار عما يحمله في طياته من بذور التفوق والتفضيل في كل ما ورد في المعاجم  
ذاتها من مفردات المادة اللغوية ، فالوصول يتطلب هذا التفوق ويقتضيه ،  
سواء كان البلوغ بلوغاً ، كان أوزماناً ، أو أي أمر من الامور ، فالواصل  
أقدر من المنقطع قبل الوصول ، وأمكن منه .

ولقد فطن اللغويون الاقدمون الى هذا ، وأبرزوا دلالة المادة اللغوية عليه ،  
ونصوا على الجودة بالذات في مفردات المادة . وقد طالعنا الجودة في أول معجم  
عربي وظلت تتردد فيما ألف بعده . حيث ابتداء الخليل - ١٧٠ هـ - المادة

(٨) المادة ذاتها .

(٩) مادة بلغ .

(١٠) المادة ذاتها .

(١١) المادة ذاتها .

الدكتور محمد جابر فياض

اللغوية بقوله : « رجل بلغ : بليغ ، وقد بلغ بلاغة . . . وشيء بالغ : أي جيد . » (١٢)

وقال ابن دريد - ٣٢١ هـ : « وكلام بلغ وبليغ . . . وبلغ الرجل بلاغة : إذا صار بليغا . . . » (١٣)

وأخذ الأزهري - ٣٧٠ هـ عن المعنى وعزاه إلى الليث قائلاً : « . . . قال الليث البلغ : البليغ من من الرجال ، وبلغ يبلغ باروغا . . . وشيء بالغ : أي جيد . . . » (١٤)

وقول ابن فارس - ٣٩٥ هـ المقدم : « . . . وكذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان ، لأنه يبلغ بها ما يريد . . . » (١٥) اعتراف صريح بالجودة ، فالبلاغة صفة مدح يمدح بها المتفوق بفصاحة اللسان ، المتمكن - خلافاً لغيره - من بلوغ ما يريد بجودة لسانه .

وقال الجوهري - ٣٩٩ هـ : « . . . وشيء بالغ : أي جيد ، وقد بلغ في الجودة مبلغا . . . والبلاغة : الفصاحة . وبلغ الرجل بالضم : أي صار صار بليغا . . . » (١٦)

وقال الراغب - ٥٠٢ هـ : « . . . والبلاغة على وجهين : أحدهما : أن يكون بذاته بليغا ، بأن يجمع ثلاثة أوصاف : صواباً في موضوع لنفسه ، وطبقاً للمعنى المقصود به ، وصدقاً في نفسه . وهما احترام وصف من ذلك كان ناقصاً في البلاغة .

(١٢) العين - مادة بلغ .

(١٣) الجهرة - مادة بلغ .

(١٤) التهذيب - المادة ذاتها .

(١٥) المقاييس - المادة ذاتها .

(١٦) الصحاح - المادة ذاتها .

والثاني : أن يكون باعتبار القائل والمقول له ، وهو أن يقصد انتقال أمرا ، فيورده على وجه حقيق أن يقبله . . . . (١٧) .

وفي الوجهين اللذين ذكرهما ، ففيهما من اكتمال الكلام وجودته وتميزه ، وتكمن قائله وقدرته .

وقال الزمخشري — ٥٣٨ هـ : « . . . وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ ، وهذا قول بليغ . وتبالغ في كلامه : تعاطى البلاغة ، وليس من أهلها ، وما هو بليغ ولكن يتبالغ » . (١٨) .

وقال ابن منظور — ٧١١ هـ : « . . . عن أبي حنيفة : وبلغت النخلة وغيرها من الشجر : حان ادراك ثمرها . وعنه أيضا : شيء بالغ : أي جيد . والبلاغة : الفصاحة . والبلغ والبلغ : البليغ من الرجال ، ورجل بليغ : وبلغ : حسن الكلام فصيح ، يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه ، والجمع بلغاء . وقد بلغ — بالضم — بلاغة : أي صار بليغا . وقول بليغ : بالغ . . . » (١٩) .  
وقال الفيروز بادى ٧٢٩ هـ : « بلغ المكان بلوغا : وصل إليه ، أو شارف عليه ، والغلام : ادرك . وثناء أبلغ : «بالغ فيه . وشيء بالغ : جيد . وقد بلغ مبلغا . وجارية بالغ وبالغته : مدركة . . . والبليغ : الفصيح ، يبلغ بعبارة كنه ضميره ، بلغ ككرم . . . » (٢٠) .

وقال النيومي ٧٧٠ هـ : « . . . وبلغت الثمار : ادركت ونضجت . . . وبلغ — بالضم — بلاغة ، فهو بليغ : إذا كان فصيحاً طلق اللسان . . . » (٢١) .

(١٧) المفردات — المادة ذاتها .

(١٨) الأساس — مادة بلغ .

(١٩) اللسان — المادة ذاتها .

(٢٠) التمام — المادة ذاتها .

(٢١) المصباح — المادة ذاتها .

الدكتور محمد جابر نياض

وفي معجم الفاظ القرآن لمجمع اللغة العربية في القاهرة : . . . . . وقول  
بليغ : أي واصل متناه من القوة ، أو هو من بلغ - ككرم - بلاغة ، فهو  
بليغ بمعنى كان - أو صار - فصيحاً ، ( ٢٢ ) .

من هذا كله يمكن الانتهاء الى أن البلاغة من الفعل بلغ - ككرم -  
حصراً ، وليست من الفعل بلغ - كقعد - خلافاً للبارغ بمعنى الوصول .  
فلم يرد في كل هذه المعاجم بلغ - بالفتح - بلاغة . وكونها لم تؤخذ من  
الفعل بلغ - بالفتح - لا يعني أنها من غير البارغ ، فهي منه واليه ، واكتنفاً  
- كما أسلفت - ليست من دلالاته على مجرد الوصول ، وإنما ما يتطلبه الوصول  
ويقتضيه من تميز وتفوق الواصل على المقطع فلولا هذا التميز والتفوق ،  
ما كان للواصل أن يصل ، والأسباب قبل مسياتها أو نتائجها . فالبارغ والوصول  
كل منهما دليل التميز والاكتمال والتفوق ، وأيسر من البارغ عنا بعيد ،  
فما كان البالغ ليكاف ويكتب عليه لولا نضجه واكتماله ، ولهذا خص البالغ  
بالجودة في كل هذه المعاجم . وفسر القول البليغ بالبالغ ، فبلاغة الكلام  
جودته وتميزه ، وبلاغة المتكلم قدرته على الاجادة وتميزه على غيره بصنع  
الكلام الجيد المتميز . ولهذا فسرت البلاغة باللسن والنصاحة وطلاقة  
اللسان ، والبليغ بحسن الكلام فصيحته ، الذي يبلغ بعبارة لسانه كنه ما في  
قلبه أو ضميره ، فجاءت البلاغة نعمنا حميدا خاصا بكلام دون سواه ، وأناس  
دون آخرين . وطالعتنا الجودة في كل ما عرفت به البلاغة من أقوال ، قبل  
قبل استقرار المصطلحات البلاغية وعند استقرارها .

## « تطور البلاغة من المعنى اللغوي الى المعنى الاصطلاحي »

حدث ابو حاتم ، قال : حدثني ابو عبيدة ، قال : حدثني غير واحد من هوزان ، من أولي العلم ، وبعضهم قد أدرك أبوه الجاهلية ، قالوا : اجتمع عمرو بن الظرب العدواني وحمسة بن رافع الدوسي عند ملك من ملوك حمير ، فقال : تساءلا حتى اسمع ما تقولان . . فقال عمرو لحمسة : من أبلغ الناس ؟؟ قال : من جلى المعنى المزيز باللفظ الوجيز ، وطبق المفصل قبل التحزيز . (٢٣)

وتطبيق المفصل واصابة المحز من الامثال العربية للحذق ، والمهارة في الكلام ، واصابة المعنى بالقول الموجز .

قال الجاحظ : ويقولون في اصابة عين المعنى بالكلام الموجز : فلان يفل المحز ، ويصيب المفصل . وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق ، فجعلوه مثلا للمصيب الموجز ، (٢٤) و اضاف قائلا :

« . . . وقد فر ذلك ليبد بن ربيعة ، وبيته ، وضرب به المثل حيث قال في الحكم بين عامر بن الطفيل ، وعلقمة بن علاثة :

ياهرم بن الاكرمين منصبا انك قد أوتيت حكما معجبا

فطبق المفصل ، واغتم طيبا

يقول : احكم بين عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بكلمة فصل ، وبأمر قاطع . فتفصل بين الحق والباطل ، كما يفصل الجزار الحاذق مفصل العظمين ، (٢٥)

(٢٣) المقدم ٢/٢٥٦ . والمزيز : الناضل .

(٢٤) البيان والتبيين ١/١٠٧ .

(٢٥) البيان والتبيين ١/١٠٩ .

الدكتور محمد جابر فياض

والمذ لك قال معاوية عمرو بن العاص : « ان أهل العراق قد قرفوا بك رجلاً طويلاً اللسان ، قصير الرأي ، فأجد الحز ، وطبق المفصل ، واياك ان تلقاه برأيك كله » (٢٦) .

وقال الاصمعي - ٢١٦ - ٥ : « البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر » (٢٧) . وأول الجاحظ قول الاصمعي هذا بجواب جعفر بن يحيى لثمامة بن الأشرس حين سأله عن البيان قائلاً : ما البيان ؟؟ قال : أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ، وتخرجه عن الشركة ، والاتستعين عليه بالفكرة . والذي لا بد له منه ، أن يكون سليماً من التكاف ، بعيداً عن الصنعة ، بريئاً من التعقيد ، غنياً عن التأويل . فقال الجاحظ : وهذا تأويل قول الاصمعي : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر .

ومن هذا يتضح أن مفهوم البلاغة في العصر الجاهلي ما كان منصرفاً الى مجرد الوصول والانتهاه وانصرافه الى الحدق والمهارة والاصابة والاجادة والتمكن وما إليها .

ولقد ظلت هذه المعاني بارزة فيما وصف بالبلاغة أو وصف به من أقوال . ولم يرد لفظ البلاغة في القرآن الكريم ، ولا في الحايث النبوي الشريف مع ورود غير قليل من مشتقات المادة اللغوية : الباء واللام والغين فيهما . فقد نعت القول بالبليغ في قوله تعالى : « فأعرض عنهم ، وعظهم ، وقل لهم - في أنفسهم - قولاً بليغاً » [ النساء ٤ ] .

ولم يذكر الطبري ما قاله المفسرون الاوائل فيه (٢٨) غير أن الزمخشري

(٢٦) نفه ٢٧٥/١ .

(٢٧) نفه ١٠٦/١ .

(٢٨) تفسيره : ٥/٠٩٩ .

قال : أي قل لهم قولاً بايغاً في أنفسهم ، مؤثراً في قلوبهم ، يفتنون به اغتصاباً ، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً (٢٩) .

فالقول البايغ : هو القول المتميز بنصجه واكتماله وفتاده ، المؤثر في ساعده وقارنه . وقد وفتنا في التحقيق اللغوي على ما ذهب اليه الراغب الاصفهاني قبله في القول البايغ (٣٠) . ولا يخرج عن هذا المعنى لفظ البايغ الورداني قوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يبغض الرجل البايغ الذي يتخلل بلسانه تخلل البقرة بلسانها (٣١) فالبغض لمخيلة البايغ وزهوه وتبهه ولي آسانه ، وليس لبلاغته ذاتها . وقال علي بن ابي طالب - ٤٠ هـ رضي الله عنه :

« البلاغة ايضاح الملامبات ، وكشف عوار الجهالات ، بأسهل ما يكون من العبارات » (٣٢) .

ونقل الجاحظ أن معاوية بن ابي سفيان ٦٠ هـ - رضي الله عنه كان قد سأل صحار بن عياش العبدي - ٤٠ هـ - قائلاً : ما هذه البلاغة التي فيكم ؟ قال : شيء تجيش به صدورنا ، فتتذنه على ألسنتنا . قال معاوية : ما تعدون البلاغة فيكم ؟ قال : الايجاز . قال له : وما الايجاز ؟ قال : أن تجيب فلا تبطل . قال معاوية : أو كذلك تقول يا صحار ؟ قال : أقلني يا أمير يا أمير المؤمنين ، الا تبطل ولا تخطى\* (٣٣) .

(٢٩) الكشاف : ٣٧١/١ .

(٣٠) انظره في هذا البحث : ص : ٢٦٢ .

(٣١) الامثال لابي احمد العسكري كما في الكنز ٣٢١/٣ ، سنن ابي داود ٥٩٧/٢ سنن الترمذي ١٤١/٥ ، سنن احمد ١٦٥/٢ ، ١٨٧ ، الترغيب ٣١٦/٥ ، الشكاة ٥٧٤/٢ ، الفائق ٢٣٤/٣ ، النهاية ٧٣/٢ ، مجمع الزوائد ١١٦/٨ ، ٢٦١/١٠ . وقد روي في قسم منها " يلب بلسانه كما تلب البقرة بلسانها " وفي قسم منها " البقرة مكان البقرة .

(٣٢) الصناعتين : ٥١ - ٥٢ .

(٣٣) البيان والتبيين : ٩٦/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

فالبلاغة - عندهم - ايست الایجاز الذي نعهده من التعبير عن المعنى بأقل ما يمكن من الالفاظ فحسب ، وانما هي - فضلا عنه - من الاصابة ، واحكام القول مع حضور البديهة ، ألا تراه قال : ألا تبطنى ، ولا تخطىء ؟ وهذه الامور كلها داليل الحذق والمهارة ، والتمكن من الاصابة واحكام القول .  
ومثل قول صحار ، أو قريب منه في قصر البلاغة على الایجاز ، قول عمرو بن العاص - ٤٣ هـ حين سأته معاوية قائلا : من « أبلغ الناس ؟ » قال : من اقتصر على الایجاز وتنكب الفضول « (٣٤) .

وقال الحسن بن علي - ٥٥٠ هـ : « البلاغة تقرب بعيد الحكمة بأسهل العبارة » (٣٥) ومثله قول محمد بن الحنفية - ٨١ هـ : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأسهل العبارة « (٣٦) .

وقال عبد الله بن عتبة - ٩٨ هـ : « البلاغة دنو المأخذ ، وقرع الخجة وقليل من كثير (٣٧) .

وقال عمر بن عبد العزيز - ١٠١ هـ : البليغ من اذا وجد كثيرا ملاءه ، واذا وجد قليلا كناه « (٣٨) . فعبير بهذا عن الحذق والتمكن .

ونقل ابو هلال العسكري قول محمد بن علي رضي الله عنهما : « البلاغة تفسير عسير الحكمة بأقرب الالفاظ » (٣٩) ونقل عنه - أيضا - قوله : « البلاغة قول منفتح في لطف » ، ونسره قائلا : فالمنفتح : المفهم ، واللطيف من الكلام ماتعطف به القلوب النافرة ، ويؤنس القلوب المستوحشة ، وتلين به العريكة الالية

(٣٤) مجالس ثلث : ١٨٧/١ .

(٣٥) الصناعتين : ٥٢ .

(٣٦) نفسه : ١٢ .

(٣٧) نفسه : ١٦ ، الرسالة العذراء : ٤٦ .

(٣٨) الرسالة ، الموضع نفسه ١

(٣٩) الصناعتين : ٥٢ . وألفه أراد محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - ٨١١٤ .

المتعمية وتبلغ به الحاجة . وتقام به الحجة ، ، فتخلص نفسك من العيب ، وتلزم صاحبك الذنب من غير أن تهيجه وتقلقه ، وتستدعي غضبه ، وتستثير حفيظته ، (٤٠) .

وقيل للامام ابراهيم بن محمد - ١٣٢ هـ : « ما البلاغة ؟؟ قال : الجزالة والاطالة » (٤١) . وعقب ابن رشيق القبرواني على هذا بقوله : « وهذا مذهب جماعة من الناس جلة ، وبه كان ابن العميد يقول في مشوره » (٤٢) .

وروي عنه الجاحظ قوله : « يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق ، من سوء فهم السامع » (٤٣) . وعقب الجاحظ على هذا بقوله : « اما أنا فاستحسن هذا القول جداً » (٤٤) .

وقال عبد الحميد الكاتب - ١٣٢ هـ وقد سئل عن البلاغة : « هي ما رضىته الخاصة ، وقهمته العامة » (٤٥) . وقال : « لو كان الوحي ينزل على أحد بعد الانبياء فعلى بلغاء الكتاب » (٤٦) . وقال « خير الكلام ما كان لفظه فحلاً ، ومعناه بكراً » (٤٧) . وقال : « البلاغة تقرير المعنى في الافهام ، من اقرب وجوه الكلام » (٤٨) .

وقال خالد بن صفوان - ١٣٥ هـ - : « ليس البلاغة بخفة اللسان ، ولا

- (٤٠) نفسه : ٥١ .  
 (٤١) العمدة : ٢٤٥/١ .  
 (٤٢) الموضع نفسه .  
 (٤٣) البيان والبيان : ٨٧/١ .  
 (٤٤) الموضع نفسه .  
 (٤٥) الاعجاز والايجاز : ١١١ .  
 (٤٦) الموضع نفسه .  
 (٤٧) الموضع نفسه .  
 (٤٨) زهر الآداب : ١٢٧/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

بكثرة الهذيان ، واكتنفاصابة المعنى ، والقرع بالحجة » (٤٩) . وقال ايضا :  
« لا تكون بليغا حتى تكلم أمثك السوداء في الليلة الظلماء في الحاجة المهمة بما  
تتكلم به في نادي قومك . وانما اللسان عضو ، اذا مرته مرن ، واذا تركته  
كان كاليد تخشنها بالممارسة والبدن الذي تقويه برفع الحجر وما اشبهه ،  
والرجل اذا تعودت المشي مشت (٥٠) وقال كذلك : « أبلغ الكلام ما لا يحتاج  
الى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج ، الذي  
صحت مباتيه ، وحننت معانيه ، ودار على السن القائلين ، وخف على آذان  
السامعين ، ويزداد حسنا على مر السنين ، بتجلية الرواة ، وتنقية الرواة .

والكاتب المستحق اسم الكتابة ، والبلغ المحكوم له بالبلاغة ، من اذا  
حاول صنعة كتاب ، سالت على قلمه عيون الكلام من يتابعها ، وظهرت  
من معاندها ، وبدرت من مواطنها ، عن غير استكراه ، ولا اغصاب » (٥١)  
وقال بشر بن خالد : « البلاغة التتريب من المعنى البعياء ، والتباعد عن خسيس  
الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير » (٥٢) .

وقل لابن المقفع - ١٤٢ هـ : « ما البلاغة ؟ قال : قلة الحصر ، والجرأة على  
البشر . قيل له : فما العي ؟ قال : الاطراق من غير فكرة ، والتنحنج من غير  
علة » (٥٣) .

ونقل الجاحظ عن اسحاق بن حسان بن قوهي قوله : « لم يفسر البلاغة  
تفسير ابن المقفع احد قط . سئل ما البلاغة ؟ قال : البلاغة اسم جامع لمعان

(٤٩) الرسالة المزراء : ٤٦ ، وفي المقف : ٢٦١/٢ " قيل لخالد بن صفوان ما البلاغة ؟ قال :

اصابة المعنى والتصد للحجة » .

(٥٠) المقف : ٢٦٩/٢ - ٢٧٠ .

(٥١) الرسالة المزراء : ٣٥ ٣٦ .

(٥٢) نفسه : ٤٦ .

(٥٣) المقف : ١٨٩/٤ - ١٩٠ .

ما يكون في الاشارة ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون جوابا ،  
ومنها ما يكون ابتداء ، ومنها ما يكون شعرا ، ومنها ما يكون سجعاً وخطبا .  
ومنها ما يكون رسائل . فعامه ما يكون من هذه الابواب الרוحي فيها والاشارة ،  
والايجاز هو البلاغة . فأما الخطب بين السماطين ، وفي اصلاح ذات البين ،  
فالاكثار في غير خطل ، والاطالة في غير امال .

ولیکن صدر كلامك دليلا على حاجتك ، كما ان خير آيات الشعر البيت  
الذي اذا سمعت صدره ، عرفت قايته .

كأنه يقول : فرق بين صدر خطبة النكاح ، وبين صدر خطبة العيد ،  
وخطبة الصلح ، وخطبة التراهب ، حتى يكون لكل فن من ذلك صدر يدل  
على عجزه — فانه لاخير في كلام لايدل على معنك ، ويشير الى مغزائك ،  
والى العمود الذي قصدت ، والعرض الذي نزعته .

قال : فقيل له : فان ملّ السامع الاطانة التي ذكرت أنها حق ذلك المرقف ؟  
قال : اذا أعطيت كل مقام حقه ، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام  
وأرضيت من يعرف حقوق الكلام ، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد  
والمدو ، فانه لايرضيهما شيء ، وأما الجاهل فليست منه وليس منك ،  
ورضا الناس شيء لاينال هـ (٥٤) .

فان المقنع يرى البلاغة الاجادة المتمثلة بمراعاة ما يقتضيه الحال ويتطلبه ،  
في السكوت والاستماع ، والابتداء والجواب ، والايجاز والاطانة ، وغير  
ذلك بما ذكره . وقد نص صراحة على إعطاء كل مقام حقه ومراعاة ما يجب  
من سياسة ذلك المقام ، فالبلاغيون المتأخرون لم يأتوا باكثر من صياغة هذا  
الذي ذكره أو اشار اليه في بلاغة الكلام خاصة .

الدكتور محمد جابر نياض

ومثل هذا أو قريب منه ما ذهب اليه عمرو بن عبيد - ١٤٤ هـ - وان نزع فيه منزعا آخر - حين سأله حفص بن سالم قائلا : ما البلاغة ؟ ؟ فقال : « ما بلغ بك الجنة ، وعدل بك عن النار ، وما ابصرك مواقع رشذك ، وعواقب غيك . قال : ليس هذا أريد . قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع ، لم يحسن القول .

قال : ليس هذا أريد . قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « انا معشر الانبياء بكاه ، أي قليلو الكلام . ومنه قيل : رجل بكىء . وكانوا يكرهون أن يزيد منطق الرجل على عقله .

قال : ليس هذا أريد . قال : كانوا يخافون من فنتة القول ، ومن سقطات الكلام ، ما لا يخافون من فنتة السكوت ، ومن سقطات الصمت . قال : ليس هذا أريد . فقال له : فكأنك انما تريد تخير اللفظ ، في حسن الافهام ؟ قال : نعم .

قال : انك أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين ، وتخفيف المؤونة على المستمعين ، وترزين تلك المعاني في قلوب المريرين ، بالالفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذنان ، رغبة في سرعة استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالموعظة الحسنة على الكتاب والسنة ، كنت قد أوتيت فصل الخطاب واستوجبت على الله جزيل الثواب « (٥٥) فبلاغة القول عنده تخير اللفظ في حسن الافهام ، وفي ايضاحه لهذا القول من الفاظ الحسن والترزين ما فيه .

وقال المنصور - ١٥٨ هـ : « البلاغة والغنى اذا اجتماعا لامرئى أبطراه » (٥٦).

(٥٥) البيان والتبين : ١١٤/١ .

(٥٦) المساعتين : ١٦ .

وقال الخليل - ١٧٠ هـ : « البلاغة كلمة تكشف عن البغية » (٥٧) . وقال  
ايضا : « البلاغة ما قرب طرفاه ، وبعد منتهاها » (٥٨) . وقال : « كل ما أدى  
الى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فان استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ،  
ولتلك الحال وفقا ، وآخر كلامك لأوله مشابها ، ومورده لمصدره موازنا ،  
فافعل . واحرص أن تكون الكلامك متبهما وأن ظرف ، وانظلمك مستريا  
وان لطف ، بمواتاة آلتك لك ، وتصرف ارادتك معك ، فافعل » (٥٩) .  
وقوله هذا خير تلخيص لما كان ذكره ابن المقفع ، ان كان الخليل وقف عليه .  
وقال المنفل الضبي - ١٧٨ هـ : « قلت لاعرابي منا : ما البلاغة ؟ قال  
لي : الايجاز في غير عجز ، والاطناب في غير خطل » .

قال ابن الاعرابي : فقلت للمنفل : ما الايجاز عندك ؟ قال : حذف  
الفضول وتقريب البعيد » (٦٠) . وهذا الذي ذهب اليه المنفل شبيه بالذي  
ذهب اليه الخليل في قوله الاولين . وأشبه بهما منه قول خلف الاحمر - ١٨٠ هـ  
تقريبا : « البلاغة لمحة دالة » (٦١) .

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد - ١٨٦ هـ الى عمرو بن مسعدة : « اذا  
كان الاكثار أبلغ ، كان الايجاز تقصيرا ، واذا كان الايجاز كافيا كان  
الاكثار عيا » (٦٢) وقيل له : « ما البلاغة ؟ قال : التقريب من المعنى البعيد ،  
والدلالة بالتقليل على الكثير » . (٦٣) .

(٥٧) المسدة : ٢٤٢/١ .

(٥٨) نفسه : ٢٤٥/١ .

(٥٩) الرسالة الغراء : ٤٨ .

(٦٠) البيان والتبيين : ٩٧/١ .

(٦١) المسدة : ٢٤٢/١ .

(٦٢) الموضع ذاته .

(٦٣) المقدم : ٤ / ١٩٨ .

الدكتور محمد جابر فياض

وسئل كاثوم بن عمرو العتابي - ٢٠٨ هـ : ما البلاغة ؟ ؟ فقال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ، ولا حجة ، ولا استعانه فهو بليغ . فإن اردت اللسان الذي يروق الالسة ، ويفوق كل خطيب فاطهار ما غمض من الحق ، وتصوير الباطل في صورة الحق « (٦٤) .

وقال الجاحظ : « والعتابي حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ . لم يعن أن كل من أفهمنا - معاشر الموالدين والبلديين - قصده ومعناه بالكلام الملحون ، المعدول عن جهته ، المصروف عن حقه ، محكوم اه بالبلاغة (٦٥) . الملحون ، المعدول عن جهته ، المصروف عن حقه ، أنه محكوم اه بالبلاغة . وانما عنى العتابي افهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء (٦٥) . »

وضرب عددا من الامثلة التي لم يفهم منها العرب الفصحاء ما أريد بها لما فيها من اللحن واكرونها معدولة عن جهتها ، مصروفة عن قصدها ، منها قوله : « وقد روى أصحابنا أن رجلا من البلديين قال لأعرابي : كيف أهلك ؟ - قالها بكسر اللام - قال الاعرابي : صلبا ، لانه أجابه على فهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسأنة عن اهله وعباله « (٦٦) . وأضاف قائلا :

« فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل ، جعل الفصاحة والاكثة ، والخطأ والصواب ، والاغلاق والابانة ، والملحون والمرب ، كله سواء ، وكله بيانا ، وكيف يكون ذلك كله بيانا ، ولولا طول مخالطة السامع للعجم ، وسماعه للفساد من الكلام لما عرفه . ونحن لم نفهم عنه الا لانتص الذي فينا . وأهل هذه اللغة وأرباب هذا البيان لا يستدلون على معاني هؤلاء

(٦٤) البيان والبيان : ١١٣/١ .

(٦٥) البيان والبيان : ١٦١/١ - ١٦٢ .

(٦٦) نفسه : ١١٣/١ .

بكلامهم كما لا يعرفون رطانة الرومي والصقلبي ، وان كان هذا الاسم انما يستحقونه بأننا نفهم عنهم كثيرا من حوائجهم فنحن قد نفهم بحمحة الفرس كثيرا من حاجاته ، ونفهم بضياء السور كثيرا من ارادته . وكذلك الكلب والحمار والصبي الرضيع . (٦٧) .

وأخذ ابو هلال العسكري كل هذا الذي ذهب اليه الجاحظ في ايضاح قول العتابي بإيجاز من غير ما اشارة اليه (٦٨) .

وعقب الجاحظ على قول الشاعر :

الأرب خصم ذي فنون علوته وان كان ألوى يشبه الحق باطله

بقوله : فهذا هو معنى قول العتابي : « البلاغة اظهار ما غمض من الحق وتصوير الباطل في صورة الحق » (٦٩) . وروي ان العتابي قال : « البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحن التألف اذا طال » (٧٠) .

وجاء بصحيفة بشر بن المعتز — ٢١٠ هـ المشهورة ، ومنها قوله :

« . . . أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معنالك ظاهرا مكشوفاً ، وقريبا معروفا ، اما عند الخاصة ، ان كنت للخاصة قصدت ، واما عند العامة ، ان كنت للعامة ، أردت .

والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة . وانما مدار الشرف على الصواب ، واخراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل بمقام من المقال .

(٦٧) نفسه : ١٦٢/١ .

(٦٨) الصناعين : ١٠ - ١١ .

(٦٩) البيان والتبيين : ٢٢٠/١ - .

(٧٠) زهر الاداب ١٢٧/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

فإن امكانك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، واطف مداخلك ، واقتدارك على نفسك ، الى أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسرهما الانفاظ الواسطة ، التي لا تطف عن الدهماء ، ولا تجزو عن الاكفاء فأنت البليغ التام » (٧١) .

ونقل عن سهل بن هارون - ٢١٥ هـ قوله :

« اللسان البلغ والشعر الجيد لا يكادان يجتمعان في واحد ، واعر من ذلك نأ تجتمع بلاغة الشعر وبلاغة القلم » (٧٢) .

كما نقل عنه قوله : « بلاغة اللسان رفيق ، والعي خرق » (٧٣) .

وقال ابن الاعرابي - ٢٣١ هـ : « البلاغة التقرب من البغية ، ودلالة قليل على كثير » (٧٤) .

ولم يكنف الجاحظ - في مفهوم البلاغة بما نقله عن العرب مع كثرة ما نقله عنهم ، فجاء بأقوال غيرهم من الامم والاقوام ، فقال :

« .. قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل .

وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الاطالة .

وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الاشارة .

وقال بعض اهل الخند : جماع البلاغة البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة .

(٧١) البيان والتبيين : - ١٣٦/١ .

(٧٢) نزهة : - ٢٤٣/١ .

(٧٣) نزهة : - ٤٢/٢ .

(٧٤) السدة : ٢٤٦/١ .

ثم قال : ومن البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الانصاح الى الكناية ، اذا كان الانصاح أوعر طريقة . وربما كان الاضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر .

وقال مرة : جماع البلاغة التماس حسن الموضع ، والمعرفة بساعات القول ، وقلة الخرق بما التيس من المعاني أو غمض ، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر .

ثم قال : وزين ذلك كله ، وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشائيل موزونة ، والالفاظ معدلة ، واللهجة ثقيلة ، فان جامع ذلك السن والسمت ، والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام ، وكمل كل الكمال ، ( ٧٥ ) .

ونقل عن «عمر - أبي الاشعث - أنه قال لبهلة الهندي : ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ، اكن لا أحسن ترجمتها لك ، لم أعالج هذه الصناعة ، فأثني في نفسي بالقيام بخصائصها وتلخيص لطائف معانيها .

قال أبو الاشعث : فلتيت بتلك الصحيفة الترجمة ، فاذا فيها :  
أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة . وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ، ولا الملوك بكلام السوقة . ويكون في قواه فضل التصرف في كل طبقة . ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا يتقح الالفاظ كل التنقيح ، ولا يصفيها كل التصفية ، ولا يهذبها غاية التهذيب . ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما ، أو فيلسوفا عليما ، ومن قد تعرد حذف فضول الكلام ، واسقاط مشتركات

الدكتور محمد جابر نياض

الالفاظ ، وقد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لا على جهة الاعتراض والتصيح ، وعلى وجه الاستطراف والتطرف .

قال : ومن علم حق المعنى ، أن يكون الاسم له طبعا ، وتلك الحال له وفقا ، ويكون الاسم لا فاضلا ولا مفضولا ، ولا مقصراً ولا مشتركا ولا مضمنا ويكون - مع ذلك - ذاكرالما عقد عليه أول كلامه ، ويكون تصفحه لمصدره في وزن تصفحه لمصدره ، ويكون لفظه موقفا ، ولحول تلك المقامات معاودا . ومدار الامر على الافهام كل قوم بمقدار طاقتهم ، والحمل عليهم على اقدار منازلهم . وأن تواتيه الآتية ، وتتصرف معه أدواته .

ويكون في التهمة لنفسه معتدلا ، وفي حسن الظن بها مقتصدا ، فانه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة لنفسه ظلمها ، فأودعها ذلة المظلومين ، وان تجاوز الحق في مقدار حسن الظن بها آمنها ، فأودعها تهاون الآمنين . واكل ذلك مقدار من الشغل ، واكل شغل مقدار من الوهن ، واكل وهن مقدار من الجهل (٧٦) .

ونقل ايضا أنه قيل لرجل من الحكماء : ما جماع البلاغة ؟ قال : معرفة السليم من المعتل ، وفصل ما بين المضمن والمطلق ، وفرق بين المشترك والمفرد وما يتحمل التأويل من المنصوص المقيد (٧٧) .  
غير أن الجاحظ الذي وقف على هذه الاقوال الكثيرة التي نقلها كان قد اعرب عن اشارة لقول لم يسم قائله ، فقال :

(٧٦) البيان والتبيين : - ١/٩٢ - ٩٣ .

(٧٧) البيان والتبيين : - ٢/١٠٤ .

وقال بعضهم - وهو من أحسن ما اجتنيناه ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة ، حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك ، اسبق من معناه الى قلبك (٧٨) .

والجاحظ صير في الكلام ناقده ، لم يكن ليختار هذا القول ويؤثره - وان لم يوقف الحسن عليه وحده - لولا ما رآه فيه من تجسيد لميزات الكلام البليغ . فاختصاص القلب فيه مقصود ، غير عفوي ، أريد به إبراز حلاوة الكلام واستباق اللفظ والمعنى ووصولهما سوياً - مع حرص كل منهما على الوصول قبل الآخر - ايماء ذكية للموازنة الدقيقة بينهما في الجودة والنفاذ والسرعة فالاسماع ، والافئدة لا تستقبل بسرعة الا ما جاد وراق وحسن ، وهل البلاغة غير هذه الجودة والحسن ، والحذق في اختيار الكلام وصياغته ؟ ! أوليس الجاحظ هو القائل في الشعر والموازنة بين اللفظ والمعنى :

« والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبلوي ، والقروي والمدني وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة رضرب من النسيج وجنس من التصوير» وفي رواية (صياغة) «مكان (صناعة) رهي أدل على الحذق والمهارة من الصناعة وأولى بالسياق الذي وردت فيه . (٧٩) .  
والجاحظ هو الذي وصف بلاغة ثمامة بن أشرس التي اعجبته ايما اعجاب بقول ثمامة نفسه في جعفر بن يحيى . فقال :

(٧٨) نزهة : - ١١٥/١ .

(٧٩) الميراث : - ١٣١/٢ - ١٣٢ .

الدكتور محمد جابر فياض

وقال ثمامة بن أشرس : كان جعفر بن يحيى أنطق الناس ، وقد جمع الهدوء والتمهل ، والجزالة والحلاوة . وافهاما يغنيه عن الاعادة . ولو كان في الارض ، ناطق يستغنى بمنطقه عن الاشارة ، لاستغنى جعفر عن الاشارة ، كما استغنى عن الاعادة .

وقال مرة : « رأيت احدا كان لا يتحبس ، ولا يتوقف ، ولا يتلجلج ، ولا يتحنح ولا يرتقب انظما قد استدعاه من بعد ، ولا ياتمس التخلص الى معنى قد تعصى عليه طلبه ، اشد اقتدارا ، ولا أقل تكلفا من جعفر بن يحيى » (٨٠) .  
فتمت الجاحظ قائلا : وهذه الصفات التي ذكرها ثمامة بن أشرس فوصف بها جعفر بن يحيى ، كان ثمامة بن أشرس قد انتظمها لنفسه ، واستولى عليها دون جميع أهل عصره . انه ما كان في زمانه قروي ، ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام ، مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج ، مع السلامة من التكلف ، ما كان بلغه .

وكان لفظه في وزن معناه ، ومعناه طبق لفظه ، ولم يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك » (٨١) فاختم تعقيبه بما كان آثره .

وهو القائل : « أما أنا فلم أر قط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم ، قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ، ولا ساقطا سوقيا » . . (٨٢) .

وفي فصل من صدر رسالته في ( البلاغة والايجاز ) جاء ما نصه :  
« والبلاغة اصابة المعنى ، والقصد الى الحجة مع الايجاز ومعرفة الوصل من الوصل » (٨٣) .

(٨٠) البيان والتبيين : - ١٠٥/١ - ١٠٦ .

(٨١) نفسه : ١١١/١ .

(٨٢) البيان والتبيين : - ١٣٧/١ .

(٨٣) البلاغة والايجاز - في مجلة البلاغ - ٢٣ .

وأضاف فيها أن حسن البيان محمود ، وحسن الصمت حكيم ، وربما كان الإيجاز محمودا والاكثار مذموما . وربما رأيت الاكثار احمد من الإيجاز . واكل مذهب ووجه عند العاقل ، واكل مكان مقال ، واكل كلام جواب . مع أن الإيجاز أسهل مراما ، وأيسر مطلبا من الاطناب . ومن قدر على الكثير ، كان على القليل أقدر ، والتقليل للتخفيف ، والتطويل للتعريف ، والتكرار للتوكيد والاكثار للتشديد . . .

وأما المذموم من المقال فما دعا الى الملل ، وجاوز المقدار ، واشتمل على الاكثار وخرج عن مجرى العادة .

وكل شيء أفرط في طبعه ، وتجاوز مقدار وسعه ، عاد الى ضد طباعه فيتحول البارد حارا ، ويصير النافع ضارا ، كالصندل البارد ان أفرط في حكه عاد حارا ، وذياب ، كالثلج يطنىء قليله الحرارة ، وكثيره يحركها . وكذلك الترد لما أفرط قبحه ، وتناهت سماجته استملح واستظرف . والى هذا ذهب من عد الاكثار عيا والإيجاز بلاغة . ( ٨٤ ) .

ومهما يكن من شيء أن اقول الذي آثره ابن المدبر والجرجاني بعد ذلك كما سنقف عليه عندهما ( ٨٥ ) .

ولقد سئل الكندي - ٢٥٨ هـ عن البلاغة فقال : ركنها اللفظ وهو على ثلاثة أنواع : فنوع لاتعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع تعرفه وتتكلم به ، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو احمدها ( ٨٦ ) .

وعقب ابن قتيبة - ٢٧٦ هـ على ما نقله من قول ابرويز اكاثبه : « واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول » بقوله : « يريد الإيجاز . وهذا ليس

( ٨٤ ) نفسه - ٢٤ .

( ٨٥ ) انظره في هذا البحث : ص ٢٧ ، ٤٢ .

( ٨٦ ) المسد : - ٢٤٧/١ .

الدكتور محمد جابر فياض

بمحمود في كل موضع ، ولا بمختار في كل كتاب . بل لكل مقام مقال . ولو كان الإيجاز محمود في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن . ولم يفعل الله ذلك ولكنه أطال تارة للتوكيد ، وحذف تارة للإيجاز ، وكرر تارة للافهام . . . (٨٧) .

ونقل ابن المدبر - ٢٧٩ هـ قول « أنوشروان ليزر جمهر : متى يكون الصبي بليغا ؟ ؟ فقال : اذا وصف بليغا » (٨٨) .

وكتب رسالة في صفة الكتابة تشبه الى حد ما صحيفة بشر بن المعتمر أودعها كثيرا مما وقف عليه من أقوال في الفصاحة والبلاغة ، وصنعة الكتابة ومتطلباتها ، قال في مقدمتها : « . سأنتهي أن أقف بك على وزن عدوية اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالته ، ورشاقة نظم الكتاب ومشكلة سرده ، وحسن افتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وصوله ، من الزلل وبعدها عن الخطل ، ومتى يكون الكاتب مستحفا اسم الكتابة ، والبلغ كلما له معاني البلاغة في اشارته واستعارته . . . » (٨٩) .

وانتهى في البلاغة الى ما اختاره الجاحظ وآثره فيها من اقوال . فقال : « . . . واكن سياسته « الكلام » - صعبة ، وتأليفه شديد الال على جهابذته وفرسانه وامراء الكلام ، يصرفونه كيف شاؤوا . ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، لا يكون اللفظ اسبق الى الاسماع من معناه الى القاروب » (٩٠) .

وقال أبو العيناء - ٢٨٢ هـ في البليغ : « من اجترأ بانقليل عن الكثير وقرب البعيد اذا شاء ، وبعد القريب ، واخفى الظاهر ، واظهر الخفي » (٩١) .

(٨٧) أدب الكاتب : - ١٥ - ١٦ .

(٨٨ - ٨٩) الرسالة المراء ٤٦ .

(٩٠) ٣٩ .

(٩١) السدة : - ٢٤٦/١ .

وقال المبرد - ٢٨٦ هـ : « ان من حق البلاغة احاطة القول بالمعنى واختيار الكلام ، وحنن التلسم ، حتى تكون الكلمة مقاربة اختها ، ومعاضاة شكائها ، وأن تقرب البعيد ، وتحذف منها الفضول . . . »

فان استوى هذا في الكلام المنشور ، والكلام المرصوف المسمى شعرا فلم يفضل احد التسمين صاحبه ، فصاحب الكلام المرصوف أحمد ، لانه أتى بمثل ما أتى به صاحبه ، وزاد وزنا وقافية ، والوزن يحمل على الضرورة ، والقافية تضطر الى الحيلة .

وبقيت بينهما واحدة ، ليست مما توجد بعد استماع الكلام منهما ، ولكن يرجع اليهما عند قولهما ، فينظر أيهما أشد على الكلام اقتدارا واكثر تمحيا ، وأقل معاناة ، وأبطأ معاصرة ، فيعلم أنه المقدم هـ (٩٢) .

ووازن بين قوله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالسلامة داء » ومثله من أقوال شعرية ونثرية وقال : « فانظر الى هذا الكلام الذي لا زيادة فيه ولا نقصان ، لا يطول المعنى ولا يقصر عنه ، وانظر الى فخامته وجزالته يقول : كفى بالسلامة داء . فأى كلام أوعظ ، أو زجر في القلب أوقر ؟ ان هذا الكلام لبجل عن أن يبلغه وصف ، أو يحيط بكنهه قول هـ (٩٣) وقال ابن المعتز - ٢٩٦ هـ : « البلاغة يلرغ المعنى ، ولما يطل سفر الكلام هـ (٩٤) . »

وغير خاف أن هذه الاقوال وغيرها كانت قد أوضحت مفهوم البلاغة ايضاها تاما وان لم تعن بصياغة حد جامع مانع لها .

(٩٢) البلاغة : - ٥٩ - ٦٠ .

(٩٣) نفسه : - ٦٦ .

(٩٤) العمدة : - ٢٤٦/١ ، النشيل والمعاصرة - ١٥٨ وفيه : أن تبلغ المعنى ولم يطل سفر الكلام .

الدكتور محمد جابر فياض

والغريب أن يضيف اسحاق بن ودب - ٣٣٧ هـ الى قول الميرد ( فصاحة اللسان ) ليجعل منه حدا للبلاغة ، وكان كل من سبقه لم يفتن اليه فيقول ه وقد ذكر الناس البلاغة ، ووصفوها بأوصاف لم تشتمل على حدها ، وذكر الجاحظ كثيرا مما وصفت به ، وكل وصف منها يفصر عن الاحاطة بحدها . وحدها عندنا : القول المحيط بالمعنى المقصود ، مع اختيار الكلام ، وحسن النظام ، وفصاحة اللسان .

وانما اضيف الى الاحاطة بالمعنى اختيار الكلام ، لان العامي قد يحيط قواه بمعناه الذي يريد ، الا أنه بكلام مردول من كلام امثاله ، فلا يكون موصوفا بالبلاغة .

وزدنا فصاحة اللسان لان الاعجمي والامحان قد يبلغان مرادهما بقولهما فلا يكرونان موصوفين بالبلاغة .

وزدنا حسن النظام لانه قد يتكلم النصيح بالكلام الحسن ، الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب الناطه ، وتصير كل واحدة مع ما يشاكلها ، فلا يقع ذلك مرقعه ه (٩٥) .

مع أن الميرد قبله بنصف قرن او يزيد كان قد قال : ان من حق البلاغة احاطة القول بالمعنى ، واختيار الكلام ، وحسن النظم . فليس له فيه غير فصاحة اللسان ، التي هي من قبيل تحصيل الحاصل ، لما ذهب أي من المتحدثين عن البلاغة الى أن غير النصيح يمكن ان يكون بليغا ، وقد نبه الى هذا الجاحظ في ايضاحه لما عناه المتأبى بقراه : كل من أفهمك حاجته فهو بليغ (٩٦) .

(٩٥) البرهان - ١٦٣ .

(٩٦) انظر في هذا البحث - ١٩ - ٢٠ .

ومهما يكن من شئى<sup>٤</sup> فان قوله هذا انما يبرز لنا عناية قسم من البلاغء والبلاغيين بالحدود والتعريفات في وقت مبكر خلافا لما كنا نعهده .

وقال الرماني - ٣٨٦ هـ :

« . . . وليست البلاغة افهام المعنى لانه قد يفهم المعنى متكلمان احدهما بليغ والآخر عيبى ، ولا البلاغة ايضا بتحقيق اللفظ على المعنى ، لانه قد يحتمى اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ، ونافر متكلف .

وانما البلاغة ايصال المعنى الى القلب في أحسن صورة من اللفظ . فأعلاها طبقة - في الحسن - بلاغة القرآن ، وأعلى طبقات البلاغة للقرآن خاصة وأعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم كاعجاز الشعر المفحم ، فهذا معجز للمفحم خاصة ، كما ان ذلك معجز للكافة هـ (٩٧) .

وقال الخطابي - ٣٨٨ هـ :

« . . . فمنها البليغ الرصين الجزل ، ومنها الفصيح القريب السهل ، ومنها الجائر الطلق الرسل . وهذه اقسام الكلام المحدرد ، دون المهجين المذموم . . . . واعلم ان القرآن انما صار معجزا لانه جاء بأفصح الالفاظ في احسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني . . . .

ثم اعلم ان عمود هذه البلاغة التي تجمع لما هذه الصفات ، هو وضع كل نوع من الالفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الاخص الاشكل به . . .

ولم تقتصر فيما اعتمدنا من البلاغة لاعجاز القرآن ، على مفرد الالفاظ التي منها يتركب الكلام ، دون ما يتغير منه من ودائه التي هي معانيه ، وملابسه التي هي نظوم تأليفه . . . هـ (٩٨) .

(٩٧) النكت : - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - ٦٩ .

(٩٨) بيان اعجاز القرآن : - ضمن الرسائل ذاتها - ٢٣ - ٣٢ .

الدكتور محمد جابر نياض

وقال ابو هلال العسكري - ٣٩٥ هـ : البلاغة من قولهم : بلغت الغاية اذا انتهت اليها ، وبلغتها غيرى . وبلغ الشىء : متناه . والمبالغة في الشىء الانتهاء الى غايته .

فسميت البلاغة بلاغة ، لانها تنهي المعنى الى قلب السامع فيفهمه . وسميت البلغة بلغة لانك تتبلغ بها ، فتنتهي بك الى ما فوقها ، وهي البلاغ ايضا . ويقال الدنيا بلاغ : لانها تؤدبك الى الآخرة . والبلاغ ايضا : التبليغ ، في قول الله عز وجل : « هذا بلاغ للناس » أى تبليغ ويقال : بلغ الرجل بلاغة ، اذا صار بليغا ، كما يقال : نبل نبالة ، اذا صار نبيلاً . وكلام بليغ وبلغ - بالفتح - كما يقال : وجيز ووجز ، ورجل بلغ - بالكسر - يبلغ ما يريد ، وفي مثل لهم احمق بلغ . ويقال : أبلغت في الكلام اذا أتيت بالبلاغة فيه . كما تقول : أبرحت اذا أتيت بالبرحاء ، وهو الامر الجسيم .

والبلاغة من صفة الكلام لا من صفة المتكلم . فلهذا لايجوز أن يسمى الله جل وعز بأنه بليغ ، اذ لايجوز أن يوصف بصفة كان موضوعها الكلام . وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع . وحقيقته أن كلامه بليغ ، كما تقول : فلان رجل محكم ، وتعني أن افعاله محكمة . قال الله تعالى : « حكمة بالغة » فجعل البلاغة من صفة الحكمة ، ولم يجعلها من صفة الحكيم ، الا أن كثرة الاستعمال ، جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة ، كما انها جعلت تسمية المزايدة راوية كالحقيقة ، وكان الراوية حامل المزايدة ، وهو العبر وما يجري مجراه .

واذا كان الامر على هذا فالنصاحة والبلاغة ترجعان الى معنى واحد ، وان اختلف أصلهما ، لان كل واحد منهما انما هو الابانة عن المعنى والاظهار له . . .

وقد اضطرب أبو هلال أيما اضطرب في التمييز بين البلاغة والفصاحة أو مقارنتهما ببعضهما فهو بعد أن أرجعهما إلى معنى واحد مع اختلاف أصليهما أشار إلى اختلافهما فقال : « فعلى هذا تكرن الفصاحة والبلاغة مختلفتين ، وذلك أن الفصاحة تمام آفة البيان ، فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآفة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي انتهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى .

ومن الدليل أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى ، أن البيغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم الحروف ، وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه . وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً ، إذا كان واضح المعنى ، سهل اللفظ ، جيد السبك ، غير مستكره ولا فج ، ولا متكلف ونخم . ولا يمنع من أحد الإسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف .

وشهدت قوما يذهبون إلى أن الكلام لا يسمى فصيحاً ، حتى يجمع مع هذه النعوت فخامة وشدة وجزالة . . . . .

وقالوا : وإذا كان الكلام يجمع نعوت الجودة ، ولم يكن فيه فخامة وفضل جزالة سمي بليغاً ولم يسم فصيحاً (٩٩) . وهذا الذي انتهى إليه غريب وأغرب من غريب بعد الذي قاله في فصاحة البيغاء ، واختصاص الفصاحة بأقامة الحروف أو حصرها بها ، وجعل الفصاحة بعد هذا أخص من البلاغة ، وأعلى منها مرتبة . وهو ما لم تقف عليه عند غيره ، ولا يعنيه أنه في هذا ناقل ، لكرته لم يسم هؤلاء الذين نقل عنهم ، ولم يعقب على قولهم بشيء ، غير ما مثل به من نصوص لاشك في فصاحتها وبلاغتها فقال : « وأنشدنا أبو أحمد عن أبي بكر الصولي لأبراهيم بن العباس :

الدكتور محمد جابر فياض

تمر الصبا صفحا بساكنة الغضا ويصدع قلبي أن يهب هبوبها  
 قريية عهد بالحبيب وانما هوى كل نفس حيث حل حبيبها  
 فالبيت الاول فصيح وبلغ ، والبيت الثاني بليغ وليس بفصيح . واستدلوا  
 على صحة هذا المذهب بقول العاص بن عدي : الشجاعة قلب ركين ،  
 والفصاحة لسان رزين . واللسان هاهنا : الكلام ، والرزين : الذي فيه  
 فخامة وجزالة . ( ١٠٠ ) مع ان البيت الثاني لا يقل فصاحة عن البيت الاول ،  
 وورقته لا تخرجه عن الفصاحة والا اكان كل كلام رقيق غير فصيح ، فلا  
 أدري كيف يأتي بمثل هذا الرأي الفج ويعرضه ، ويسكت عنه ، من غير  
 أن يعقب عليه بشيء ، مع انه خصص الفصول الثلاثة الاولى من كتابه  
 للحديث عن البلاغة والفصاحة ، الاول : « في الابانة عن موضوع البلاغة  
 في اللغة ، وما يجري معه من تصريف لفظها ، والقول في الفصاحة وما  
 يتشعب منه » ( ١٠١ ) . والثاني : « في الابانة عن حد البلاغة » ( ١٠٢ ) .  
 والثالث « وهو القول في تفسير ما جاء عن الحكمة في حدود البلاغة . ( ١٠٣ ) »  
 فقال في الابانة عن حد البلاغة : « فنقول : البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب  
 السامع ، ، فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك ، مع صورة مقبولة ومعرض  
 حسن .

وانما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة ، لان الكلام  
 اذا كانت عبارته رثة ، ومعرضه خلقا لم يسم بليغا ، وان كان مفهوم المعنى ،  
 مكشوف المغزى . ( ١٠٤ ) وأوضح فيه قول العتابي بمثل ما أوضحه الجاحظ  
 من قبل ، ان لم يكن هو اياه باكثر لفظه ومعناه ( ١٠٥ ) . واحتج للحد الذي  
 ذكره قائلا :

(١٠٠) [نف : ٩ .

(١٠١) ، (١٠٢) ، (١٠٣) : الصناعتين : ٦ ، ١٠ ، ١٤ .

(١٠٤) [نف : ١٠ . (١٠٥) نف : ١٠ - ١١ .

« وما يؤيد ما قلنا من أن البلاغة إنما هي إيضاح المعنى وتحسين اللفظ قول بعض الحكماء : البلاغة تصحيح الاقسام ، واختيار الكلام الى غير ذلك مما سنذكره ونفسره في هذا الباب ان شاء الله .

وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه : البلاغة قول تضطر العقول الى فهمه بأسهل العبارة « فقوله : تضطر العقول الى فهمه عبارة عن إيضاح المعنى وقوله بأسهل العبارة تشبيه على تسهيل اللفظ وترك تنقيحه » . (١٠٦)

وأكد في الفصل الثالث ما ذكره من حدها في الفصل الثاني وأورد أقوالا غير قليلة فيها وتولى شرحها والتمثيل لما مع ما في طائفة منها من اطناب فجاء هذا الفصل أطول النصول الثلاثة .

واعلم من الانصاف أن نشير الى أنه لم يقصر الفصاحة أو البلاغة على الجزأة بل صرح في هذا الفصل ، بما كنا ننتظر أن يصرح به هناك اثر القول الذي ساقه . فقال هنا : « وابلغ من هذه المنزلة ، أن يكون في قوة صائغ الكلام ، أن يأتي مرة بالجزل وأخرى بالسهل ، فليين اذا شاء ، ويشدد اذا أراد ، ومن هذا الوجه فضلوا جريرا على الفرزدق ، وأبا نواس على علي مسلم » (١٠٧)

كما انه أورد أقوالا لم أقف عليها عند من سبقه ، منها ما قد عزاه لقائله ، ومنها ما لم يعزه لقائل بعينه ، من هذه قوله :

« قال بعض الحكماء : البلاغة قول يسير ، يشتمل على معنى خطير . وهذا مثل قول الآخر : البلاغة حكمة تحت قول وجيز ، وقول الآخر : البلاغة علم كثير في قول يسير » . (١٠٨)

(١٠٦) نفسه : ١٢ .

(١٠٧) الصناعتين : ٢٤ .

(١٠٨) نفسه : ٣٧ .

الدكتور محمد جابر نياض

« وكما قال بعضهم : البلاغة صوب ، في سرعة جواب ، والعري اكثر في اذار ، وابطاء يردفه أخطاء » (١٠٩) .

« وقال العربي : البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد من حشو الكلام ، وقرب المأخذ ، وايجاز في صواب ، وقصد الى الحجمة ، وحسن الاستمارة . »

ومثله قول الآخر : البلاغة تقريب ما بعد من الحكمة بأيسر الخطاب ... والرواية الصحيحة أن العربي قال : البلاغة التقرب من المعنى البعيد . ولكن رأيته في بعض أصولي كما ذكرته قبل فأوردته هاهنا وفسرته على ما رأيته في الاصل . « (١١٠) .

غير انه نقل عن جعفر بن يحيى في البلاغة قائلا :

« وقال جعفر بن يحيى : البلاغة أن يكون الاسم يحيط بمعناك ، ويجلي عن مفزاك ، وتخرجه من الشركة ، ولا تستعين عليه بطول الفكرة ، ويكرن سليما من التكلف ، بعيدا من سوء الصنعة ، بريئا من التعقيد ، غنيا عن التأميل » (١١١) . وتولى تفسيره مع ان الجاحظ كان قد نقل قوله هذا في معنى البيان ، وليس في معنى البلاغة ، فقال : « وقال ثمامة : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : « (١١٢) .

ومهما يكن من شيء ، فقد بذل الرجل جهدا فيما حد به البلاغة ، وجاء به من حدودها الكثيرة المعزوة لاصحابها ، غير المعزوة ، تفسير غير قابل مما قيل فيها وأوضح المراد بها ، حتى ان من الباحثين المعاصرين ، من آثر أن يبدأ الحديث عن البلاغة بحديثه ، محققا في هذا أو غير محقق فيه (١١٣) .

(١٠٩) نفسه : ٤٣ .

(١١٠) نفسه : ٤٧ - ٤٨ . (١١١) الصنائع : ٤٢ .

(١١٢) البيان والتبيين ١/١٠٦ . (١١٣) معجم البلاغة العربية ١/٩١ .

وقال عبد الكريم النهشلي القيرواني - ٤٠٣ هـ : « وانما سميت البلاغة بلاغة لا لبلاغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع » (١١٤) .

وعنون الثعالبي - ٤٢٩ هـ الفصل الرابع والخمسين من كتابه المبهج بعنوان : « في ذكر البلاغة والبلغاء ، ووصف الكلام البارع » (١١٥) ، وسأقتصر اولا على ايراد النصوص ، التي ذكر فيها ذكر البلاغة والبلغاء صراحة ، في هذا الفصل وغيره من فصول هذا الكتاب ، لقوله في مقدمته : « . . . وبعد فهذا كتاب عولت فيه على خواطري لا على دفاتري ، وعلى قولي لا على منقولي ، وعلى فكري لا على ذكري . وجلوته في معرض المبتدع المخترع ، لا المبتذل المقترع . . » (١١٦) ، وألحق بها بعد ذلك ، النصوص التي وردت في كتبه الاخرى . فجاء في نصوص الفصل قوله : « أبلغ الكلام ما حسن ايجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وناسبت صدوره أعجازه . البليغ من اذا رمى هدف البلاغة أصاب ، واذا استدر سحاب الصواب صاب .

البليغ من يبلغ الاغراض البعيدة بالالفاظ القريبة .

البليغ من يتجنب الإغراب في الإعراب ، ويترك التوعير والتعير في الخطاب .

الفاظ البليغ حالية ، وألفاظ العبي خالية .

كلام البليغ معسول ، وكلام العبي مفسول .

البليغ من فوائده موارد ، وشوارده ونوادره بوادر .

البليغ من يجتني من الالفاظ اسرارها ، ويجتني من المعاني ثمارها .

(١١٤) المتع : ٣١١ . (١١٥) المبهج : ٤٤ . (١١٦) نفه : ٢ .

الدكتور محمد جابر نياض

كلام البليغ في حلة من الحلاوة ، وحلية من الطلاوة .  
 كلام البليغ فصوص مصفوف .  
 كلام البليغ فصول مدبجة ، وكلام العبي فصول مشبجة .  
 البليغ اذا نطق طبق المفصل ، واذا كتب نسق الدر المنصل « (١١٧)  
 وقال في فصل آخر منه :  
 « البليغ من اذا تكلم أضحك القطرب ، واذا خطب دفع الخطوب » (١١٨)  
 وجاء بأقوال في حديثه عن الكتاب والبلغاء في كتابه التمثيل والمحاضرة  
 تحت عنوان « من كتاب المبهج » مع أن منها ما لم يكن - كذلك - في المبهج  
 واكثرها لم يرد لما ذكر في المبهج بأي شكل من الاشكال . فمما ورد على  
 نحو مغاير لما في المبهج قوله : « البليغ من يحوك الكلام على حسب الاماني ،  
 ويخيط الالفاظ على قلود المعاني » (١١٩) .  
 مع انه في المبهج « الكاتب » بدلا من البليغ ، (١٢٠) ومثل ما في المبهج في  
 النسخة « أ » من كتاب التمثيل والمحاضرة ذاته ، كما ذكر محققه الفاضل ،  
 غير انه ثبت في المتن لفظ البليغ (١٢١) . ويكاد يكون كل ما جاء به من نصوص  
 هذا القسم - بعد هذا النص - ليس من كتاب المبهج لعدم وجودها فيه ،  
 ولان اكثرها جاءت معزوة لغيره خلافا لما صرح به في المبهج ، ولاختلاف  
 النهج الذي انتهجه هنا عما انتهجه في المبهج . فقد نسب الى أبي عبد الله  
 وزير المهدي أنه قال : « البلاغة ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة » (١٢٢) ،

(١١٧) المبهج : ٤٤ .

(١١٨) نفه : ٤٧ .

(١١٩) التمثيل والمحاضرة : ١٥٧ .

(١٢٠) انظر : المبهج .

(١٢١) التمثيل والمحاضرة : ١٥٧ .

(١٢٢) نفه : ١٥٨ .

وقال : قال غيره : « ابلغ الكلام ما سبق معناه لفظه » (١٢٣) . ونسب الى ابن المعتز أنه قال : « البلاغة أن تبلغ المعنى ، ولم تغل سفر الكلام » (١٢٤) . وجاء بعبارة : « خير الكلام ما كان لفظه فحلا ، ومعناه بكرا » (١٢٥) مغفلة ، وكذلك العبارة : « البلاغة ما صعب على التعاطي ، وسهل على الفطنة » (١٢٦) .

والذي يبدو لي أن الثعالبي لم يرد بقوله « من كتاب الميهج » غير الاقوال الثلاثة الاولى التي جاءت بين قوله هذا والبيتين اللذين عزاها الى أبي الفتح وتنبأ للمحقق الفاضل أنها جميعا من كتاب الميهج (١٢٧) . ومهما يكن من شيء فإن مقاله اكثر مما نقله ، وان لم يكن يرمي في الذي قاله الى وضع حد جامع مانع بقدر ما أراده من صياغة الافكار ، والمفاهيم التي وقف عليها وتمثلها من أقوال غيره ، والافتتان في صياغتها ، افتنانا يعرب عن مكانة البلاغة ونفاستها .

ولقد خصص ابن رشيح القيرواني - ٤٥٦ هـ بابا للبلاغة ، جاء فيه بكثير مما قيل فيها ، ونسوبا وغير منسوب ، وما جاء فيه قوله :

« . . . وسئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يفهم ، وكثير يسأم .

وقال آخر : البلاغة اجاعة اللفظ ، واشباع المعنى .

وسئل آخر فقال : معان كثيرة ، في الفاظ قليلة .

وقيل لاحدهم : ما البلاغة ؟ فقال : اصابة المعنى وحسن الايجاز .

(١٢٣) الموضع نفسه . (١٢٤) الموضع نفسه .

(١٢٥) الموضع نفسه ، مع ان الثعالبي نفسه كان قد عزا ال عبد الحميد الكاتب في الامعياز والايجاز : ١١١ .

(١٢٦) الموضع نفسه . (١٢٧) : نفسه ١٥٧ .

الدكتور محمد جابر نياض

وسئل بعض الاعراب : من ابلغ الناس ؟ فقال : اسهلهم لفظا ،  
 وأحسنهم بديهة » (١٢٨) .  
 وقال : « وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : ابلاغ المتكلم حاجته  
 بحسن افهام السامع ، ولذلك سميت بلاغة » (١٢٩) .  
 وقال آخر : البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه ، من غير تعب عليك .  
 وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .  
 وقيل : البلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة .  
 وقيل : البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره ، وآخره يرتبط  
 بأوله .

وقيل : البلاغة القوة على البيان ، مع حسن النظام .

.....

وقالوا : البلاغة ضد العمى ، والعمى : العجز عن البيان

.....

وقيل لبعض الجلة : ما البلاغة ؟ فقال : تقصير الطويل ، وتطوير التخصير .  
 - يعني بذلك القدرة على الكلام » (١٣٠) .

ونقل عن عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث :

« البلاغة التفهم والافهام ، وكشف المعاني بالكلام ، ومعرفة الاعراب ،  
 والاتساع في اللفظ ، والسداد في النظم ، والمعرفة بالقصد ، والبيان في الاداء ،

(١٢٨) السنة : ٢٤٢/١ .

(١٢٩) نفسه : ٢٤٤/١ . وهو لعبدالكريم النهشل . انظر : المنح له - ٣١١ ، وهذا البحث :  
 ص ٢٩٤ .

(١٣٠) نفسه : ٢٤٥/١ .

وصواب الاشارة ، وايضاح الدلالة ، والمعرفة بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الاكثار ، وامضاء العزم على حكومة الاختيار .

قال : وكل هذه الابواب محتاج بعضها الى بعض ، كحاجة بعض أعضاء البدن الى بعض ، لاغنى لفضيلة أحدهما عن الآخر . فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كمال ، ومن شذ عنه بعضها لم يبعد عن النقص بما اجتمع فيه منها .

وقال : البلاغة تخير اللفظ في حسن الافهام . ( ١٣١ ) .

واختتم الباب بقوله : « وقد تكرر في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عني ولا اغفلته ، اكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات . ومدار هذا الباب كله على ان البلاغة : وضع الكلام موضعه من طول أو ايجاز مع حسن العبارة .

ومن جيد ما حفظته قول بعضهم : البلاغة شد الكلام معانيه وان قصر ، وحسن التأليف وان طال ( ١٣٢ ) . هذا فضلا عن الاقوال الكثيرة التي جاء بها منسوبة الى اصحابها وأخذت اماكنها في هذا البحث بحسب وفياتهم ، ومنها ما أخذه عن الكتب التي سبقته وعاصرتة ، ومنها ما انفرد بإيرادها مع قدمها .

ولد بلغ من كثرة ما قيل في البلاغة أن الاقول في وصفها على السنة ذوي الصناعات المختلفة فقال المصري - ٤٥٣ هـ تحت عنوان : « أوصاف بليغة في البلاغات على السنة أقوام من أهل الصناعات :

( ١٣١ ) العبد : ٢٤٧/١ .

( ١٣٢ ) نفسه : ٢٥٠/١ . وقد انفرد المصري بعزو القول الى المتأني . انظر : زهر الآداب

١٣٧/١ ، وهذا البحث : ص ٢٩٩ .

الدكتور محمد جابر نياض

تجمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا بلاغاتهم من طريق صناعاتهم وذكر ما قاله الجوهري ، والمطار ، والصانع ، والصيرفي ، والحداد ، والتجار ، والنجاد والمائح ، والخياط ، والصباغ ، والحائك ، والبزاز ، والرئاض ، والجمال والمخث ، والخمار ، والفناعي ، والطبيب ، والكحال . ويكتفي والوقوف على ما ذكر فيه لفظ البلاغة وما اشتق من مادتها اللغوية صراحة كقول الخياط : البلاغة قميص . . فجربانه (هـ) البيان ، وجبيه المعركة ، وكماءه الرجيزة ، ودخاريمه (هـ) الافهام ، ودروزه الحلاوة ولايس جسده اللفظ ، وروحه المعنى . . . . وقال الجمال : البليغ من أخذ بخطام كلامه ، فأناخه في مبرك المعنى ، ثم جعل الاختصار له عقلا ، والايجاز له منجلا ، فلم يند عن الآذان ولم يشذ عن الاذهان . . . .

وقال الخمار : أبلغ الكلام ما طبخته ، راجل العلم ، وصفاه راووق (هـ) التهم ، وضمته دنان الحكمة ، فتمشت في المفاصل عدوبته ، وفي الافكار رفته ، وفي العقول حدته . . . . ثم قال : أجمعوا كلهم على أن أبلغ الكلام ما اذا أشرقت شمس ، انكشف لبه ، واذا صدقت أنواره اخضرت أحماؤه ( ١٣٣ ) .

وضمن كتابه فصلا آخر بعنوان « فقر في وصف البلاغة لغير واحد » ( ١٣٤ ) . ونسب فيه الى عبد الحميد بن يحيى قوله : « البلاغة تقرير المعنى في الافهام

• جربانه : جبيه . • دخاريمه : ما يرصل به للتوسمة . • الراووق : المصفاة .

( ١٣٣ ) زهر الآداب ١/ ١٢٣ - ١٢٦ .

( ١٣٤ ) نفسه ١/ ١٢٦ .

من اقرب وجوه الكلام « (١٣٥) وإلى العتابي انه قال : البلاغة مسد الكلام بمعانيه اذا قصر ، وحن التأليف اذا طال « وجاء باقوال أخرى غير قليلة .

كما انه أورد فصلا بعنوان « من كلام اهل العصر في صفة البلاغة والبلغاء « (١٣٦) من غير ما عزو ، صبره بما ذهب اليه الثعالبي ، لا الرماني كما وهم المحقق الفاضل وهو قوله : « أبلغ الكلام ما حسن ايجازه ، وقل مجازه ، وكثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه « (١٣٧) . ومما جاء في هذا الفصل قولهم :

« ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه ، أو ييسط رهان القدر وميدانه بل هي أن امد المراد بالفاظ اعيان ، ومعان أفراد ، من حيث لا تزيد على الحاجة ولا اختلال يفضي الى الناقاة .

البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الازهان ، ولا يسلك الا بصائر البيان .. « (١٣٨) .

ووقف ابن سنان الخفاجي على عدد من حدود البلاغة ، ومع عدم اقتناعه بصلاحيه أي منها لان يكون حدا لها فانه لم يحاول وضع الحد الذي يرتضيه فقال :

« وقد حد الناس البلاغة بحدود اذا حققت كانت كالرسوم والعلام ، وليست بالحدود الصحيحة ، فمن ذلك قول بعضهم : لمحة دابة . وهذا وصف من صفاتها فأما أن يكون حاصرا لها وحدا يحيط بها ، فليس ذلك بمسكن ، لدخول الاشارة من غير كلام يتلفظ به تحت هذا الحد .

(١٣٥) نفه ١/١٢٧ . (١٣٦) نفه ١/١٢٨ .

(١٣٧) زهر الآداب : ١٢٨ ، وهو الثعالبي في البيج : ٤٤ .

(١٣٨) المرصع نفه .

الدكتور محمد جابر فياض

وكذا قال آخر: البلاغة معرفة الفصل من الرصل ، لان الانسان قد يكون عارفا بالفصل والرصل ، عالما بتمييز ما يختاره من تأليف غيره ، والحدود لا يحسن فيها التأول واقامة الماذير ، وغرابة الفاظ لاتدل على المقصود ، لانها مبنية على الكشف الواضح ، موضوعة لبيان الظاهر ، والغرض بها السلامة من الغامض ، فكيف يوقع من غامض بمثله .

وكذلك قول الآخر : البلاغة ان تصيب فلا تخطئ ، وتسرع فلا تبطل ، لان هذا يصلح اكل الصنائع ، وليس بمقصور على صناعة البلاغة وحدها . ثم انما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ ، فجعل جواب السائل نفس سؤاله وبهذا يفسد قول من ادعى أن حدها الايجاز من غير عجز ، والاطناب من غير خطل .

وقول من قال : البلاغة اختيار الكلام ، وتصحيح الاقسام ، لان هذين انما سئلا عن حدين الكلام المرفوض من المختار ، ومتى يقع الاطناب مرضيا محمورا فأحال على ما السؤل فيه باق ، وعدم العلم به موجود وحاصل . وفي البلاغة أقوال كثيرة غير خارجة عن هذا النحو ، ( ١٣٩ ) .

وهذا الذي ذهب اليه صحيح ، غير ان قائل هذه الاقوال بانذات ، لم يذهب أي منهم الى أن ما قامه انما هو الحد الجاهع المانع للبلاغة . مع ان غير واحد ممن سبقه كان قد نص صراحة على أن ما قامه في البلاغة انما هو حدها ، الذي أراده لما وعال الفاظه ، ، كاسحاق بن وهب . مثلا . فأقوال هؤلاء أولى بما ناقشته من الاقوال التي ناقشها . واتقد تجنب أن يتولى وضع حد لما .

أما الشيخ عبد القادر الجرجاني - ٤٧١ هـ فقد أوضح ما كان اثره الجاحظ من الاقوال في البلاغة من غير ما اشارة للجاحظ فقال :

« . . . فان قلت : فيجب - على هذا - أن يكون التعميد والتعمية ، وتعمد ما يكسب المعنى غموضاً مشرفاً له ، وزائداً في فضله ، وهذا خلاف ما عليه الناس ، ألا تراهم قالوا : خير الكلام ما كان معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك ؟ فالجواب : اني لم ارد هذا الحد الزائد من الفكر والتعب ، وانما أردت القدر الذي يحتاج اليه في نحو قوله :  
فان المسك بعض دم الغزال .

فانما ارادوا بقولهم : « ما كان معناه الى قلبك اسبق من لفظه الى سمعك » أن يجتهد المتكلم في ترتيب اللفظ وتهذيبه ، وصيانتها من كل ما أدخل بالدلالة ، وعاق دون الابانة ، ولم يريدوا أن خير الكلام ما كان غفلاً ، مثل ما يترجمه الصبيان ، ويتكلم به العامة في السوق .

وهذا ، وليس اذا كان الكلام في غاية البيان ، وعلى ابلغ ما يكون من الوضوح أغناك ذلك عن الفكرة ، اذا كان المعنى لطيفاً ، فان المعاني الشريفة اللطيفة لا بد فيها من بناء ثان على أول ، وردت الى سابق ... » (١٤٠) .  
وخصص فصلاً للبلاغة والفصاحة ، غير انه لم يكن فيه معنياً بالانتهاء الى وضع حد لأي منهما ، وانما كان معنياً بوضع اليد على سبب المزية ، والفضل في الكلام البليغ أو النصيح ، فقال : « .. وفي تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك ، مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض ، من حيث نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السامعين عن الاغراض والمقاصد ، وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم .

ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات ، وسائر ما يجري مجراها ، مما يفرده في اللفظ بأتمت والصفة ، وينسب فيه الفضل والمزية اليه دون المعنى ،

الدكتور محمد جابر نياض

غير وصف الكلام بحسن الدلالة ، وتامها فيما له كانت دلالة ، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وازين ، وآتق وأعجب ، وأحق أن تستولي على هوى النفس ، وتنال الحظ الاوفر من ميل القلوب وأولى بأن تطلق لسان الحمد ، وتطيل وغم الحاسد ، ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤدي المعنى من الجهة التي هي اصح لتأديته ، ويختار اللفظ الذي هو أخص به ، واكشف عنه ، وأتم له وأحرى أن يكسبه نبلا ، ويظهر فيه مزية . . . (١٤١) .

وتحدث محمد بن حيدر البغدادي - ٧١٥ هـ عن البلاغة قائلا :

« والبلاغة ليست الفاظا فقط ، ولا «ماني فحسب ، بل هي الفاظ يعبر بها عن معان ، ولكن ليس كما اتفق ، ولا كيفما وقع ، لان ذلك لو جرى هذا المجرى لكان اكثر الناس بليغا . . . ولهذا السبب قال بعضهم في وصف كاتب بليغ : ان أخذ شبر اكفاه ، وان تناول طوماراً ملاء . يذهب بهذا القول الى ان البليغ يحتاج في موضع الى الاطانة والاسهاب ، كما يحتاج في آخر الى الاختصار ، والايجاز ، الا ان اكثر ما عليه الناس في البلاغة : انها الاختصار ، وتقريب المعنى بالالفاظ القصار ، حتى اذا سئل بعض الناس عن البلاغة قال : هي لمحة دالة . مذهب العرب وعادتهم في العبارة ، فانهم يشيرون الى المعنى بأوحى اشارة ، ويستحبون ان تكون الالفاظ أقل من المعاني في المقدار والكثرة » (١٤٢) .

وحشر ابن منقذ - ٥٨٤ هـ كثيرا مما قيل في تجويد الكلام وتحسينه ، في باب التهذيب والترتيب من كتابه ، فقال : . . . واكن كلامك سليما من التكلف ، بريئا من التعسف ، وليحط لفظك بمعناك ، ويشتمل على مغزاك ، فان البلاغة سرعة جواب في صواب ، وأن تقول فلا تبطل ، وتصيب فلا

(١٤١) الدلائل : ٣٥ .

(١٤٢) قانون البلاغة - ٢٣ - ٢٤ .

تخطى ، ، والي اكارني اعذار ، وابطاء في اخطاء . . وقد اللفظ على قدر المعنى ، لازائداً ولا ناقصا ، كما قيل في مدح بعض الكتاب : كأن الفاظه قوالب معانيه . وقيل في آخر : كان اذا أخذ شبرا كفاء ، وان أخذ طومارا ملاء . واستعمل التطويل في مكانه ، والتقصير في مكانه . . واعلم أن خير الكلام المطمع المنع ، واحسنه ما قل ودل ، وجل ولم يعمل . (١٤٣) .  
 وذهب الرازي ٦٠٦ هـ الى ان البلاغة : « بلوغ الرجل بعبارة كنه ما في قلبه ، ، مع الاحتراز عن الايجاز المخل والاطالة المملة . » (١٤٤) .

وقال السكاكي - ٦٢٦ هـ : « البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها ، وايراد انواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها . ولما - أعني البلاغة - طرفان أعلى وأسفل متباينان تباينا لا يترأى له ناراها ، وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر متفاوتة ، فمن الاسفل تبدىء البلاغة وهو القدر الذي اذا أنقص منه شيء ، التحق ذلك الكلام بما شبهناه في صدر الكتاب من اصوات الحيوانات ، ثم تأخذ في التزايد متصاعدة الى أن تبلغ حد الاعجاز ، وهو الطرف الاعلى ، وما يقترب منه » (١٤٥) .

وقال ابن الاثير - ٦٣٧ هـ : « اما البلاغة فان أصلها - في وضع اللغة - من الوصول والانتهاء ، يقال : بلغت المكان ، اذا انتهيت اليه ، وبلغ الشيء متناه وسمي الكلام بليغا من ذلك ، أى انه قد بلغ الاوصاف اللفظية والمعنوية . والبلاغة شاملة للاقفاظ والمعاني ، وهي أخص من النصيحة ، كالانسان من الحيوان ، فكل انسان حيوان ، وليس كل حيوان انسانا . وكذلك يقال : كل كلام بليغ فصيح ، وليس كل كلام فصيح بليغا .

(١٤٤) نهاية الايجاز : - ٩ .

(١٤٣) البيهق - ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(١٤٥) المنهاج : - ٢٢٠ - ٢٢١ .

الدكتور محمد جابر فياض

ويفرق بينها وبين الفصاحة من وجه آخر غير الخاص والعام ، وهو أنها لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب ، فان اللفظة لا يطلق عليها اسم البلاغة ويطلق عليها اسم الفصاحة ، اذ يوجد فيها الوصف المختص بالفصاحة وهو الحسن ، وأما البلاغة فلا يوجد فيها ، لخلوها من المعنى المفيد الذي ينتظم كلاماً ( ١٤٦ ) .

وقال الصفدي - ٧٦٤ هـ معقبا على هذا بقوله : ( أقول : قد ادعى أن هذا الفارق الثاني غير الاول ، وهو هو بعينه ومينه . فانه أراد أولا : كل كلام فصيح يطلق عليه أنه بليغ ولا ينعكس ( هـ ) ومعنى هذا اذا قلنا :  
• قنا نبك من ذكرى حبيب ومنزل •

فان هذا الكلام بليغ باعتبار ان معناه باغ في صوغ تركيبه الى حدله توفيه بتسام المراد ، وفصيح باعتبار بيان مفرداته وحسنها وعلويتها في السمع ، واذا فككنا هذا التركيب ، وأخذنا كل فرد من الفاظه ، كان كل فرد فصيحاً ولا يكون بليغاً لعدم التركيب في المعنى ، فكانت الفصاحة أعم من البلاغة لأنها وجدت في الافراد والتركيب ، وكانت البلاغة أخص لكونها لا تتناول إلا المركب فقط ، فحيث وجدت البلاغة مع عدوية الالفاظ وجدت الفصاحة ولا ينعكس . فصح أن البلاغة كالانسانية في خصوصها ، والفصاحة كالحيوانية في عمومها . وهذا المعنى موجود بعينه في الفارق الثاني الذي أبداه ، فإنه قال : ان البلاغة لا تكون الا في اللفظ والمعنى بشرط التركيب . . الى آخره ( ١٤٧ ) .

( ١٤٦ ) المثل السائر : - ١١٨/١ - ١١٩ .

( هـ ) خطأ الصفدي في نقل عبارة ابن الاثير هذه ، وسوابها : كل كلام بليغ فهو فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً . وقد نقلها من سوابها في النص ذاته .

( ١٤٧ ) نصرة السائر : - ٧٧ - ٧٨ .

والحق أن الحديث عن اللفظة المفردة وما يمكن أن تنعت به غير الحديث عن جملة الكلام المركب من تلك الالفاظ ومعناه ، وإن انتهى الحديث في كليهما الى عموم الفصاحة وخصوص البلاغة .

وأما ابن أبي الأصعب - ٦٥٤ هـ فقد ذهب - في حسن البيان - الى القول : « . . . وحقبة حسن البيان اخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له وايصاله الى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، فإنه عين البلاغة .. » (١٤٨) .

وذهب التلخوي - حوالي ٦٩٧ هـ في البلاغة مذهبا لا يخلو من غرابة بعد ذكره لمعناها اللغوي فقال : « . . . ومعنى البلاغة انتهاء الشيء الى غاية المطالبة . . . والبلاغة تتعاق بالمعنى فقط ، وهو ان يبلغ المعنى من نفس السامع مبلغه ، ومما يعين على ذلك الفصاحة في كلام العرب ، لا أن الفصاحة من أجزاء البلاغة ، فان الاعجمي اذا كتم الاعجمي ، فبلغ منه المعنى مبلغه كان كلامه بليغا ، ووصف بالبلاغة ، وليس من كلام العرب » (١٤٩) .

فإن أراد بقوله « وليس من كلام العرب » أن الاعجمي كالم صاحبه الاعجمي بلغتهما الاعجمية وبلغ منه ما بلغ فقد فاته أن الحديث عن البلاغة العربية لا بلاغة اللغات الاخرى ، وأن اراد انه كلم صاحبه بكلام عربي ، مشوب بالاعجمة التي عد معها انه ليس من كلام العرب ، فالمتحدث ببلغ ايضا في نظر صاحبه الاعجمي وامثاله لا غير ، فهو ليس ببلغ ولا فصيح في نظر العرب فلا وجه للاحتجاج به وبكلامه على العرب والعربية وبلاغتهما ، وقد أوضح الجاحظ من قبل ما كان قد عناه العنابي بقوله : كل من أفهمك حاجته

(١٤٨) بديع القرآن : - ٢٠٤ .

(١٤٩) الاقصى القريب : - ٢٢ .

الدكتور محمد جابر فياض

فهو بليغ . بل لقد ذهب أبو النجم العجلي الى وصف الحمار بالفصاحة في آذان الاتن مع انه أعجم عند الناس فقال :

« أعجم ، في آذانها فصيحاً » (١٥٠)

فلا ادري أي وجه للاحتجاج على العرب فيما اشترطوه في فصاحة كلامهم وببلاغته بكلام الاعجمي للاعجمي ، باقتهما أو بالعربية المشوبة الملحونة؟؟  
واقدم ذهب شهاب الدين محمود الحلبي - ٧٢٥ هـ الى مثل ما ذهب اليه الرازي في البلاغة فقال : « البلاغة أن يبلغ المتكلم بعبارة كنه مراده ، في ايجاز بلا اخلال ، واطالة من غير إملال » (١٥١) .

وذهب الى مثل هذا شهاب الدين التويري - ٧٣٣ هـ من غير ما إشارة ، للاطالة وما اشترط فيها ، فقال : « نأما البلاغة فهي أن يبلغ الرجل بعبارة كنه ماني نفسه . ولا يسمى البليغ بليغاً الا اذا جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، وهو المسمى ايجازاً . . . » (١٥٢) .

وأورد كثيراً مما قيل في البلاغة ، وأخطأ في نسبة غير قليل مما أورده منها منسوباً (١٥٣) .

ومع ان القزويني - ٧٣٩ هـ ملخص لفتح العلوم للسكاكي فقد ذهب الى غير ما انتهى اليه السكاكي حيث قال : « والبلاغة في الكلام مطابقتها لمقتضى الحال مع فصاحته وهو مختلف ، فان مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام كل من التنكير والاطلاق والتقديم والذكر يبين مقام خلافه ، ومقام النصل يبين مقام الرصل ومقام الايجاز يبين مقام خلافه ، وكذا خطاب الذكي

(١٥٠) السان : - مادة / نصح .

(١٥١) حسن التوسل : - ١٠٣ .

(١٥٢) نهاية الارب : - ٤/٧ .

(١٥٣) نفسه : - ٦/٧ - ٩ .

مفهوم البلاغة

مع الشيء . واكمل كلمة مع صاحبها مقام . وارتفاع شأن الكلام في الحسن والتبول بمطابقتها للاعتبار المناسب ، وانحطاطه بعدمها ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب . فالبلاغة راجعة الى اللفظ باعتبار افادته المعنى بالتركيب وكثيرا ما يسمى ذلك فصاحة أيضا . ولها طرفان : أعلى وهو حد الاعجاز وما يقرب منه وأسفل وهو ما اذا غير الكلام عنه الى ما دونه ، التحق - عند البلغاء بأصوات الحيوانات وبينهما مراتب كثيرة ، وتتبعها وجوه آخر تورث الكلام . وفي المتكلم : ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ : نعلم أن كل بليغ فصيح ، ولا عكس ، وأن البلاغة مرجعها الى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد ، والى تمييز الفصيح من غيره . والثاني منه ما يبين في علم متن اللغة أو التصريف أو النحو ، وأن يدرك بالحسن ، وهو ما عدا التعقيد المعنوي .

وما يحترز به عن الاول علم المعاني ، وما يحترز به عن التعقيد المعنوي علم البيان وما يعرف به وجوه التحسين علم البيان ، والثلاثة علم البديع \* (١٥٤) .

وقد أخذ اكثر الذين جاؤوا بعده بهذا الذي انتهى اليه التزويبي في حد البلاغة واقسامها ، وبخاصة أولئك الذين اتخذوا من تلخيصه أو ايضاحه قطب الرحى لمؤلفاتهم البلاغية . كبهاء الدين السبكي - ٧٧٣ هـ (١٥٥) وسعد الدين التفتازاني - ٧٩١ هـ (١٥٦) ، وأبي يعقوب المغربي - ١١١٠ هـ (١٥٧) ، ومحمد بن عرفة السروقي - ١١٣٠ هـ (١٥٨) وغيرهم من أصحاب الشروح

(١٥٤ - ١٥٨) انظر ايضاح التزويبي ، وعرس الانراج ، ومختصر السمد ، ومواهب الفتح وحاشية السوقي : - كلها ضمن شروح التلخيص - ١٢٢/١ - ١٢٧ ، وتلخيص التزويبي : ٢٣ - ٢٧ .

الدكتور محمد جابر فياض

لتلخيصه أو ايضاحه والمختصرات والحواشي والتعليقات التي دارت في  
فلكهما .

غير ان العلوي - ٧٤٩ هـ جاء بشيء مما ذهب اليه ابن الاثير وما ذهب  
اليه الرازي ، وما ذهب اليه غيرهما ، فقال : « اعلم ان البلاغة في وضع  
اللغة هي الوصول الى الشيء والانتهاء اليه ، فيقال : بلغت البلد ابلغته بلوغا  
والاسم منه البلاغة . وسمي الكلام بليغا ، لانه قد بلغ به جميع المحاسن كلها  
في الفاظه ومعانيه . وهو في مصطلح النظار من علماء البيان ، عبارة عن الوصل  
الى المعاني البديعة بالانفاظ الحسنة . وان شئت قلت : هي عبارة عن حسن  
السبك مع جودة المعاني .

والمقصود من البلاغة هو وصول الانسان بعبارة كنه ما في قلبه ، مع  
الاحتراز عن الايجاز المخل بالمعاني ، وعن الاطالة المملة للخواطر . . . واعلم  
ان البلاغة مختصة بوقوعها في الكلم المركبة دون المفردة فلا يوصف الكلام  
بكونه بليغا ، الا اذا جمع الامرين جمعا من حسن اللفظ ، وجودة المعنى  
فمتى كان هكذا ، وصف بالبلاغة ، فان كان المعنى جزلا ، واللفظ غير  
فصيح ، أو كان اللفظ فصيحاً وكان معناه ركيكاً ، فانه لا يوصف بالبلاغة  
أصلاً . . . واعلم انه لاخلاف بين أهل التحقيق من علماء البيان ،  
أن الكلام لا يوصف بكونه بليغا ، الا اذا حاز مع جزالة المعنى فصاحة الانفاظ  
ولا يكون بليغا الا بمجموع الامرين كليهما . فقد صارت البلاغة وصفا  
عارضاً للانفاظ والمعاني كما ترى : (١٥٩) .

واقصر ابن قيم الجوزية - ٧٥١ هـ على طائفة من النقول في البلاغة  
واشتقاقها فقال : « قال علماء هذا الشأن : ان حد البلاغة : بلوغ الرجل  
بعبارة كنهه ، في نفسه ، مع الاحتراز من الايجاز المخل والتطوير الممل .

وقال قوم : البلاغة ايصال المعنى الى القلب في احسن صورة من اللفظ .  
وقال خالد بن صفوان : أبلغ الكلام ما قلت ألفاظه ، وكثرت معانيه  
وخير الكلام ما شوق أوله الى سماع آخره .

وقال غيره : انما يستحق الكلام اسم البلاغة ، اذا سبق لفظه معناه  
الى قلبك . . . وقال علماء هذا الشأن : ان اشتقاق البلاغة من البلوغ الى  
الشيء ، وهو الوصول .

ويجوز - عندي - أن يكون الكلام البليغ : الذي بلغ من جودة الالفاظ ،  
وعذوبة المعاني الى غاية لا يبلغ الى مثلها الا مثله . « (١٦٠) .

وهذا الذي انتهى اليه خير - فيما أرى - من كثير مما نقله ، وأكن  
أكثر البلاغيين الذين جاؤوا بعد القزويني ، كانوا قد اتخذوا من قوله في  
البلاغة مصطلحاً ، ودخل في كتب التعريفات والمصطلحات ، فقال الشريف  
الجرجاني - ٨١٦ هـ : « البلاغة في الكلام : مطابقتها لمقتضى الحال - المراد  
بالحال الامر الداعي الى التكلم على وجه مخصوص - مع فصاحته ، أي :  
فصاحة الكلام . » (١٦١)

ودخل المصطلح - بهذه الدلالة كذلك - في كتب البلاغة العربية المحدثه  
والمعاصرة . غير ان عدداً قليلاً من البلاغيين المحدثين آثر الاستعاضة عن لفظ  
البلاغة بغيره ، لعل من أبرزهم الاستاذ امين الخولي الذي آثر عليه فن  
القول (١٦٢) .

كما ان هؤلاء من اشار الى ابتهاج لفظ البلاغة وقصور مفهومه ، فقال استاذي  
الدكتور عبدالرزاق محيي الدين رحمه الله .

(١٦٠) الفرائد : ٩ .

(١٦١) التعريفات : ٤٠ .

(١٦٢) انظر : فن القول .

الدكتور محمد جابر نياض

« . . ثم اعطف - بعد ذلك - على مصطلح البلاغة . وقد اخذت من بلوغ الشيء ، والانتهاء اليه ، فالكلام البليغ : ما بلغ الغاية في أداء المعنى والكاتب البليغ ، والشاعر البليغ : من بلغ القصد من عبارته .

وقد ظلت هذه الكلمة غير وافية بالمعنى الذي أريد لما أن تباعه ، واستعملت ردفاً للفصاحة والبراعة والبيان والبديع . كما ظلت مرددة بين أن تكون صفة للفظ ، أو صفة للمعنى ، أو صفة للأسلوب الذي يجمع بينهما ، إلى أن استقر بها ، وبرقيقتها الفصاحة الامر ، فكان اللفظ من حصة الفصاحة ، وكان الأسلوب - اللفظ المركب مؤدى به معنى ، مع شرط الفصاحة - وكان أن حددت بـ - مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته - . . . والتعريف - على دقته وشموله - يتصف بالغموض والابتهام على الصورة التي يعرفها السادة الزملاء . وفي مفتاح العلوم وتلخيصه وشروحه محاولات مبهمة لتوضيحه ومع هذه الصورة من الغموض . وظل التعريف كما هو في الكتب المحدثه . » (١٦٣)

وغير خاف أن البحث في البلاغة ، وليس في فن القول ولا غيره مما اقترح أن يكون بديلاً عنها ، ولا في المقارنة والموازنة بينها وبين تلك البدائل المقترحة ، كما أن البحث معني بدلالة البلاغة على النحو الذي فهمت به عند المعنيين بها . وليس معنياً بمر وغموض ما حدثت به أو سهواته ووضوحه .

وإستاذي رحمہ اللہ لم يتردد في نعت حدها بالدقة والشمول ، ولم يعدل عنه إلى غيره مع ما قاله فيه .

وهما يكن من شيء ، فقد وقفنا على جل ما وصل إلينا مما قيل في البلاغة ان لم أقل كله منذ العصر الجاهلي إلى يومنا هذا ، ورأينا أن كل هذه الأقوال

— بما فيها قول العتابي — إنما تنصرف إلى الحذق والمهارة ، والاصابة والاجادة والاحكام والتمكن ، وغير ذلك مما يمكن أن يوصف به حذق القول وصاغة الكلام لا إلى مجرد ابلاغ السامع ما يريد القائل كيفما اتفق فهي تجلية المعنى العزيز باللفظ الراجيز وتطبيق المفصل قبل التحزيز ، وألا تبطل ، والاقتنار على الایجاز وتكب الفضول ، وتقريب بعيد الحكمة بأسهل عبارة ، ودنو المأخذ ، وقرع الحجج : والقول المفقح في لطف ، وما رضىته الخاصة وفهمته العامة ، وتخير اللفظ في حسن افهام ، واستباق اللفظ والمعنى ، فلا يكون اللفظ إلى السمع أسرع من المعنى إلى القلب ، ومطابقة فصيح الكلام لمقتضى الحال ، وغير هذه الأقوال التي لا تنضي إلا إلى تعزيز ما انتهوا إليه في تحقيقها لغة من أنها الأفتنان في اختيار عناصر الكلام والمهارة في الصياغة أو النظم وتخليص الكلام من كل ما يمكن أن ينقض منه ، فهي نضج الكلام واكتماله .



## عرض الكتب

ملاحظات على كتاب

سانحات دمي القصير  
في مطارحات بني العصر

للخطاط ابي الاظهي

صدر في بيروت سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م الطبعة الاولى من كتاب  
( سانحات دمي القصير في مطارحات بني العصر ) تأليف درويش بن محمد  
الطالوي الأرتقيّ الدمشقيّ ، المتوفى سنة ١٠١٤ هـ . بتحقيق الدكتور محمد  
مرسي الخولي ، الموظف في معهد المخطوطات بالقاهرة .

وقد تضمن الجزء الاول ٣٢٤ صفحة ، والجزء الثاني ٣١٧ صفحة .

وكتب المحقق مقدمة ضافية وافية ، بلغت ٧٨ صفحة تناول فيها بحثاً  
جيداً عن المطارحات الادبية ، والذين كتبوا فيها ، مع ترجمة واسعة للمؤلف ،  
ثم تكلم عن منهجه وعمله في التحقيق .

كما تولى المحقق التعريف بالاعلام في الهامش ، مع شرح بعض المفردات  
والمواضع ، وتخريج الآيات القرآنية الكريمة ، والاشارة الى الآيات المضمنة  
وتخريجها ، مع الاشارة الى ماورد في النسخ الاخرى المخطوطة من اختلاف .  
والكتاب يوضح لنا اسابوب القرن العاشر الهجري وأدبه ، وفيه فوائد عن  
الصلات الادبية والعلاقات بين رجاله .

ويكاد الكتاب ينحصر في علاقات مؤلفه باصحابه ، فهو الى المذكرات  
الشخصية أقرب من اى عنوانه ، لأنه لم يتناول مطارحات بني العصر بصورة واسعة  
وشاملة ، وانما اقتصر على اصحاب المؤلف وشيوخه ، وبعض الولاة والقضاة .

وقد وجدت في الكتاب اوهاماً كثيرة ، واغلاطاً مشيرة ، فضلاً عن اغلاط الطباعة ، وبخاصة ما يتعلق بالتشكيل ، فقد زحفت الحركات عن مواضعها ، فعاد التشكيل إشكالا ، والتصحيح إعلالاً . وها أنا أدون ملاحظاتي حسب تسلسل صفحات الكتاب :

٤٨ / ١ س ٩ :

( ... كما نراه يمدح سنان باشا بن جمال ، احد ولاية دهشقي ) .

ذكره ( جمال ) بالعين المهملة ، وذكره في ٢ / ٢٣٤ و ٢٣٧ ( جفال ) بالفاء ، والصواب : ( جفاله ) بالفتحة المعجمة . وكان والياً في بغداد سنة ٩٩٥ هـ لمدة سنة واحدة ، ثم ولّيها سنة ٩٩٩ هـ ، وعمر فيها خاناً كبيراً يعرف باسم ( خان جفاله ) والعوام يسمونه ( خان جفان ) يلقبون اللام نوناً ، وهو مشهور باسم ( جفاله زاده سنان باشا ) واسمه الحقيقي ( يوسف ) . وتولى عدة إبلات وتوفي سنة ١٠١٤ هـ .

( انظر تاريخ العراق بين احتلالين ٤ - ١١٨ و ١٢٧ وكلشن خلفا ص ٢١٠ )

٧٥ / ١ س ٩ :

( وتقع هذه النسخة في سبعة وعشرين ومائتي ورقة ... )

والصواب : في سبع وعشرين ...

٨٣ / ١ س ١٠ :

( ... ونبوّ طباعه الغير مستقيمة .. )

والصواب : ... غير المستقيمة .. )

٩٣ / ١ س ٢ :

( أندى بدأ منك أولى منك عارفةً أمضى شباة أدنى منك إحسانا )

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : أمضى شباة وأدنى منك إحسانا .

٩٣ / ١ س ١٢ :

(والأب لما أنأت الايام من دنف لازلت ترفع للمعروف بنيانا)  
وصوابه : وارأب ...

١ / ٩٧ س ١٣ :

(... والعين شكري بالدموع المُسَلِّر)

الصواب : والعين شكري ... بالشين المعجمة ، اي بمتكة من الدمع ،  
جاء في لسان العرب : ( وضرة شكري ، اذا كانت مألًى من اللبن ، وقد  
شكّرتْ شكراً ) . انظر : مادة ( ش ك ر ) .

١ / ١٠٢ س ١٢ :

(اقلامه السر في بيض الطروس اذا مشت أرتاك فعال البيض السر)

عجز البيت معلول صوابه : ( .... فعال البيض والسر ) .

١ / ١٠٥ س ٤ :

( يا من له همة مانال غايتها بدر السماء ولا السيارة الزهر )

الصواب : ... ولا سيارة الزهر . بالاضافة ؛ لأن القعيدة مكسورة  
القافية .

١ - ١٠٦ س ١٣ :

( فأعرضت لبياض لاح قائلة يا بعده . تتبدأ عتًا ومطرحا )

ان عجز البيت مختل الوزن .

١ / ١٠٩ س ٣ :

( فككل ذي لسن أعيا بمنطقه حتى يُظنّ به قبل ما فصحا )

عجز البيت معلول وصوابه : حتى يُظنّ به من قبل ما فصحا .

١ / ١٠٩ س ١٧ :

( واعذر اخا فكرة بالترك مقفلة لولا امتداحك باب النظم ما فتحا )

الصواب : ... بالترك .. بفتح التاء لا ضمها .

١١٠/١ من ٨ :

( ولا أُغِيَّت رُبْعَهُ دِيمَةُ مَجْلُوبَةِ الْمَرْزَمِ ذَاتِ انْصَابٍ )  
قال المحقق في الهامش : ( المرزم : الريح ، او ریح الشمال الباردة ،  
ومجلوبة اي تحدث جلبه من شدتها ) .

قلت : الصواب ، مخلوبة ، بالخاء المهملة ، والريح تحلب الحجاب  
وتعصره .

١١١/١ من ١٦ :

( مقلوبه يا صاح ما يُتَّقَى به من الأعداء وقِيَّت المصاب )  
عجز البيت معلول ، وصوابه : به من الأعداء وقِيَّت المصاب . يحذف  
همزة الاعداء ، وعدم تشديد القاف .

١١١/١ من ١٨ :

( حكى سجايك واقألمها ومن سجايا المرء ما يُسْتَطاب )  
ان صدر البيت معلول ، وصوابه : حكى سجايك وأفألمها .

١١٢/١ من ٧ :

( ... فأجاب بما يسحر الالباب من الجواب ، بل يفعل فعل البابي  
المعتق ، والعاني المروق .. ) وكتب المحقق في الهامش : العاني : الاسير المقيد .  
قلت : صحيح إن العاني تعني الأسير . لما يعاني من الأسر والتقيد ، واكن  
المؤلف هنا يقصد بالعاني : الشراب المنسوب الى مدينة عانة ، وقد اكثر من  
ذكره الشعراء .

وأين هذا من ذلك ؟ فتأمل .

١١٢/١ من ١٣ :

( ونادمني - صاح - بأغاظها فرحت سكران بغير الشراب )

وليد الاعظمي

وصدر البيت معلول . وامل صوابه : ونادمتني صاح الفاظها . بغير حرف الباء .

١١٥/١ س ٨ :

( ويا ظبي ما هذا النثار الى متى أما آن تعطو الظباء الكوانس )  
ان عجز البيت معلول وصوابه : أما آن أن تعطو الظباء الكوانس .

١١٧/١ س ٩ :

( كته يد الأنواء وشياً كأنما حبه بأنواع التصاوير فارس )  
إن عجز البيت تضمنين ، ولم يشر إليه المحقق ، وهو لأبي نواس وتمناه :  
تدار علينا الراح في عسجدية حبتها بأنواع التصاوير فارس  
والبيت في ديوانه ص ٣٧ تحقيق احمد عبدالمجيد الغزالي ، القاهرة ١٩٥٣م .

١٢٦/١ س ١١ :

( فَخِلَتْ شَرخَ شَبَابِي رُدَّ رَيْقُهُ عَلَى مَنْ كُنْتُ مَشغُوفًا بِهِ كَلْفًا )  
قلت : إن صدر البيت من البسيط ، وعجزه من الهزج . وصواب البيت :  
فَخِلَتْ شَرخَ شَبَابِي رُدَّ رَيْقُهُ عَلَيَّ مَنْ كُنْتُ مَشغُوفًا بِهِ كَلْفًا

١٣٤/١ س ١٤ :

( ... ) عهد الشباب مضى كطيف منام )

الصواب : ... كطيف منام .

١٣٧/١ س ١ :

( ... علي افندي الشهير بأم ولد زاده ... )

الصواب : ... الشهير بابن أم ولد زاده ... )

١٣٩/١ س ١٠ :

( ممدى الأيام ما حنّ اشتياقاً غريب الى الوطن الرخسي )

عجز البيت معلول وامل صوابه : غريب جمى الى الوطن الرخسي .

١٤٣/١ س ٨ :

( الشهم درويش الفراء طلعت من فاق فضلاً على السماك رقي )  
عجز البيت معلول ولعل صوابه : من فاق فضلاً به أعلى السماك رقي .

١٤٣/١ س ١٤ :

( سرى لكم سلامي الجم أعطره ما حنّ ناء مشوق قلبه للتما )  
صدر البيت معلول ، وصوابه : سرى إليكم ...

١٤٧/١ س ١٤ :

( أما ومبسمه الزاهي لمتسق يزري مفلججه بالدر منتظما )

( لاحت عن حبه الأشهى الى كبدي من الزلال وقد كادت تذوب ظما )  
قلت : الصواب : ومبسمه ( بكسر الميم ) لأنها مجرورة بواو القسم .  
والزاهي ( بستق ) بالباء لا باللام .

١٥١/١ س ١٥ :

( وقامة كفضيب في كئيب تقا اذا اثنت لعقل الصبّ تغتال )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : اذا اثنت فلعتل الصبّ تغتال .

١٥٣/١ س ٢ :

( وطر بجناح العزم نحو مطارهم )

( وإياك بالدمع من ريرب عين )  
وعجز البيت معلول ، ولعل صوابه : وإياك عند السفع من ريرب عين .

١٥٤/١ س ٢ :

( من أصفر فاقع أو أبيض يقق  
أو أحمر قان أو أخضر نصير )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : أو أحمر قان أو من أخضر نصير .

١٥٨/١ س ١٥ :

( صَبَّتْ فِي عَطْفِهَا الصَّبَا مَاءَ حَسَنِ  
وكساهما رِيْبُ الْجَمَالِ بَدِيْعَةً )  
ان صدر البيت معلول ، وصوابه : صَبَّتْ فِي عَطْفِهَا الصَّبَا مَاءَ حَسَنِ .

١٥٩/١ س ٧ :

( أَطِيفُ سَرَى وَهِنًا مَتِيْمًا .  
ام الروض بكَاتِهِ الْحَيَا مَتِيْمًا )  
ان صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : أَطِيفُ سَرَى وَهِنًا إِلَى مَتِيْمًا .

١٦١/١ س ٦ :

( وَيَذْكُرُهُ الْقَمْرِيُّ بِالْأَيْكِ سَاحِقًا  
زَمَانَ الصَّبَا مِنْ شَرْخِهِ الْمُتَضَمِّمِ )  
الصواب : وَيَذْكُرُهُ الْقَمْرِيُّ بِالْأَيْكِ سَاجِعًا ، لا سَاحِقًا ، والقمرى يسجع  
ولا يسحق .

ولعل الناسخ قد صحف الكلمة عند النسخ ، ولم يتنبه اليها المحقق .  
او تكون من غلط الطباعة .

١٦٦/١ س ٥ :

( أَفْدِيهِ بِالْخَالِ وَبِالْخَالِ وَالْـ  
خَالِ وَالْخَالِ مَعًا وَالْأَبِ )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : خَالِ وَبِالْخَالِ مَعًا وَالْأَبِ .

١٦٧/١ س ١ :

( ظَلَالًا تَحْكِي ظِلَالَ النَّقَا . . . )  
صوابه : صَلَالًا تَحْكِي صَلَالَ النَّقَا ، والصلال جمع صلّ ، والكلام  
على الحيات والافاعي ، لا على الظلال والافياء .

١٦٩/١ س ٤ :

( فوحق كوثر مائه من وال في

جَنَاتِ عدن مثله فلقد لغا )

صوابه : فوحق كوثر مائه من قال في .

١٧١/١ س ١١ :

( رجال الموم هنا تُطْرَحُ و صدر الكتُبِ هنا يُشْرَحُ )

عجز البيت معاول ، و صوابه : و صدر الكتاب هنا يشرح .

١٧٣/١ س ٨ :

( ققيض الله مولانا الرزير له

فاختط رحمة للناس واحتسبا )

عجز البيت معول . ولعل صوابه : ناخطه رحمة للناس واحتسبا

١٧٦/١ س ١٦ :

( فأبقرات و جالينوس لو ابصرا ابزنها اذ مليا )

( لأقاما عندهما سوقهما بعلاج نفعه قد رجيا )

صدر البيت الثاني معول ، و صوابه : لأقاما عندهما سوقهما .

١٧٧/١ س ٢ :

( فاهذا جعلوا تاريخه

خير حمام لطبّ بنيا )

صوابه : خير حمام لطبّ بنيا . لأن التصيدة في تاريخ بناء حمام

الوزير مصطفى باشا في دمشق ، وقد انشأه سنة ٩٩٥ هـ كما ذكر ذلك في اول

وليد الاعظمي

القصيدة ( مقدمتها ) ، ولكن مجموع عبارة التاريخ يساوي ١٠٠٣ هـ على حساب الجمل ، وكان ينبغي ان يجمع حساب التاريخ ، ويشير الى هذا الاختلاف ، ما دام قد فعل في غيره من التواريخ في الكتاب .

١٧٨ / ١ س ٦ :

( يسبي بجمرة خده بيض السدى

ويأض معصمه وروثق ساقه )

قلت : بجمرة خده . عبارة لطيفة ، ولكن بجمرة خده ، بالخاء المهملة اولى لأنها تناسب الالوان الاحمر والايض ..

١٧٨ / ١ س ١٠ :

( قسماً بصبح جبينه لو زارني

جنح الدجى وسعى الى مشتاقه )

( الفرشت خدي في الطريق متبلاً

نعم الجفون مواطن استطراقه )

قلت صواب عجز البيت الثاني : بنم الجفون مواطن استطراقه . وقد صحفت كلمة ( بنم ) الى نعم . و ( مواطن ) الى مواطن والتخيل بالفم .

١٨٤ / ١ س ١٠ :

( لازلت في درجات العلم مرتباً

ويهدي بك الله من للقرب يقترب )

صوابه : مرتباً ، بالياء المثناة لا بالباء الموحدة ، وعجز البيت معلول

بالواو الزائدة في أوله ، وصوابه : يهدي بك الله ....

١٨٥/١ س ٥ :

( يا من يجرّ على المجرّة

ذيل همته العليّه )

البيت مدرّر ، وصوابه :

يا من يجرّ على المجرّة

ذيل همته العليّه

١٨٧/١ س ٩ :

( لا زلت يا اتقى القضا

ة على الولاة لك المزيّته )

( ما تحركّ الفلك المحيـ

ط بهمة نفس قويّته )

البيت الثاني معلول ، ومعناه غير واضح .

١٩٥/١ س ١٦ :

( أقمت بالرحمن لا بالفجر

ولا بأناء ليالٍ عشرٍ )

( ولا بثضعٍ مردفٍ بوثر

ولا بجنح الليل حين يسري )

( ولا برادات الضحى والمصر

وما حوى الجمار يوم النحر )

قال المحقق في الهامش : ( وهذان الورتان يميّان الأبردان . لما فيهما من

طيب الجو وبرودته ، وأمل هذا هو ما يعنيه الشاعر برادات الضحى والمصر ) .

قلت : الرادات : جمع رادة ، وهي المرأة التي تكثر الاختلاف الى بيوت

وليد الأعظمي

جاراتها ، قال الأصمعي : الرادة من النساء - غير مهموز - التي ترود وتطوف . انظر لسان العرب مادة ( رود ) .

ويبدو أن المحقق اعتبر الباء في ( برادات ) أصلية في الكلمة من البرودة . ولم يفتن إلى أنها باء القسم كما وردت في البيتين الأول والثاني ، فأين هذا من ذلك ؟

١ / ١٩٧ / ٨ :

( ... حثاً على طلب علم الحديث ... )

الصواب : ... حاثاً على ...

١ / ١٩٧ / ١٣ :

( فهو الرسيمة المعلى في حانه

ومسآله وهو الغمام الصيب )

صدر البيت معلول ، وصوابه : فهو الرسيمة للعلى في حانه .

١ / ٢٠٤ / ١٠ :

( حتى تبسّم ثغر الصبح عن نفس

وكأنه باللقا والوصل موعود )

عجز البيت معلول ، والواو في أوله زائدة ، وصوابه : كأنه باللقا

والوصل موعود .

١ / ٢٠٨ / ٩ :

( هبوا فقد هبّ نسيم الصببا

وظائر الاصباح قد أطربا )

( واصطحبوها خندريساً أبى

كـل لييب غيرها مشربا )

الصواب : واصطبحوها ، والاصطباح الشرب عند الصباح ، والاعتناق عند المساء .

٢١٨/١ س ١

(ولما أبى البدر إلاّ الخو ف ومدّ على الأفق أحلاكة) .  
جعل المحقق ( الماء ) في القافية ساكنة في آيات التصيدة كافة ، وصوابها ( بالضم ) .

٢٢٣/١ س ٥

( بغيّتنا شرب مدامة مزه )

لا صيد كركسي ولا إوزة )

صدر البيت معلول ، وصوابه : بغيّتنا شرب مدام مزه .

٢٢٤/١ س ٦

( والنهر خطّ لما موازي يذكّرني منازل المنازي )  
( حيث الحصى ظنّ لآلي عقد )

الشرط الثالث معلول ، وصوابه : حيث الحصى ظنّ لآلي عقد .

٢٣٨/١ س ٩

( وثانيه مع رابع اذا ما قرنته بثانيه يبدو وجه حبي المحجّب )  
صدر البيت معلول ، وفيه زيادة .

٢٣٨/١ س ١١

( تراني وقد أبصرته متهللاً اغالب فيه الشوق والشوق أغلب )

إن عجز البيت تضمين من شعر المتنبي في مدح كافور ، وتماهه :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب واعجب من ذا المجر والوصل اعجب

وهو في ديوانه ٢٠١/١ تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوقي ، القاهرة

١٩٣٨ م ، ولم يشر اليه المحقق ، ولم يعلق عليه .

١ / ٢٣٨ س ١٥ :

( وخذها كروض جاده سبل الحيا وأضحت اغصانها الرق تخطب )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : وأضحت على أغصانها الرق تخطب .

١ / ٢٤٠ س ١٢ :

( فان تهبّ بما لا تشتهي فلقد  
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن )  
ان عجز البيت تضمنين من شعر المتنبي ، وتماهه :  
ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن  
وهو في ديوانه ٤ / ٤٦٤ تحقيق وشرح عبدالرحمن البرقوقي القاهرة  
١٩٣٨ م .

١ / ٢٤١ س ١٣ :

( ولا غرو ان طُلْتُ المجرّ فاندا  
بملك رقي الطالوي اطاول )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : بمالك رقي الطالوي أطاول .

١ / ٢٤٦ س ١٥ :

( لانلت في رفعة وفي دعة  
وحفظ عيش يطيب مورده )  
الصواب : وخفض عيش ... جاء في لسان العرب : يقال عيش خانض ،  
والخفض والخفيضة : لين العيش وسعته .. وعيش خفض ومخفوض وخفيض :  
خصيب في دعة وخصب ولين ، والخفض : العيش الطيب ، انظر مادة  
( خ ف ض ) .

١ / ٢٤٩ س ٦ :

( وبك الكرامة والكرا

ثم والعزائم والماحه )

( عهدي بهمتك العلية إن

تأبى جامع راضت جماعه )

البيت الثاني معلول ، وفيه تفعيلة زائدة .

١ / ٢٥٥ س ٦ :

( وقال بشارك روض الفضل قلت له

روض ابن بتان ومولانا فقال بلى )

ان عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه ... ابن بتان مولانا ...

١ / ٢٥٦ س ٧ :

( غريبة في بلاد الروم ليس لها

كفواً سواك فأنقذ مهرها عجلاً )

صوابه : فأنقذ ... جاء في لسان العرب : النقد خلاف النسيئة . وفي حديث

جابر وجهله ، قال : فنقذني ثمنه ، اي أعطاني ثمنه نقداً معجلاً . انظر مادة :

( ن ق د ) .

١ / ٢٥٩ س ٤ :

( إلا بقايا مهجعة

هي ملك مولى ذو كرم )

صوابه : ... ذي كرم .

١ / ٢٦٨ س ٩ :

( فمند زمزم في ذلك المقام صفا الـ

راووق وزالت وقد لبّيت اكدار )

ان عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه : ... زالت ...

٢٦٩ / ١ س ٢ :

( قدم معاناً معين الدين ذا لن

عذب المقال لا خانتك افكار )

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : عذب المقال ولا خانتك افكار .

٢٧١ / ١ س ١٤ :

( ومن باب مأوى العفاة وركنه

لدى حادثات الدهر ركن مدافع )

ان صدر البيت معلول وصوابه : ومن بابه مأوى العفاة وركنه .

٢٨٢ / ١ س ٩ :

( لولاه لم أرض الروم منزلة

عن الشام سقاها غيث منجم )

صدر البيت معلول ، وصوابه : لولاه لم أرض أرض الروم منزلة .

٣٠٠ / ١ س ١٣ :

( وانسي لتعروني للذاكره هزة

كما اهتر من جنّ النشاط مروّح )

ان صدر البيت تضمين من شعر مجنون ليلى ، تمامه :

ولاني لتعروني للذاكره هزة

كما انتفض العصفور بلاءه القطر .

وهو في ديوانه ص ١٣٠ ، تحقيق عبدالستار احمد فراج ، القاهرة ،

وينسب البيت الى ابي صخر الحفلي ايضاً .

: ٦ / ٣٠٢ س

( وما عرفوا أنّ القريض لذي النهي )

ضروب فمنها ناقص رجيج (

عجز البيت معلول ، وصوابه : ... ناقص ورجيج .

: ٢ / ٣١٢ س

( فلي بين هاتيك المعاهد جؤذر )

جمي القلب يرعى لا الكتيب ولا والسقطا)

عجز البيت معلول ، فيه واو زائدة ، وصوابه : ... لا الكتيب ولا السقطا .

: ١٠ / ٢٠ س

قوله تعالى ( وهو الذي انزل السكينة ... )

الواو في أوله زائدة والصواب : هو الذي انزل السكينة .

: ١٠ / ٣٩ س

( قصيدة الحكيم الفاضل والفيلسوف الكامل ابو علي الحسين بن شبل ) .

الصواب : ... ابي علي الحسين بن شبل .

: ١٥ / ٩٢ س

( يغتدي البارع المفيد لديها )

لاحقاً بالمقصر والمستفيد )

ان عجز البيت معلول ، والواو فيه زائدة ، وصوابه : لاحقاً بالمقصر

المستفيد .

: ١٢ / ٩٦ س

( وهب الله للمعاني اناس )

بذلوا عزمهم وجالوا وصالوا )

صواب صدر البيت : وهب الله للمعالي أناساً .

١٠٤/٢ س ١١ :

( أم عقد درّ بالبهاء منضد

أبصرته وذاك عندي اكبر )

ان صدر البيت من الكامل : وعجزه من الرجز ، والقصيدة كلها من الرجز ، لذلك ينبغي حذف همزة البهاء ، ليعود من الرجز : ام عقد در بالبها منضد .

ثم يقول بعد أبيات :

( محمد درويش من فضله

لا يبلغ الحد ولا يُحصَرُ )

وهذا البيت من السريع ، فنأمل .

١١١/٢ س ٤ :

( ابن الكرام السابقين لرتبة

شما يقصر دونها المتناول )

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : ... المتناول .

١١١/٢ س ٨ :

( فلا بدع ان يتبع الفرع أصله ، ويجمع الله بالكمالات شمله : )

( درويش منه طنت حصاة فخوره

وامتلاً الكون بطيب نثره )

قلت : هي ارجوزة في مدح آل طالو ، ولكن المحقق خدعته السجعة في السطر الاول وهو مقدمة للقصيدة ، فشطره وجعله دكنا :

فلا بدع ان يتبع الفرع أصله

ويجمع الله بالكمالات شمله

ولم يميز الشر من النظم ، فتأمل !  
 و صدر البيت من الرجز معلول ، وصوابه : درويش مذ طنت حصاة  
 فخره والبيت التالي :

فرع كناه بالمرام ( طالو )  
 والعلو والسمو طالوا  
 وصواب صدر البيت : فرع نماه بالمرام طالو .  
 وعجز البيت معلول وصوابه : وبالعلو والسمو طالوا .  
 ١٢١/٢ س ٤ :

وظننّ فيه غير ظنّ مرجم  
 على أنّ ظنّ الألمعيّ يقين  
 ان صدر البيت معلول : وصوابه : وظننّي فيه غير ظنّ مرجم .  
 ١٢٤/٢ س ١٣ :

( فكم عمّ منه فيض جود لما  
 وخصّ لعمرى أهلها بالندى الغمر )  
 إن صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : فكم عمّ منه فيض جود لأهلها .  
 ١٢٤/٢ س ١٤ :

( مرماه على الفردوس باب جنانها  
 وناح لغير الحزن من دوحها القري )  
 صدر البيت معلول .  
 ١٢٥/٢ س ١٩ :

( ولا سيما القدسي استاذنا الذي  
 له رتبة في العلم فرق النائم )  
 ( كذا شيخنا شيخ الطريقة والحقي )  
 قة منصور على كل ظالم )

ان البيت الثاني معلول .

١٢٦/٢ س ١ :

( وسرى الى المقياس والنيل طافح )

تصافحه كف الرياح التواسم (

ان صدر البيت معلول ، ولعل صوابه : ويسرى الى المقياس والنيل طافح .

١٣٠/٢ س ٢١ :

( وحكمة ثم كلاماً به )

نقت اهل الاعصر الماضية (

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : قد نقت اهل الأعصر الماضية .

١٣١/٢ س ١٢ :

( وسرت مع الركبان في مشرق )

ومغرب اكرم بهاسارية )

ان صدر البيت معلول ، والواو في أوله زائدة ، وصوابه : سرت مع

الركبان ...

١٣١/٢ س ١٥ :

( وشيتف الأذان بالفاظه )

إن كنت ممن أذنه واعية (

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : وشيتف الأذن ... بالمفرد لا بالجمع .

١٣٧/٢ س ١٤ :

( روينا حديث الماء فيه مسللاً )

عن معين صح من طرق أخرى (

ان عجز البيت معلول ، ولعل صوابه : كذا عن معين ... او كما عن

معين ..

١٣٧/٢ س ١٨ :

( وثقت وأرست فلك مطالبی

بہ انہا قد اشحت تیرا )

ان صدر البيت وعجزه معلولان .

١٤٠/١ س ١٥ :

( بین سقط اللوی ومعطف بانة

وأثیلات ملتی کتابہ )

کذا ، وصواب البيت :

بین سقط اللوی ومعطف بانہ

وأثیلات ملتی کتابہ

بکسر النون وسكون الماء فی القافية ، والقضیة کلها كذلك .

١٤٢/٢ س ١٩ :

( قرّبه الله مالکہ بک سعداً

فلکاً دائراً بعد قرانہ )

ان صدر البيت معلول . ولعل صوابه : قرن الله ملکه بک سعداً .

١٤٨/٢ س ١ :

( آمن دعوتک والمسموم

جیوشها قلبی تطارد )

( فامزج بحولک کربتی

یا من له حسن العرائد )

البيت الاول صواب اوله : یا من دعوتک ..

والبيت الثاني صوابه : فامزج بحولک کربتی . والکریة تزاح ولبس تمزج .

١٤٨/٢ من ٦ :

( بِرَ لَنَا فَرَجاً مُتَرِيباً  
يَباً يَا الْحَيَّ لَا تَبَاعُدْ )

وصوابه : .. فرجاً قريباً . وكنت ظنته من غلط الطباعة لولا ضبطه  
( متريباً ) بضم الميم .

١٥٧/٢ من ٨ :

( عام احدي وألف .. ) وصوابه : عام واحد وألف ..

١٥٨/٢ من ١ :

( ومعاجد كان الشبا

ب وشرخه فيها سمير )

كتبها المحقق ( سمير ) بكسر الراء ، وصوابها : ( سميري ) بالياء .

١٧٤/٢ من ١٢ :

( دار متى اضحكت أبكت

غداً تياً لما من دار )

البيت معلول ، وصوابه :

دار متى ما اضحكت في يومها

أبكت غداً تياً لما من دار

والبيت للحريزي في مقاماته ص ٢٢٤ طبع دار التراث ، بيروت ١٩٦٨ م .

ولم يضبطه المحقق ولم يشر اليه .

١٧٧/٢ من ١٢ :

( تياً له من خادع سخاذق

اصفر ذي وجهين كالمنافق )

البيت للحريزي في مقاماته ص ٢٩ طبع دار التراث بيروت ١٩٦٨ ،

ولم يشر اليه المحقق ، ولا علّق عليه ، وصوابه ( مماذق ) وليس ( سخاذق ) .

١٨٥/٢ س ١٢ :

( ثم جاء الانام نحوي سعيًا  
يسألوا الصبَّ عن نداءك العظيم )  
وكلمة ( يسألوا ) صوابها ( يسألون ) وبها يختل الوزن ، والشاعر حذف  
التون للضرورة ، وهي ضرورة قبيحة ، وكان ينبغي للمحقق ان يشير الى ذلك  
ويعلق عليه .

١٨٨/٢ س ٤ :

( صدر مصر اليها وبدر سماها  
مستفيد للعداء مردي الخضوم )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : مستفيد العداة ...

١٨٨/٢ س ٨ :

( محرز سبق من بني الصديق وفضلاً  
وقد استجمعوا مكارم خيم )  
ان صدر البيت معلول ، وفيه واو زائدة ، وصوابه : محرز سبق من بني  
الصديق فضلاً .

١٩٤/٢ س ١٠ :

( ملأ الخافقين صيت علاه  
وسرى ذكرها مع التركان )  
صواب عجز البيت : وسرى ذكره مع الركبان .

١٩٤/٢ س ١٥ :

( شيخ ماله مثال تراه  
وهيولى في صورة الانسان )  
صواب صدر البيت : شيخ ماله مثال تراه .

١٩٦٦/٢ س ٥ :

( العالم النطس الأغرّ الالمع  
في اللوذعي الأبيجد )  
البيت معلول ، وهو ناقص تنجياة واحدة .

١٩٧٧/٢ س ٩ :

( وأشمّ ترب الآل ممتن حلّ في  
ارجاء يثرب او حواه الفرقد )  
وصوابه : ... حواه الفرقد ، وهو بقيق الفرقد ، مقبرة اهل المدينة .

١٩٨٨/٢ س ٩ :

( فانه يهدي من أضل سبيله  
منه بعدما ظهر الطريق الأقوم )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : من بعدما ظهر الطريق الأقوم .

١٩٨٨/٢ س ١٨ :

( هذي عقود السحر أم نفتاحه  
وررد وادي الشحر ام نفتاحه )  
ان عجز البيت معلول ، وصوابه : وورود وادي الشحر ام نفتاحه .

٢٠٠٦/٢ س ٥ :

( وافتك وافدة القرافي فوقها  
أوقار مدحك وهو ملك دار )  
صوابه : ... ميلك داري . نسبة الى دارين . وهو مشهور .

٢٠٠٧/٢ س ٢ :

( عام خمسن بعد الألف .. ) صوابه : عام خمسة بعد الألف .

٢٠٨ / ٢ س ١ :

( في أن يُسِيرَ أمره العالي إلى )

قاضي الحاكم في قضاء المحل )

وصواب صدر البيت : في أن يسير امره العالي إلى .

٢٠٨ / ٢ س ٧ :

( بمحمد هادي الانام وآله ال عشر الكرام ومن لديهم قدولي )

وصوابه : ... وآله الغر الكرام .

٢١٤ / ٢ س ١٢ :

( فهي السوانح لا سرا )

نح رامة يالفن ريمه )

( من كلّ وسنى ، قدما )

بان على تقوى صريمه )

وصواب البيت الثاني :

من كلّ وسنى ، قدما

بان على تقوّي صريمه

والغريب ان المحقق يشرح كلمة ( تقوى صريمة ) فيقول : والتقوى -

كذا - : الكتيب من الرمل ، والصريمة : القطعة المنزلة من معظم الرمل .

قلت ان كلمة ( تقوّي ) هي مثنى ( نقا ) مجرورة بعل . ومضافة الى

الصريمة ، فأين هذا من ذلك ، ومن اين وقع له هذا المعنى ؟

٢١٦ / ٢ س ١٩ :

( تلك الأبادي لا التي )

حدثن في العصر القديمة )

( سبقت إليّ وجبتنا

منها سوابقها الجسيمة )

وصواب صدر البيت الثاني : سبقت إليّ وجبتنا .

٢ / ٢٢٠ س ٥ :

( عدله مثل خلقه حسن

لا يجابه فيه من ماشى )

وصواب عجزه : لا يجاربه فيا من ماشى .

٢ / ٢٢٥ هامش ٣ :

قوله تعالى ( وقال الذي عنده علم من الكتاب أما آتيتك به ... )

وصواب الآية ... أنا آتيتك به ...

٢ / ٢٢١ س ١٢ :

( أترّ في خدّه من نظري

دقّ الا عن دقيق النظّر )

( كهلال الشك في أفق بدا

طالماً في شفتي من خضّر )

صواب صدر البيت الاول : أترّ في خدّه من نظري ، والقافية في البيتين

مكسورة ، فلماذا جعلها المحقق ساكنة ؟

٢ / ٢٢١ س ١٨ :

( جراحة اللحظ في الخلود وحكي

بياضها فوق حصرة الخدّ )

ان صدر البيت معلول ، وفيه واو زائدة ، وصوابه : ... في الخلود وحكي .

٢ / ٢٢٣ س ٣ :

( أسكنها فردوس جنته

أنهارها من تحتها جاربه )

صدر البيت معلول ، وصوابه : اسكنها فردوس جناته .  
٢ / ٢٢٣ س ١٠ :

( عام ست بعد الألف ) وصوابه : عام ستة بعد الألف .  
٢ / ٢٢٣ س ٩ :

( حمى الشام جاد الغيث ما حلَّ تُربها )

معان الهوى فيها مغاني أحبتي (   
وصواب صدر البيت : حمى الشام جاد الغيث ما حلَّ تُربها ، والغيث   
يجود الماحل من الارض ، و ( ماحل ) في البيت مضافة الى ( تربها ) ،   
ولكن المحقق لم يبين له ذلك . واعتبر كلمة ( ماحل ) كلمتين ( ما ) و( حلَّ ) ،   
ولذلك نصب ( تربها ) لأنها مفعول به عنده .  
٢ / ٢٢٨ س ٢ :

( عام خمس بعد الألف ) صوابه : عام خمسة بعد الألف .  
٢ / ٢٢٨ س ١٢ :

( مهفهفك تثنى قلت مقتضب )

من قضب نعمان او من كضب بيرين )

صواب صدر البيت : مهفهف إن تثنى قلت مقتضب .  
٢ / ٢٢٩ س ١٤ :

( وثنى الهزار بصوته غرداً )

عذبات بانتهاء على الرند (   
جاء هذا البيت في قصيدة تجاوزت خمسين بيتاً قافيتها رائية مكسورة ،   
كالبدري ، الزدري ، ويأتي هذا البيت على قافية الدال ( الرند ) في وسط   
القصيدة ، ولم يتنبه المحقق الى ذلك ، وأغرب منه ان المحقق يشرح لنا في   
الهامش كلمة ( الرند ) ، ولم يشر الى القافية المتغيرة ولم يعلق عليها .

٢ / ٢٣١ س ١ :

( لازال يحيى النضل مقتبلا )

( شرح الشباب مدى العمر )

وعجز البيت معلول ولعل صوابه : شرح الشباب به مدى العمر .

٢ / ٢٤٥ س ٥ : قول المتنبي :

( وقد يتقارب الرصفان جداً )

( وصوفاهما متباعدان )

ان عجز البيت معلول ، وصوابه : وموصوفاهما متباعدان .

٢ / ٢٤٨ س ٨ :

( واذا تراهم اعجبك جومهم )

( واذا يقولوا فالحديث تغمغم )

صوابه : ( واذا يقولون ... ) وبها يخلل الوزن . فاضطر الشاعر الى حذف

التون ، وهي ضرورة ثقيلة ، وكان ينبغي للمحقق ان يشير الى ذلك ويعلق عليه .

٢ / ٢٤٨ س ١١ :

( لكن لي بالظن الجميل بلطف من )

( هو لم يزل حالي الضعيفة يعلم )

صدر البيت معلول ، وصوابه : اكن لي الظن الجميل بلطف من .

٢ / ٢٤٩ س ١ :

( لا يخشي في الله لومة لائم )

( أبدأ ولو كثرت عليه اللوم )

صدر البيت معلول ، وصوابه : لا يخشي في الله لومة لائم .

سانحات دمی القصر

٢ / ٢٤٩ س ٤ :

( نصبت سراق عدل فيها يدُ

لجراح ظلم القوم فيها مرهم )

صدر البيت معلول وصوابه : نصبت سراق عدله نيبا يدُ .

٢ / ٢٤٩ س ٥ :

( وسرت سير الشمس سيرة عدله

فيها ونور الحق لا يتكتم )

صدر البيت معلول ، وصوابه : وسرت سير الشمس سيرة عدله .

٢ / ٢٤٩ س ٦ :

( أضحي غوث الأنام وغيثهم

في أزمة فيها الغني المقدم )

صدر البيت معلول ، وصوابه : أضحي بها غوث الأنام وغيثهم . وقافية

البيت الثاني صوابها : ( المُعدّم ) ، لا المقدم ، أي أن تلك الازمة يتساوى

فيها الغني والمعدّم ، أو يكون الغني معدماً .

٢ / ٢٥٠ س ٢٠ :

( خوف يوم تُلقتي به كل نفس

حاضراً ما جنته من سيئات )

ان صدر البيت معلول ، وصوابه : خوف يوم تُلقتي به كل نفس .

٢ / ٢٥٣ س ١٦ :

( دمت جمّ العطاء صافي ظلّ

صافي العيش في هنا وانتعاش )

صدر البيت معلول ، وصوابه : دمت جمّ العطاء صافي ظلّ .

٢ / ٢٥٣ س ١٨ :

( ويحييني بيتك الحرام مُلَبِّ  
وغشى نار جودك الغمر غاشي )  
صدر البيت معلول ، وصوابه : ويجي بيتك الحرام مُلَبِّ .

٢ / ٢٥٨ س ٩ :

( عام تسع وألف .. ) ، صوابه : عام تسعة وألف .

٢ / ٢٦١ س ١٦ :

( وبقيتما في ظل عي  
— وارف النعمى نسني )  
صوابه : وبقيتما في ظل عيش ...

٢ / ٢٦٦ س ١٤ :

( عام تسع بعد الألف ) صوابه : عام تسعة بعد الألف .

٢ / ٢٦٧ س ٢ :

( اذا شام برق الشام حاجت لوعة  
ومن دونها طامي الفوارب كالشهب )  
صدر البيت معلول : وصوابه : اذ شام برق الشام حاجته لوعة .

٢ / ٢٦٧ س ٦ :

( وخص بها دار الأمير وما حوت  
معالمها من ذي لمي خَصِيرِ عذب )  
كتب المحقق في الهامش (١) : اللمى : الشجر تكائف ظله .

قلت : اللمى ، سمرة الشفتين والثلاث ، جاء في لسان العرب : ( ورجل  
اللمى وامرأة لمياء ، وشقة لمياء ، وقيل : اللمياء من الشفاه ، اللطيفة القليلة

اللحم ) وجاء فيه : وشجرة لمياء الظل ، سوداء كثيرة الورق ، انظر مادة ( ل م أ ) ، واين هذا التفسير من قصد الشاعر ؟ .

٢ / ٢٦٨ من ٣ :

( عام تبع بعد الألف ) صوابه : عام تسعة بعد الألف .

٢ / ٢٧٢ من ١٠ :

( محمد الاسم مولى قد تخيره )

من دوحه المعد بارىء النسم )

ان عجز البيت معلول :

٢ / ٢٧٧ من ١٥ :

( في عام عشر بعد الألف من صفر )

رأيت بالروم مرأى راقى للنظر )

صدر البيت معلول ، صوابه : في عام عشرة بعد الألف من صفر

٢ / ٢٧٨ من ٩ :

( لم لا ومنشئه رب الفضل من خضعت

له بلاغة اهل البدو والحضر )

صدر البيت معلول ، وصوابه : ... وهو ... بتخفيف الهمزة :

٢ / ٢٧٩ من ١٧ :

( لو شام برق ثناياها الشريف سلا

عن ظبية البان عن ظبية الخمر )

عجز البيت معلول ، وصوابه : عن ظبية البان او عن ظبية الخمر .

٢ / ٢٨٠ من ٧ :

بحمد الله قد زال القمام

وجاءت صحة فيها دوام

القصيدة في ( ٢٦ ) بيتاً جعلها المحقق ساكنة القافية ، وصوابها مضمومة .  
٢ / ٢٨٥ س ٥ :

( دعوتُ تضرعاً ومعى الأنامُ  
وأمنتُ الملائكة الكرامُ )

القصيدة في ( ٢٥ ) بيتاً جعلها المحقق ساكنة القافية ، وهي مضمومة .  
٢ / ٢٩٠ س ٦ :

( تبقى على صفحات الدهر خالدة  
كالانجم عقداً ليس ينفصم )

عجز البيت معلول ، وصوابه : كالانجم الزهر عقداً ليس ينفصم .  
٢ / ٣٠٥ س ١٢ :

( طرس به هرز النجوم كأنه  
صبح وهنّ بقايا حنيدس )

عجز البيت معلول ، وصوابه : صبح وهنّ به بقايا حنيدس .  
٢ / ٣١٠ س ٣ :

( واكنما الاعمار تجري لغاية  
ومعرفة الغايات بعد المذاهب )

( واني لأهوى أن اكون مع الصبا  
رسولاً الى البيضا لتقضى المآرب )

وردت قافية البيت الثاني مضمومة ، وصوابها بالكسر ، لأن القصيدة  
مكسورة القافية ولعل الصواب : رسولا الى البيضا لتقضى مآربي .

★ ★ ★

هذه الملاحظات تخص اوزان الشعر ، وما يتعلق به من تضمين ،  
وتصحيف ، وتحريف ، والاعطال في التعبير ، وحساب التاريخ .

اما الاغلاط الطباعية فهذا جدول يتضمنها حسب تسلسل صفحات الكتاب :

الجزء والصفحة	الخطأ	الصواب
١ / ٣١ من ١٢	يفني	يفتي
١ / ٩٨ من ٥	الطول	الطول
١ / ١٠٢ من ٣	الورر	الدرر
١ / ١٠٢ من ٩	الايوضاع	الايوضاح
١ / ١١٠ من ٨	المزرم	المزرم
١ / ١١٣ من ٧	أقلانه	أقلامه
١ / ١١٤ من ٧	أولاً	أولا
١ / ١١٥ من ١١	انيعت	اينعت
١ / ١١٧ من ٧	كله	كلته
١ / ١١٧ من ٧	كلت	كلت
١ / ١١٨ من ٢	كالليالي	كاللالي
١ / ١١٨ من ٤	أثيتك	أثيتك
١ / ١٢٠ من ٦	ظنانة	ظنانة
١ / ١٢٠ من ١٨	غطاء	عطاء
١ / ١٢٠ من ١٩	سوايداء	سويداء
١ / ١٢٣ من ١٥	صوراما	صوارما
١ / ١٢٦ من ١١	سرت	سرت
١ / ١٢٧ من ٣	ذلك	ذاك
١ / ١٣٢ من ٥	رهانة	رهانه
١ / ١٣٢ من ٩	فمجة	فمجة
١ / ١٣٢ من ١٨	الترييض	الترييض
١ / ١٣٣ من ٥	الهدى	الهوى

شفاف	شفاف	١٤٢ / ١
كفرار	لفرار	١٤٨ / ١
يولي	يولي	١٥٨ / ١
مضرما	يضرما	١٦٠ / ١
ناحت	ناحب	١٦١ / ١
ذي	ذمر	١٦١ / ١
ردا	رداء	١٦٢ / ١
واعلم	والعم	١٦٤ / ١
ملعب	يلعب	١٦٥ / ١
مردا	مغردا	١٨٤ / ١
وأصبح	وأصبح	٢٠٥ / ١
ومبيض	ومبيض	٢٠٥ / ١
أناساً	أناس	٢١١ / ١
بالقيد	بالقد	٢٢٦ / ١
معنى	مغنى	٢٢٨ / ١
النقاد	النقاد	٢٣١ / ١
صب	صبت	٢٣٢ / ١
الكميث	السكيت	٢٣٤ / ١
(١٠٢٠٣٠٤٠٤)	(١٢٠١٣٠١٤٠١٠)	٢٣٤ / ١
ضرام	مغرام	٢٣٥ / ١
رعش	رعشن	٢٤٣ / ١
وأرواح	وأرواح	٢٦١ / ١
دوحه	درحه	٢٦٦ / ١
ثقاة	ثقاة	٢٧٧ / ١

ساع	صاع	٥ / ٢٨٢ س
تسیم	نسیم	٦ / ٣٠٠ س
متحصد	متصحد	٦ / ٣٠٥ س
صاحیه	حاجیه	١٢ / ١٠ س
الصدارة	العدارة	١٤ / ٢٢ س
جيرة	جيزة	٤ / ٨٩ س
كل	كسل	١ / ٩٠ س
فيهما	فيها	١٣ / ١١٤ س
لقطيه	لقطية	١ / ١١٧ س
صفر	صفر	١٤ / ١٢٠ س
عدل	عدد	١١ / ١٢٤ س
صليل	ضليل	١ / ١٢٥ س
شفّ	سفا	٨ / ١٤٣ س
وغنى	وغنّ	١٣ / ١٤٥ س
سنة اثنتين	سنة اثنين	٣ / ١٤٦ س
الصبا	الصنا	١٦ / ١٨٦ س
سقط	قسط	٢ / ١٨٧ س
من	منه	٨ / ١٩١ س
رفعة	رقعة	١٣ / ١٩٦ س
النقا	الفقا	٥ / ١٩٩ س
عزمه	عزمة	١ / ٢٠٣ س
حزوى	خزوى	١ / ٢١١ س
ساجية	حاجية	٤ / ٢١١ س

اثنت	اثنت	٢ / ٢١٢ س ٤
المجتبي	المجتبين	٢ / ٢١٣ س ١٥
(١٤٠٣٠٢٠٤)	(٢٠٣٠٤٠٥)	٢ / ٢٢٠ ارقام المتن
سما	سما	٢ / ٢٢٥ س ١
ابن بجدتها	ابن نجلتها	٢ / ٢٢٥ س ٣
يفشي	يفش	٢ / ٢٣٠ س ١٤
فتلافي	فتلافي	٢ / ٢٥١ س ٢٠
بسر	بسم	٢ / ٢٥٥ س ٤
براوية	بروايه	٢ / ٢٥٨ س ١٠
الرماح	الرمال	٢ / ٢٦٦ س ٧
إليها	البها	٢ / ٢٧٠ س ١٩
ذاوياً	داوياً	٢ / ٢٧١ س ٨
الخلق	لخلق	٢ / ٢٧٣ س ١٥
صحتها	صمتها	٢ / ٢٧٤ س ١٤
شيخ	شيخ	٢ / ٢٧٤ س ٢١
الهدى	الموى	٢ / ٢٧٥ س ٨
العيد	العبد	٢ / ٢٨٤ س ١١
عصر	عصير	٢ / ٢٩٦ س ١٣
جاسم	حاسم	٢ / ٣٠٤ س ١١
اللاهب	لسلاهب	٢ / ٣٠٨ س ١٠
الخطي	لخطي	٢ / ٣٠٨ س ١٥
وصيه	وصيته	٢ / ٣٠٩ س ٧
حواش	حواس	٢ / ٣١٥ س ٧

ويعد :

فان هذه الملاحظات الكثيرة ، لا تقلل من شأن الكتاب وقيمه الادبية والتاريخية ، وهي تزيد في حسنه ، وتجعله اقرب الى الصواب ، وقد علمت ان المحقق الفاضل ، قد افضى الى رحمة الله ، فعسى ان يفيد منها من يتولى امر الكتاب في طبعاته المقبلة .

وليد الاعظمي

الاعظمية في ذي الحجة ١٤٠٣ هـ

★ ★ ★

## أَنْبَاءٌ وَأَرَءُ

الحاج عبدالكريم جرمانوس (١٨٨٤-١٩٨٤)

في ذمة الله

ان سنة ١٩٨٤ هي سنة مزدحمة وحافلة بالاحداث بالنسبة للاستشراق  
المجري . ففي الربيع كانت هناك احتفالات على نطاق واسع في المجر وفي عدة  
بلاد اخرى ابتداءً من الهند الى بريطانيا ، وذلك بمناسبة مرور مائتي عام  
على مولد ممثل الابحاث الشرقية المجرية البارز ومؤسس الدراسات التبتية ،  
شاندور كوروشي تشوما .

اما في هذا الخريف فاننا نحتفل بالذكرى المثوية الاولى لميلاد مشرق  
عجري جليل آخر هو جولاً جرمانوس الذي كان معروفاً ومشهوراً في العالم  
العربي والاسلامي باسم : الحاج عبدالكريم جرمانوس .

ان الحاج عبدالكريم جرمانوس الذي عاش حياة زاخرة وطويلة ومات  
منذ اقل من خمس سنوات وهو في اتم نشاطه وحيويته الفكرية ، له افضال  
لا مثيل لها في دراسة العالم العربي والاسلامي والشرق بصفة عامة وايضا في  
التعريف بهما في المجر وفي اوربا عامة .

ونتيجة لميوله الذاتية لدراسة اللغات ، فانه وصل الى درجة اجاد معها  
الى جانب اللغات الاوربية الرئيسة ، اللغات العربية والتركية والفارسية والتتارية  
اجادة كاملة ايضاً ، ونتيجة لرحلاته الراسعة - حيث قضى سنوات طويلة في  
زياراته لمصر والهند ، كما زار مكة المكرمة مرتين كحاج ، وسافر كذلك الى  
سورية والعراق والمغرب وتركيا ... الخ - قد حصل معلومات عميقة في  
الدين الاسلامي وفي الشريعة الاسلامية ، وصار على دراية شاملة للادب العربي  
وتاريخ الحضارة العربية والاسلامية .

قام الحاج عبدالكريم جرمانوس بنشر كنوزه الواسعة عن طريق كُتبه ومقالاته ومحاضراته العديدة . وقد قوبل في المجر وفي اوربا عموما بالاهتمام بكل ما قد كتب او حاضر عنه . وهكذا نجح كتابه الموسوعي النقدي الضخم الذي خصصه للشعر العربي عبر ١٤٠٠ سنة ، وكتابه الآخر الخاص بتاريخ الادب العربي والذي طبع اكثر من مرة ، ثم كتبه الشيقة والمثيرة عن رحلاته مثل : الله اكبر ، وفي ضوء الهلال الخافت ، ونحو اضواء الشرق ، نجاحا متقطع النظير لدى القراء بوجه عام والمثقفين بوجه خاص . اما الكتاب الذي ألفه مع زوجته الاولى حول الهند بعنوان « نيران البنغال » ، والذي صدر في عشر طبعات بمئات الآلاف من النسخ ، فانه يعطي صورة واضحة على اهميته من ناحية المادة ومن ناحية المؤلف ايضا . كما أنه قد تمت ترجمة الكثير من اعماله الى لغات اجنبية مختلفة .

وهنا تجب الاشارة الى انه بالاضافة الى نشاطه الخاص يجعل الشرق محبوبا ومعروفا فقد كان الحاج عبدالكريم جرمانوس يثق عالما واستاذا وناقدا ادبيا جادا وذلك يظهر من خلال دراساته المتخصصة عن الشاعر الكلاسيكي العربي ابن الرومي ، وعن الشعر المعاصر في جنوب شبه الجزيرة العربية . ثم تحليله الدقيق لافكار الفيلسوف الهندي الكبير المهاتما غاندي ، الى جانب اعمال اخرى مازالت تعتبر ذات قيمة ادبية وعلمية عالية .

كان الحاج جرمانوس بالاضافة الى كل هذا النشاط في التأليف يدرس خلال عشرات من السنين في جامعة بودابست كاستاذ للادب العربي والحضارة الاسلامية ، واغلب الخبراء المجرين في الشؤون العربية والدراسات الشرقية يعتبرون انفسهم تلامذة له .

وبمناسبة الذكرى المثوية الاولى لولادته سوف تعد احتفالات شاملة بهذا العالم الكبير ليس في المجر فقط بل كذلك في عديد من الدول العربية والاسلامية . اما في بودابست ، مقط رأسه ، فيطلق اسمه على احد الميادين

العامّة ، وسوف تعقد في جامعة بودابست جلسة علمية باشتراك علماء مجريين  
 واجانب تخليداً لهذه الذكرى . كما ان معظم اعماله سيعاد اصدارها من جديد .  
 اما عن الاحتفالات خارج الوطن المجري فسوف يكون متمثلاً في عروض  
 متجولة في عواصم البلدان المختلفة تشرح حياة ذلك العالم الغنية والمثيرة وذلك  
 في كل من عمان ، دمشق ، القاهرة ، بغداد - ( ومن المعروف ان الحاج  
 جولا جرمانوس كان عضو شرف في كل من مجمع اللغة العربية في الاردن  
 وسورية و مصر والعراق ) - كما ان المعرض المتجول سيزور الكويت ونيودلهي  
 ولندن ايضاً .

★ ★ ★